الأمّة
Al Ummah

اسلامية . شهرية . جامعة

العدد الثامن والثلاثون - السنة الرابعة • صفر ١٤٠٤هـ - تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٣م

طفيل محمد
في حوار حول :
الشروط اللازمة للعمل الاسلامي

العالم الثالث إلى أين؟!

نقوش حجرية على هيئة وحدات نباتية وكتابة عربية
(مسجد قطب - دهلي - الهند) القرن السابع الهجري

126659463

بسم الله الرحمن الرحيم

الأمة
Al Ummah

إسلامية شهرية جامعة

تصدر في غرة كل شهر عربي عن رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر

An Islamic Monthly on the inception of every Hijri month.
Published by: "Presidency of Sharia Courts & Islamic Affairs" State of Qatar.

Safar 1404 A.H.
November 1983 A.D.

صدور « كتاب الأمة »

■■ صدر الكتاب الخامس في سلسلة « كتاب الأمة » التي اعتزمت رئاسة المحاكم الشرعية إصدارها مساهمة في تحقيق الوعي والحصانة الفكرية وإعادة بناء عالم الأفكار وتنقية الموارد الثقافية إلى جانب العطاء الصحفي ، ويمكن أن يكون العنوان « الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري » ذا دلالة واضحة ودقيقة على موضوع الكتاب والقضايا التي عرض لها ، ذلك أن الاستشراق يشكل الجذور الحقيقية التي كانت ولا تزال تقدم المدد للتنصير والاستعمار ، وتغذي عملية الصراع الفكري في البلاد المستعمرة ، وتشكل المناخ الملائم ، من أجل السيطرة الاستعمارية على الشرق الإسلامي ، وإخضاع شعوبه ، فالاستشراق هو المنجم والمصنع الفكري الذي يمد المنصِّرين والمستعمرين بالمواد يسوقونها في العالم الإسلامي لتحطيم عقيدته وهدم عالم أفكاره وقد جاء هذا الغزو الثقافي ثمرة لإخفاق الغزو العسكري وسقوطه ولرعاية جيل ما بعد الاستعمار .

لقد تطورت الوسائل ، وتعددت طرق المواجهة الحديثة ، ففي القارة الأمريكية وحدها حوالي تسعة آلاف مركز للبحوث والدراسات منها حوالي خمسين مركزاً مختصاً بالعالم الإسلامي ، وظيفة هذه المراكز تتبع ورصد كل ما يجري في العالم ثم دراسته وتحليله ومناقشة ذلك مع صانعي القرار السياسي .

وأصبح كل شيء خاضعاً للدراسة والتحليل ، ولعل المختبرات التي تخضع لها القضايا الفكرية والدراسات الإنسانية أصبحت توازي تلك المختبرات التي تخضع لها العلوم التجريبية ، إن لم تكن أكثر دقة ، حيث لا مجال للكسالى والنيام العاجزين في عالم المجدين الأذكياء .

ولقد اكتفينا بمواقف الرفض والإدانة للاستشراق والتنصير والانتصار العاطفي للإسلام وخطبنا كثيراً ولا نزال في التحذير من الغارة على العالم الإسلامي دون أن يكون عندنا القدرة على إنضاج بحث في هذا الموضوع أو تحقيق البديل الصحيح للسيل الفكري والغزو الثقافي .. إلا من رحم الله من جهود فردية لا تفي بالغرض ، فإذا كنا لا نزال في مرحلة العجز عن تمثل تراثنا بشكل صحيح حيث يحاول بعضنا الوقوف أمامه للتبرك والمفاخرة دون أن تكون لديه القدرة على العودة من خلاله إلى أصولنا الثقافية المتمثلة في الكتاب والسنة ويحاول آخرون القفز من فوقه ضاربين بعرض الحائط فهوم علماء وجهود أجيال بدعوى التناول المباشر دون امتلاك القدرة على ذلك . فكيف يمكننا وهذا حالنا أن نواجه معركة الصراع الفكري ؟ .

ويمكننا إذا تجاوزنا جهود علمائنا الأقدمين في تدوين السنة ووضع ضوابط النقل الثقافي وقواعد الجَرح والتعديل وتأصيل علم مصطلح الحديث الذي حفظ لنا السنة .. فإننا لا نكاد نرى شيئاً يذكر ، فقد اقتصر عمل معظم المشتغلين بالحديث والسنة عندنا على تحقيق بعض الأحاديث تضعيفاً وتقوية لإثبات حكم فقهي فرعي أو إبطاله وهذا العمل على أهميته يبقى جهداً فردياً دون سوية الأمر المطلوب الذي يمكن من الانتفاع بكنوز التراث .. وأين هذا من عمل المستشرقين في إعداد المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ، كعمل ضخم لا يستغني عنه أي مشتغل بالحديث ؟

ونستطيع القول إن آثار الاستشراق وإنتاج المستشرقين لا يزال يحتل الكثير من مواقعنا الثقافية ، وسوف لا يفيدنا موقف الرفض والإدانة أو الهروب من المشكلة ، من هنا تأتي أهمية هذا الكتاب في أنه لا يقتصر على تشخيص العلة ورصد آثارها فقط وإنما يتجاوز ذلك إلى تحديد الأسباب ووصف العلاج وبيان الخطة التي لا مناص من التزامها في معركتنا الفكرية التي تستهدف وجودنا حيث نكون أو لا نكون ... ■■ [من التقديم للكتاب]

المشرف العام
عبد الرحمن بن عبد الله آل محمود
President
Abdulrahman Abdulla Al Mahmoud

رئيس التحرير
يوسف عبد الرحمن المظفر
Chief Editor
Yousuf Abdulrahman Al Muzaffar

مدير التحرير
عمر عبيد حسنة
Editorial Director
Ummar Ubaid Hasna

طبعت بمطابع الدوحة الحديثة - قطر

في هذا العدد

● كلمـــة الأمـــــة ٤

● درســـان حيويان مقتبسان من قادة النبي ﷺ لحاضر المسلمين ومستقبلهم [٢] ... اللواء الركن **محمود شيت خطاب** ٨

● عندما يتحول اختلاف المسلمين إلى تهــارج قتال .... الدكتور **محمد سعيد رمضان البوطي** ١٤

● بطاقـــة من قـــارىء ١٧

● لماذا قامت روسيا بغزو أفغانستان ؟ .... الدكتور **محمد علي البار** ١٨

● (**قضيـــة للمناقشـــة**) : ملاحظات على مقـــال : المحاماة في الشريعة الإسلامية .... الدكتور **عبد الله رشوان** ٢٣

● دراسة نقدية لجوانب القصـــور في المناهج التربوية في الجامعات الإسلامية ... الدكتور **عباس محجوب** ٢٨

● الوطــن الذبيح (**شعــر**) .... **محمـــود مفلح** ٣٢

● (**اســـتطلاع**) : الجماعة الإسلامية في شبه القارة الهندية : أنموذج متقدم على طريق العمل الإســلامي ٣٣

● تصريحـــات وأقـــوال ٤٤

● نقـد لقصـة « **رأس الشيطان** » للدكتـور نجيـب الكيـلاني .... **أحمد رضوان ناشد** ٤٥

● نظرات في الفكر المنهجي عند ابن خلدون [٢] .... **علال البوزيدي** ٤٨

صـــورة الغـلاف

■■ رغم التقدم العلمي وسبل الاتصال والتواصل بين الشعوب .. إلا أن الهوة تزداد بين العالمين المتقدم والمتأخر . ومشاكل الدول النامية تتفاقم ولا يلوح في الأفق بريق أمل .. الفقر يزداد فيزداد المرض وتتفشى الأمية والجهل ، والمساعدات المشبوهة تزيد من بؤس الشعوب بدل أن ترفع مستواها ، والدول الغنية ليست مستعدة لأن ترفع حجم مساعداتها بل تتجه إلى حماية أسواقها من السلع المستوردة بأثمان بخسة من بلدان العالم الثالث . إن كل هذه الأمور تنعكس سلباً أو إيجاباً على إنسان العالم الثالث ومعظم شعوبه مسلمة .. ■■

□ الغلاف بريشة الفنان عصام عزوز □

التحرير والإدارة

Editorial Offices & Administration

هاتف - (بدالة) : ٤١٧٥١٠		Tel.: (PABX) 417510	DOHA
رئيس التحرير : ٤١٠٠٢٢		Chief Editor	410022
مدير التحرير : ٤١٥٨٣٠		Editorial Director	415830
القسم الفني : ٤٣٢٨٨٧		Editing Staff	432887
هيئة التحرير : ٤١١٣٠٠		Editor Staff	411300
تلكس : ٤٩٩٩ الأمة د هـ		Telex:	4999 Al Ummah DH
برقياً : الأمة الدوحة		Cables:	Al Ummah DOHA
ص . ب : ٨٩٣ الدوحة . قطر		Mailing Address: P. O. Box 893 DOHA QATAR	

ثمن النسخة

قطـــر	٣	ريالات
السعودية	٣	ريالات
الكويت	٢٠٠	فلس
البحرين	٢٠٠	فلس
الامارات	٣	دراهم
عمان	٢٠٠	بيسة
اليمن الشمالي	٢٠٠	فلس
اليمن الجنوبي	٢٠٠	فلس
العراق	٢٠٠	فلس
الأردن	٢٠٠	فلس
سوريا	٢٠٠	قرش
لبنان	٢٠٠	قرش
مصر	٢٠٠	مليم
السودان	٢٠٠	مليم
ليبيا	٢٠٠	درهم
الجزائر		ديناران
تونس	٢٠٠	مليم
المغرب		درهمان
دول آسيا وافريقيا		نصف دولار امريكي

● في الأمريكيتين واوروبا واستراليا دولار امريكي او ما يعادله .

الاشتراك السنوي

Annual Subscription

الأفراد

● في قطر ٣٠ ريالاً قطرياً .

● في الدول العربية والآسيوية والافريقية : ٤٠ ريالاً قطرياً أو ١١ دولاراً امريكياً أو ما يعادلها .

● في الأمريكيتين وأوربا واستراليا ١٢ دولاراً أمريكياً أو ما يعادلها .

● Asia & Africa, for individuals U.S.$ 11, for Govt. & Private organizations U.S.$ 22.

● America, Europe & Australia for individuals U.S.$ 12, for Govt. & Private organizations U.S.$ 25.

للدوائر الحكومية والشركات والمؤسسات

● في قطر : ٧٥ ريالاً قطرياً

● في الدول العربية والآسيوية والافريقية : ٨٠ ريالاً قطرياً أو ٢٢ دولاراً امريكياً

● في الأمريكيتين وأوربا واستراليا : ٢٥ دولاراً أمريكياً أو ما يعادلها .

■ ترسل الاشتراكات باسم مجلة الأمة ■

المراسلات باسم رئيس التحرير

الإعلانات يتفق بشأنها مع الإدارة

ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه

● (العلم والحياة) :
البديل القادم في عام ٢٠٠٠م .... الدكتور نبيل سليم ٥٢
● من عجائب المخلوقات : الصحراء .. (نباتاتها) ٥٦
● فراق وأشواق (شعر) .... أحمد محمد الصدِّيق ٥٩
● العالم الثالث إلى أين ؟ .... حمود عليمات ٦٠
● (رجل وموقف) :
قاضي قضاة المسلمين في العصر المملوكي :
ابن دقيق العيد .... محمد عبده حجاجي ٦٦
● الإسلام والشعر .... الدكتور جابر قميحة ٦٨
● الشورى واجبة على الحاكم المسلم .... الدكتور محمد الطويل ٧٠
● إلى الإسلاميين ، هل تغني وحدة الهدف
عن وحدة الصف ؟ .... محمد السعيد رزاز ٧٤
● مكتبة الأمة ٧٦
● الشيخ عثمان دان فوديو أبو حركة الإصلاح الديني
في غربي أفريقيا .... الشيخ التيجاني أندوي ٧٧
● يا قدس (شعر) .... عبد الغني أحمد الحداد ٨٠
● بريد الأمة ٨١
● شؤون المسلمين في العالم ٨٤
● مع الصحافة في العالم ٩٠
● (الأسرة المسلمة) :
الأطفال : ماذا عن مستقبلهم ؟ .... محمد حسن بريغش ٩٢
● مسابقة العدد الثامن والثلاثين ،
وحل مسابقة العدد السادس والثلاثين وأسماء الفائزين ٩٤
● (خواطر وأفكار) :
التقدم العلمي يدعم رسالة الإسلام .... محمد الهادي عطية ٩٦

لماذا قامت روسيا بغزو أفغانستان ؟!

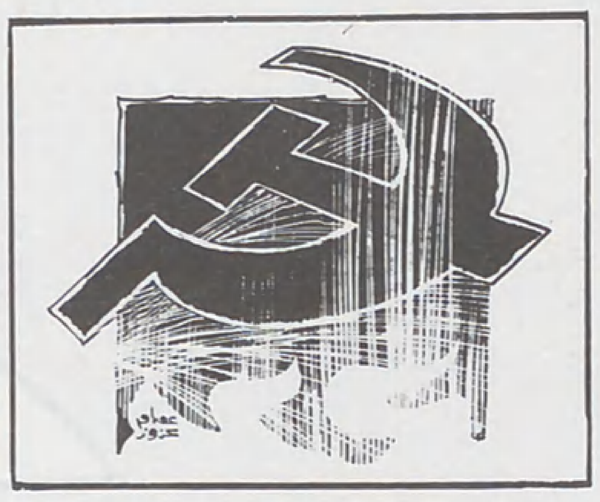

■ بعد إسقاط خيوة وبخارى على يد البلاشفة فيما بين ١٩٢٢ - ١٩٢٤م تم إخضاع أراضي التركستان .. ومنذ ذلك الحين بدأت روسيا تتطلع إلى احتلال أفغانستان لأنها الامتداد الطبيعي لأراضي التركستان .. فالامتداد السكاني ، والاشتراك في اللغة والدين يؤدي حتماً إلى تأثيرات قوية على سكان التركستان المسلمين ، مما حدا بصحيفة « برافدا » إلى القول إن روسيا لن تسمح لأن تكون أفغانستان جسراً للتدخل في أراضيها ، وذلك عندما شعرت بالحركة الإسلامية تمتد إلى شمال أفغانستان وتمتد عبر الحدود إلى الجمهوريات الإسلامية ..... (ص : ١٨) ■

الجماعة الإسلامية في شبه القارة الهندية

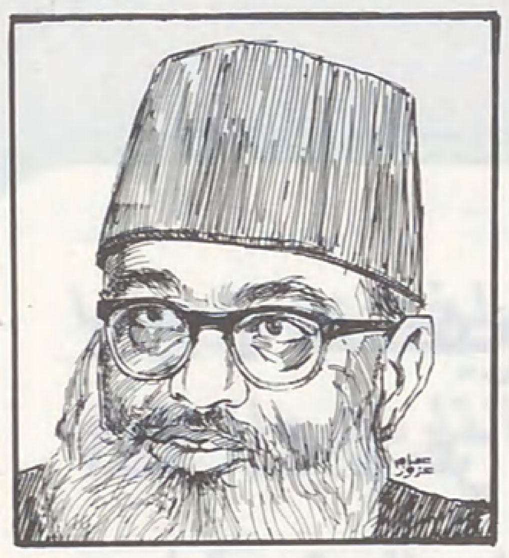

■ إن الصحوة الإسلامية بدأت قبل خمسين عاماً في شبه القارة الهندية وغيرها من بلاد العالم الإسلامي ونتيجة لجهودها الجبارة نرى اليوم هذا التوجه نحو الإسلام .
إن عمل الدعاة لا يثمر في وقت قصير ، وهذه الثمار التي نراها الآن هي ثمار الجهود التي بدأت منذ وقت بعيد نسبياً .. ولا نستطيع أن ننكر أن سقوط الحضارة في الغرب جاء عاملاً مشجعاً ودافعاً جديداً .... (ص : ٣٣) ■

البديل القادم في عام ٢٠٠٠ !!

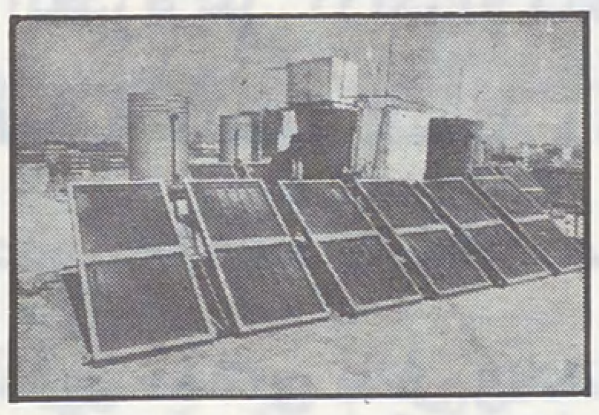

■ إن الشمس التي خلقها الله لتكون ضياء ومصدراً لإسعاد البشر أصبحت اليوم الشغل الشاغل لعلماء العالم ، فقد اتفقوا جميعاً على أن الطاقة الشمسية حقيقة هامة لا يمكن تجاهلها ، ويؤكد العلماء أنه خلال العشر سنوات القادمة سيكون العصر هو عصر الشمس ، وسوف تكون الطاقة الشمسية هي البديل القادم عام ٢٠٠٠م .... (ص : ٥٢) ■

الإخراج الفني مجدي نجيب

وكلاء التوزيع

البلد	اسم الوكيل	وعنوانه
قطر	□ دار الثقافة	ص.ب ٣٢٣ الدوحة
الكويت	□ الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات	ص.ب ٦٥٨٨ الكويت
الإمارات	□ شركة اكسفورد للتوزيع	ص.ب ٧١٢٩ ابوظبي
«	□ مكتبة دبي للتوزيع	ص.ب ١٥٢٦ دبي
البحرين	□ مؤسسة الهلال	ص.ب ٢٢٤ المنامة
عمان	□ المؤسسة العربية للتوزيع والنشر	ص.ب ١٠١١ مطرح سلطنة عمان
السعودية	□ مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان	ص.ب ١٤٠٥ الرياض
«	□ مؤسسة الجريسي للتوزيع	ص.ب ٨٠٧٠ جدة
«	□ « « «	الظهران
لبنان	□ مؤسسة الجزيرة للخدمات والتوزيع بيروت - لبنان	ص.ب ٧٣٨٥ بيروت
الأردن	□ وكالة التوزيع الأردنية	ص.ب ٣٧٥ عمان
«	□ مكتبة دار الأرقم	ص.ب ٩٢٦٢٨٧ عمان
السودان	□ دار التوزيع	ص.ب ٣٥٨ الخرطوم
المغرب	□ سبريس	ص.ب ٨ — ٧٠ زنقة سجلماسة الدار البيضاء
اليمن	□ مؤسسة سبأ العامة للصحافة والأنباء	ص.ب ٢١٩٥ صنعاء
مصر	□ شركة توزيع الأخبار	ص.ب ٧ القاهرة
تونس	□ الشركة التونسية للتوزيع	ص.ب ٤٤٠ تونس 5 ش قرطاج - تونس

Distributing Agents

ماليزيا	MUSLIM YOUTH MOVEMENT OF MALAYSIA,	KUALALUMPUR 2207, MALAYSIA
امريكا	ISLAMIC CENTRE OF PHILADELPHA	325 N BROAD ST., PHILADELPHA, Pa 19107 U.S.A.
	MUSLIM STUDENTS ASSOCIATION IN — U. S. A. AND CANADA,	P. O. BOX NO. 38, PLAIN FIELD, INDIANA 46168, U. S. A.
انجلترا	THE MUSLIM INFORMATION SERVICE, 233 SEVEN SISTERS ROAD,	LONDON N4 2 DA ENGLAND
	M. E. PUBLICATION LTD.	85 BIGHTON ROAD, COULSDON, U. K.
فرنسا	HACEN LIBRARY,	131 RUE DE CHARENTON 75012 PARIS, METRO GARE DE LYON, FRANCE.
المانيا	ISLAMISCHE GEMEINSCHAFT IN DEUTSCHLAND E.V.	MANZER LANDSTR. 176 6000 FRANKFORT A. M. W. GERMANY
بلجيكا	ASSALAM SPRL. 196 BLD. M.,	LEMONNIER 1000 BRUSSELS, BELGIUM

كلمة الأمة

دعوة للمراجعة

□□ لا نستطيع أن نتهم عالم العرب والمسلمين بعدم المعرفة للنوايا اليهودية والمخططات الصهيونية ، وقد أخذ الكلام عن بني إسرائيل وبيان نواياهم وما تنطوي عليه نفوسهم المساحة الأكبر في القرآن الكريم ، وما قدمته الدراسات والبحوث ومراكز المعلومات ، والمؤلفات في هذا الموضوع عن ممارساتهم وأهدافهم لم يعد خافياً على أحد ، لكن الذي نستطيع قوله : إننا نعاني من حالة العجز عن توظيف هذه المعرفة وامتلاك الإرادة المستقلة للاستفادة منها والقدرة على الالتزام بأخلاق المعرفة ، وكأننا بمراكز الدراسات والمعلومات والمؤلفات التي ننشئها إنما نمارس عملية التقليد للشكل والصورة التي نراها عند الآخرين في الدول المتقدمة دون القدرة على توظيفها ، نقف عند حدودها فقط لا نتعداها ... ولو أننا أحصينا ورصدنا ما تخرجه المطابع العربية في يوم واحد من أيام نصف القرن الماضي لكان وحده كافياً لتعريفنا بعدونا ونواياه ووسائله في الوصول إلى هذه النوايا وتحقيقها ، وقدرته المستمرة على نقل المعركة من موقع إلى آخر بشكل مدروس ومحسوب ينسي العرب والمسلمين الموقع السابق ، ويصرف جهودهم إلى المشكلات الجديدة التي صنعتها لهم إسرائيل لينشغلوا بحلها ، وتنفرد هي بتحقيق أهدافها كاملة في المواقع السابقة التي احتلتها ، وهذا يلحظ بوضوح ابتداءً من قيام الكيان الصهيوني عام ١٩٤٨م . وانتهاءً بغزو لبنان لإنهاء المقاومة الفلسطينية ، وإشعال الألغام الطائفية ، واحتلال الجنوب اللبناني والبدء بتهويده ...

ولقد استطاعت إسرائيل بشكل أو بآخر أن تحضر الظروف الملائمة لقيام الفتن الداخلية وإشعال الحروب الحدودية بين العرب والمسلمين في أكثر من موقع ، حتى بات الإنسان يسمع أصوات النشاز تقول : إن الطريق إلى تحرير فلسطين لا بد أن يمر بالعاصمة العربية الفلانية أو الفلانية ؟!.. ولو صمدنا أمام إسرائيل كصمودنا في واحدة من معارك اقتتالنا لكانت كافية لمواجهة إسرائيل واسترداد الحق وتحقيق العدل ، ولا نكون مبالغين إذا قلنا : إن الدماء التي تسيل في معركة واحدة يمكن أن تكون كافية لتحرير فلسطين ...

خلل البنية الفكرية :

ولا شك بأن الذي يراقب اقتتالنا وضحايانا وإصرارنا على إراقة دمائنا ، وشدتنا وصمودنا في هذه المعارك سوف لا يصدق أننا الذين هزمتهم يهود ولا يزالون يعانون من هزيمتها لهم ..

ولا شك عندنا أيضاً أن هذا الواقع الذي صرنا إليه دليل على وجود خلل في البنية الفكرية والطروحات العقائدية التي أثمرته مهما كانت دعاوانا عريضة ، وأصواتنا مرتفعة بالادعاء أننا على النهج السليم ، والدفاع عنه والقتال في سبيله ؛ إنها صورة عقيدية مدفوعة بالواقع الحزين ، وإن استمرار قبولنا بها يعني قبولنا بهذا الواقع الذي نشكو منه جميعاً ، وعلى المستويات كلها ، ومن أبسط الأمور في عالم العقلاء القيام بعمليات المراجعة بعد كل مرحلة نجاح أو إخفاق لتحديد أسباب النجاح للاحتفاظ بها وتنميتها والدفاع عنها ، واستبيان أسباب الإخفاق ومواقع الخلل لاجتنابها ... إنه الاعتبار الذي أنعم الله به على الإنسان العاقل ، وحرمه الحيوان الأعجم ، إنه الاعتبار الذي لا بد من حضوره على مستوى الأفراد والجماعات

وتجديد الانتماء

والأمم والحكومات ، ونحن أمة لم تنشأ من فراغ ، ولم تتحرك طيلة تاريخها في فراغ أيضاً ، لكن ممارسات سلخها عن تاريخها وإقصائها عن عقيدتها من الاستعمار وجيل الاستعمار تركها في حالة العجز عن الاستفادة من هذا التاريخ والاعتبار بحوادثه ، وعن الالتزام بالعقيدة والاستجابة لمتطلباتها ، والحكم على الأمور من خلال مقاييسها ...

لقد قرىء تاريخنا لنا بأبجديات غريبة عنه ، خاطئة في تفسيره ، حتى كاد يصبح التاريخ الذي هو أحد عوامل تكوين الأمة بعد هذه القراءات المغلوطة عامل تمزيق وتفريق وتفتيت ، حيث إننا لم نر من تاريخنا إلا النقاط السود ، ولم نبعث منه إلا الفتن لتكون غذاء يقتات به أعداء هذه الأمة التي سقطت فريسة لتعدد الانتماءات وتعدد الولاءات ، وأصبح بأسها بينها شديداً ...

الانتماء والالتزام :

ولقد أصبنا في تاريخنا الطويل بنكسات ونكبات وأيام سود وسنين عجاف ، وضعف التزامنا بهذا الدين ، وبالرغم من هذا كله بقيت لنا وحدة الانتماء ، وبقي لنا الإيمان بهذا الانتماء الذي كان مرتكز القادة والمفكرين والمصلحين وحاملي لواء التجديد والتغيير الاجتماعي ...

هُزم المسلمون سياسياً وعسكرياً وبقي الإسلام علماً وحضارة وتاريخاً فكان درع صمود وعامل مواجهة ، أما حالنا اليوم ، فإننا لا نعاني من فقدان الالتزام وبقاء الانتماء ، وإنما نعاني من التذويب والذوبان الذي يقذف بنا إلى الضياع والمغالطات الفكرية والعقيدية والقراءة التاريخية الشاذة التي تفقدنا الالتزام والانتماء معاً ، فكيف نواجه الحالة الصعبة التي نحن عليها ؟ حيث تختلف مرحلة سقوطنا الحضاري وانكسارنا العسكري ، وتعدد انتماءاتنا عن مراحل الهزائم التاريخية جميعاً ، ولعل الطريق إلى الخلاص ، الذي لا طريق سواه ، إنما يكون بتصويب المسار ، وتجديد عملية الانتماء لهذا الدين بشكل عام ، والاعتزاز بقيمه ، والالتزام بأحكامه ، والانضباط بشرعه ، والاستفادة من تاريخه ...

إن الإسلام الموحِّد الفاعل ، الإسلام الذي صنع خير أمة أخرجت للناس ، الذي فهمه السلف الصالح ، فكان ما كان ، هو بالتأكيد غير الفهم الذي نحن عليه بواقعنا الراهن ؛ فلا بد إذن من عودة الجماهير المسلمة إلى فهم وإدراك إسلامها بعد أن مارست عملية الانسلاخ عنه وبعد أن طال البعد وكثرت الدروس وقل الاعتبار ... وإلا فسوف نستمر في الطريق المسدود ، ولسوف تستمر إسرائيل في قضم أطراف الجسم الإسلامي طرفاً بعد آخر ، وتنقلنا من معركة إلى أخرى ، وتنسينا جراحاتنا السابقة ، وتشغلنا بجراحات جديدة ...

ولا نريد هنا أن نتكلم عمَّا أسمته إسرائيل بعملية أمن الجليل واجتياح لبنان تحت سمع العالم وبصره ، وتعقب المقاومة الفلسطينية لإنهائها أو لإلغاء مقدرتها وتمزيقها ، وإخراجها من لبنان ، ومن ثم إشعال الألغام الطائفية ليبدأ تفجيرها هنا وهناك ، وتسيل الدماء أنهاراً ، ويكون من بعض وقودها المقاومة الفلسطينية للقضاء على البقية الباقية منها ... لأن الكلام عن ذلك كثر كثيراً ، ومحاولات التدخل لإيقاف القتال أو إشعاله كثرت أيضاً على المستوى العربي والدولي ، ونفرح وَفرِحْنَا للوصول إلى وقف إطلاق النار التي أشعلناها بأيدينا ، وفي أثناء ذلك كله - بين الإشعال والإطفاء - يخلو الجو لإسرائيل لتمارس عمليات التهويد ، ولتمكن احتلالها للجنوب اللبناني ليشكل الضفة الشمالية بالنسبة ليهود ، وتصبح القضية

دعوة للمراجعة

الجديدة : خروج يهود من لبنـان أو من جنوبي لبنان بعد أن كانت القضية وجود يهود بفلسطين ، وقبول العرب بالتقسيم ، وانسحاب إسرائيل من سيناء عام ١٩٥٦م . والمطالبة بعودة إسرائيل إلى حدود ما قبل عام ١٩٦٧م . ومواجهة الاستيطان بغزة والضفة الغربية ، أما الحديث عن التهويد الرسمي للجولان ، والتهويد الثقافي للتعليم الذي يعد الأخطر في مجال التهويد والاحتلال والاستيطان فحديثه يطول …

سوف لا نتكلم عن الاقتتال الطائفي في لبنان ، وهو الصورة التي صنعتها إسرائيل ، وهي الأكثر سخونة الآن ، وإنما نعرض للوجه الآخر للموضوع الذي غيبته عن الساحة أحداث لبنان واقتتاله الطائفي ، نعرض لبعض أطماع يهـود في جنوبي لبنان …

الأطماع اليهودية في الجنـوب اللبنـانـي

لقد بدأ يهود في التطلع إلى مصادر المياه في جنوبي لبنان في وقت مبكر ، وبدأوا بشراء الأراضي بأثمان مغرية ، وسقط في شركهم بعض كبار الملاك ، وقد كتب هرتزل في مذكراته حول هذا الأمر فقال : « هؤلاء الذين يتعلقون عادة بالأرض هم صغار الملاك ، إن كبار الملاك يغترون بالأسعار » ومارست بعض البنوك الأمريكية والسوفييتية ـ واليهود من ورائها ـ شراء بعض الأراضي ، ولقد استطاعت المنظمة الصهيونية أن تعدل من الحدود بين لبنان وفلسطين لأول مرة سنة ١٩٢٣م . باتفاق بين الدولتين المنتدبتين : فرنسـا وانكلترا …

وبعد قيام الكيان الصهيوني أصبحت الأطماع الصهيونية في المياه اللبنانية تأخذ طابعاً أكثر وضوحاً ، ففي عام ١٩٥١م صرح وزير خارجية إسرائيل لصحيفة « جيروزاليم بوست » : « إننا لسنا من المهتمين بالنيل والفرات ـ الآن ـ ولكننا نولي الأردن ومنابعه كل اهتمام » وهذا يعني النية في احتلال حاصبيا وراشيا ومرجعيون وجزء من البقاع الغربي …

ومن أبلغ التصريحات التي تكشف عن نوايا إسرائيل في الاستيلاء على مياه الليطاني ما قاله « ليفي أشكول » لصحيفة « لوموند » الفرنسية في السابع من تموز (يوليه) ١٩٦٧م : « … إن إسرائيل العطشى لا يمكنها أن تقف مكتوفة الأيدي وهي ترى مياه الليطاني تذهب هدراً إلى البحر ، إن القنوات باتت جاهزة في إسرائيل لاستقبال مياه الليطاني » .

وفي رسـالة « بن جوريون » إلى الرئيس الفرنسي « ديجـول » يقول : « … إن أمنيتي في المستقبل جعل الليطاني حدود إسرائيل الشمالية » وبعد حرب ١٩٦٧م صرح « موشـيه دايان » قائلاً : « … إن حدود إسرائيل أصبحت طبيعية على جميع الجبهات باستثناء لبنان » .

وتواصل إسرائيل قضم الأراضي اللبنانية تحت شعار عملية السلام للجليل وتحقيق الأمن لحدودها الشمالية ، والحقيقة أنها تهدف إلى تحقيق مطامع دينية توراتية واقتصادية حيوية في الأرض والمياه ، وهذه العملية هي استكمال لما بدأته عام ١٩٤٨م إذ اقتطعت أرضاً من العديسة ودير الميماس وكفر كلا وجولا وميس الجبل …

وفي جنوبي لبنـان تقيم إسرائيل تحصينات تذكّر بخط « ماجينو » فضلاً عن الرادارات ومحطات الإنذار المبكر التي تمتد من أعالي جبل الباروك حتى مصب نهر الأوّلي ، إلى جانب المطارات العسكرية والتحصينات الأخرى ، كما تحاول الآن شق طريق يصل قرية بسهي بجبل الشيخ وصولاً إلى قرية عين شمس في مرتفعات الجولان المحتلة ، ويمر هذا الطريق بمشغرة وحاصبيا في البقاع الغربي ، ويلاحظ أن أكثرية السكان في المناطق التي يمر بها الطريق هم من الدروز ، وبذلك يتحقق ما تعمل له إسرائيل من وجود الأحزمة الطائفية حولها …

والأخطر من ذلك كله : عملية التهويد العملي التي تمارسها إسرائيل في الجنوب ، فهي تقوم بإعادة كتابة أسماء القرى هناك باللغة العبرية ، وتطمس الأسماء العربية لها ، كما تقوم وحدة تابعة للجيش الإسرائيلي تدعى « وحدة المساعدات

وتجديد الانتماء

المدنية » بفتح المدارس لتعليم اللغة العبرية ، وفي بعض المدارس الرسمية يفرض الإسرائيليون تدريس اللغة العبرية من قبل معلمين يكلفونهم بذلك ...

لقد تحول اسم الجنوب اللبناني في لغة الأحزاب الدينية الإسرائيلية إلى « إسرائيل العليا » وفي لغة السياسيين إلى « الضفة الشمالية » والقليل من المراقبين يصدقون أن إسرائيل يمكن أن تنسحب من جنوبي لبنان بعد الآن ...

الإحساس بالتحدي :

ونحن لا نريد بما عرضنا له أن نساهم بصور اليأس والتشاؤم التي بلغت مداها في عالمنا العربي ، لكن الأمر الذي نقصد إليه هو بيان صور التحدي والكشف عن حقيقة هذا التحدي الذي يواجه الأمة ، لأن الشعور بالتحدي يوقظ الحس ، ويلهب المشاعر ، ويذكي الروح ، ويجمع الطاقات النفسية والمادية لتبدأ عملية الإقلاع من جديد ، ولندعو الأمة لمراجعة الحساب وإعادة النظر بالوسائل والأهداف على المستويات كلها ، ذلك أن الأمة الإسلامية قد أصيبت في تاريخها بالكثير الكثير من المآسي والنكبات ، لكنها كانت دائماً قادرة على تجاوز المحن حال عودتها إلى أصولها تستمد منها مصادر القوة بعد أن تُسقِط جميع الصور المشوهة والزائفة التي سببت هذه المآسي ...

ونعتقد أن وجود إسرائيل سيبقى وجوداً عارضاً مهما طال به الزمن ، ولنا من بعض المواقف والشعارات المؤمنة في معاركنا الحديثة مع يهود نافذة كافية للدلالة على ما نقول ، وأن أعمار الأمم لا تقاس بجيل أو جيلين ، وقوة الأمة لا يحكم عليها من خلال فترات المرض التي تعاني منها ، وأن قضية فلسطين ليست ملكاً لجيل بعينه يساوم عليها أو يتهاون في المواجهة والدفاع عنها ، وإنما هي ملك الأمة بكل أجيالها وتاريخها وعقيدتها ...

النزوع الطائفي :

إن قيام إسرائيل على الرؤية الدينية التوراتية يجب أن يكون باعثاً لنا على العودة إلى عقيدتنا ، درع صمودنا وعدة جهادنا ، لكن للأسف ابتلعنا الطعم الذي أُلقي إلينا وسقطنا في الشرك ، وقبلنا فرية التفريق بين اليهودية والصهيونية ، الأمر الذي ساهم إلى حد بعيد بتكريس انسلاخنا عن إسلامنا ، واستمرار المغالطة ، ولم نجن من قيام إسرائيل انبعاث الروح الإسلامية كما استيقظت في الحقبة الصليبية والهجمة المغولية ، وإنما الذي جنيناه ظهور النزعات الطائفية واستيقاظ أحقادها التي تزيد من إنهاكنا وتمكن ليهود في أرضنا ...

يقول « بن جوريون » : « ... علينا أن نتذكر أنه من أجل قدرة الدولة اليهودية على البقاء لا بد أن نكون جيراناً للبنان النصراني من جهة ، وأن تكون أراضي النقب القاحلة من جهة أخرى ، وكذلك مياه الأردن والليطاني وثلوج جبل الشيخ داخل حدودنا ... » .

لقد استطاعت إسرائيل أن تزرع ـ وهذا من لوازم وجودها ـ ألغاماً طائفية وتستمسك بفتيلها لتفجرها في الوقت الذي تريد ، ولقد استطاعت أن تنجح في إقامة كيانات طائفية ، ظاهرة ومقنعة ، تلك الطائفيات التي كانت ولا تزال جسراً يعبر من خلاله أعداء هذه الأمة في تاريخها الطويل ...

ولسنا الآن بسبيل التذكير بالحملات الصليبية ومن كانوا ادلاَّءها وأعوانها في العالم الإسلامي ولا الهجمات التترية المغولية ومن كانوا عملاءها وعيونها ، ولا الاستعمار الحديث ومن كان معتمده ومرتكزه ...

وبعد : فإن فهمنا الصحيح ووحدة انتمائنا للإسلام الذي وسع الجميع بعدله ، وضمن لهم حرية المعتقد ، هو الطريق الوحيد ، تاريخياً وحضارياً وواقعياً ، لحل المشكلات التي نعاني منها على مختلف الأصعدة ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل . □□

دروس حيوية مقتبسة من قادة النبي صلى الله عليه وسلم لحاضر المسلمين ومستقبلهم

٢

بقلم : اللواء الركن :
محمود شيت خطاب

مجمل الدرس الثاني ...

■■ كان مجمل الدرس الأول المقتبس من قادة النبي ﷺ عبرةً للمسلمين في حاضرهم ومستقبلهم ، هو أن ستين بالمائة من أولئك القادة استُشهدوا ، وأربعين بالمائة منهم ماتوا على فراشهم ، والشهيد يموت بأجله ، والمتوفى حتف أنفه يموت بأجله أيضاً .

أما مجمل الدرس الثاني ، فهو أن القائد الشجاع مات شهيداً ، والقائد الذي هو أكثر شجاعة وإقداماً مات على فراشه .. ■■

ومن المعلوم أن الشجاعة من المزايا المعنوية للإنسان ، فالشجاع والأشجع من الأمور التي تثبت بالقتال ، وقد كانت بطولات قادة النبي ﷺ الذين ماتوا في بيوتهم بآجالهم ، والتي أثبتوها بالقتال رفيعة المستوى ، متميزة عن سائر البطولات ، لذلك وصفت شجاعة قادة النبي ﷺ بأنها شجاعة (فائقة) ، ولكنني وصفت شجاعة الذين قضوا نحبهم في بيوتهم من قادة النبي ﷺ بأنها شجاعة (نادرة) تمييزاً لدرجتها الرفيعة على درجة الشجاعة الفائقة ، فكل شجاعة (نادرة) شجاعة (فائقة) ، ولكن ليس كل شجاعة (فائقة) شجاعة (نادرة) .

وقد وصفت مصائر قادة النبي ﷺ فقلت :

« إن قادة النبي ﷺ المتميزين بالشجاعة (الفائقة) استُشهدوا في ساحة الجهاد ، والقادة المتميزين منهم بالشجاعة (النادرة) ماتوا في بيوتهم على فراشهم » .

وهدفي من إبراز هذه الحقيقة هو إثبات أن الجُبْن لا يُحيي والشجاعة لا تُميت ، وصدق الله العظيم ﴿ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (يونس : ٤٩) .

وقد علمتني تجارب الحياة ، أيام خدمتي العسكرية ، في ميادين القتال ، أن المقاتل الجبان الذي يخاف الموت ويرتبك وتنهار معنوياته ، هو الذي يسعى إلى حتفه سعياً ، فكأنَّ للجُبن رائحة خاصة تجذب إليها ما يصيب مقتلاً في الجبان الرعديد .

لقد كان السلف الصالح مضرب الأمثال في شجاعتهم ، لأنهم كانوا مضرب الأمثال في إيمانهم العميق .

فلما تخلى الخلف الطّالح عن إسلامهم ، اهتزَّ إيمانهم فضعفوا واستكانوا وتداعت عليهم الأمم من كلِّ جانب ، حتى قال قائل من الأجانب فيهم ، واصفاً موقفهم المزري من ذبح إخوانهم في مخيمي (صَبْرا) و (شاتيلا) من الأطفال والنساء والشيوخ الفلسطينيين في شهر ذي القعدة من سنة ١٤٠٢ الهجرية (شهر أيلول [ديسمبر] من سنة ١٩٨٢ الميلادية) قائلاً :

كانوا يتفرجون على المذبحة دون أن يستطيعوا تحريك إصبع واحد من أصابعهم على الصهاينة ، وحتى لم يدعمهم العرب بالمظاهرات ، فتظاهر الأجانب عنهم ، وبقي العرب لا يحرِّكون ساكناً !!

● إن المقاتل الجبان الذي يخاف ويرتبك وتنهار معنوياته هو الذي يسعى إلى حتفه ، فكأن للجبن رائحة خاصة تجذب إليها ما يصيب مقتلاً في الجبان الرعديد ..

الذين ماتـــوا في بيوتـــهم . . .

لقد مات خمسة عشر قائداً من قادة النبي ﷺ ـ كما ذكرنا من قبل ـ في بيوتهم بآجالهم بعيداً عن ساحة الجهاد ، مع أنهم جميعاً دون استثناء من المتميزين بالشجاعة النادرة ، وكانوا جميعاً يتمنون على الله من أعماق قلوبهم أن يُستشهدوا في ساحة الجهاد ، ولكن أمانيهم لم تتحقق ، فماتوا وفي أنفسهم شيء من تخلّفهم دون إرادتهم عن تحقيق أعزّ أمانيهم في الحياة .

والذين يحبون أن يطّلعوا على شواهد مما كان يتمتع به أولئك القادة من شجاعة نادرة بالتفصيل ، يجدون ما يحبون أن يطلعوا عليه في دراسة سِيَر حياة هؤلاء القادة الذين ذكرناهم في قائمة : (**مصائر قادة النبي ﷺ**) ، وسيرد ذكرها مفصلاً في كتابي (**قادة النبي ﷺ**) الذي يصدر قريباً بإذن الله .

ولكن لا بد من ذكر شواهد (مختصرة) على شجاعتهم النادرة ، وقد لا يُغني الاختصار عن التفصيل في هذا الباب بالذات ، ولكنه لا يخلو من فائدة على كلّ حال .

وسأضرب الأمثال للقراء على شجاعة أولئك القادة النادرة ، بالنسبة لأقدميتهم في القيادة حسب توليهم مناصبهم القيادية بموجب ما ورد في التاريخ والسِّير ، وحسب ترتيب أسمائهم في قائمة : مصائر قادة **النبي ﷺ** ، المرتَّبة بموجب أقدميتهم التاريخية في القيادة .

القـــائد الأول :

مـــات **سالم بن عُمَيْر الانصاري الأوْسيّ** على فراشه ، وقد تولى القيادة لأول مرة في شهر شوال من السنة الثانية للهجرة .

وقد تطوع لقتل **أبي عَفَك** ، وهو بين أهله وعشيرته وقومه في مكان آمِنٍ أمين ، فقتله في مأمنه بين أهله وعشيرته وقومه .

وكان **أبو عَفَك** يحرِّض على عداوة **النبي ﷺ** والمسلمين ، وينظم الشِّعر في هجائهم ، فقال رسول الله ﷺ : « **مَنْ لي بهذا الخبيث** ؟ » .

وتطوّع **سالم** من بين **الأوس والخزرج** والمسلمين كافة لقتله ، ونفَّذ وعده الذي قطعه على نفسه غير مكترث بالخطوب والأخطار والأهوال .

لقد كان من ذوي الشجاعة النادرة ، وكان معروفاً بالشجاعة والإقدام .

القـــائد الثاني . . .

ومات **محمد بن مَسْلَمَة الأنصاري الأوسي** على فراشه ، وقد تولى القيادة لأول مرة في شهر ربيع الأول من السنة الثالثة الهجرية .

وكان **ابن مسلمة** ممن ثبت مع **رسول الله ﷺ** يوم (**أحد**) ، وقد ثبت مع **الرسول ﷺ** يومئذ أربعة عشر رجلاً : سبعة من المهاجرين وسبعة من الانصار ، كان أحدهم **محمد بن مسلمة** .

وكان يتولى قيادة حرس **النبي ﷺ** في غزواته ، وقادة الحرس لا بد أن يكونوا من المختارين في شجاعتهم النادرة .

وهو الذي قتل اليهودي **كعب بن الأشرف** عدو **النبي ﷺ** والإسلام والمسلمين ، وقد تطوَّع لقتله ، فقتله بين أهله وعشيرته وقومه ، وفي حصنه الحصين .

وهو الذي انتصر على حشود المشركين ، وكان بقيادته ثلاثون رجلاً من المجاهدين ، وكان من الذين لا يخشون في قولة الحق لومة لائم ، فكان يقول الحق ولا يخشى غير الله عزّ وجل .

وقد اعتزل الفتنة الكبرى ، كما اعتزلها أمثاله من أصحاب الورع والتقوى ، **كأسامة بن زيد حِبّ رسول الله ﷺ وابن حِبّه ، وسعد بن أبي وقَّاص خال رسول الله ﷺ ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، رضي الله عنهم جميعاً وارضاهم** .

لقد كان **محمد بن مسلمة** من أبرز الأنصار خاصة والمسلمين عامة شجاعة وإقداماً .

القـــائد الثـــالث . . .

ومات **سعد بن أبي وقاص** حتف أنفه ، وقد تولى القيادة لأول مرة في عهد **النبي ﷺ** ، ثم أصبح من قادة الفتح الإسلامي المشهورين بعد أن التحق **النبي ﷺ** بالرفيق الأعلى ، فتولى **لعمر بن الخطاب رضي الله عنه** قيادة فتح العراق وفارس ، وقاد معركة القادسية الحاسمة التي فتحت أبواب العراق وشطر فارس للمسلمين .

وكان **سعد** أوّل من رمى بسهم في الإسلام ، وثبت مع **النبي ﷺ** يوم (**أحد**) ، ووقف إلى جانبه يرمي بالنبل دونه ، **والنبي ﷺ** يناوله النَّبل ويترصد له إصاباته الدقيقة قائلاً :

« **إرْمِ ، فداك أبي وأمي** » ، وكان **الإمام علي بن ابي طالب** كرّم الله وجهه ورضي عنه يقول :

« **ما سمعت رسول الله ﷺ يفدّي أحداً بأبويه إلا سعداً** » ..

ولعل من نافلة القول ، إثبات أن سعداً كان يتحلى بالشجاعة النادرة ، فقد كان رضي الله عنه أمَّة في رجل ، ورجلاً في أُمَّـة .

القـــائد الرابـــع . . .

ومات **عبد الله بن أُنَيْس الجُهني الأنصاري** على فراشـه ، وقد تولى القيادة لأول مرة في شهر المحرم من السنة الرابعة الهجرية .

وهو الذي تولى قتل اليهودي سَلاّم بن ابي الحُقَيق احد اعداء النبي ﷺ والإسلام والمسلمين ، حيث قتله في حصنه بين اهله وعشيرته وقومه في موقع (خَيْبَر) ، قبل ان يفتحها النبي ﷺ .

كما تولى قتل اليهودي اليُسَير بن رِزَام الذي كان بخَيْبَر يجمع غَطَفَان ويحشد قومه يهود خَيبر وغيرهم من يهود ، لغزو **رسول الله ﷺ** ، لعداوته الشديدة وحقده الدفين على **النبي ﷺ** والإسلام والمسلمين .

دروسٌ حيويّان مقتبسان من قادة النبي ﷺ لحاضر المسلمين ومستقبلهم

وبذلك استطاع تفريق حشود المشركين وحده ، وكفى الله المؤمنين القتال .

وابن أُنَيْس ، القائد الرابع ، هو الذي قتل وحده **خالد بن سفيان بن نُبَيْح الهُذَلي** الذي كان من سادات قومه ، وكان يجمع الجموع **لرسول الله ﷺ** ليغزوه ، فقتله **ابن أنيس** بين قومه وفي حشوده التي حشدها لحرب **النبي ﷺ** والإسلام والمسلمين .

لقد كان **ابن أنيس** لا يخشى الموت ، وكان بطلاً فذاً من أبطال الصحابة عليهم رضوان الله ، لا يبالي أوقع على الموت أم وقع الموت عليه !

القـــــائد الخامس .

ومات **أبو عُبَيْدَة بن الجرّاح** على فراشه بالطاعون سنة ثماني عشرة الهجرية ، والذي يموت بالطاعون شهيد ، ولكنني لم أذكره بين الشهداء ، لأنه تُوفي خارج ميدان الجهاد ، وكان منهاجي إحصاء الشهداء الذين ماتوا بالسيف .

وقد تولى **أبو عبيـــدة** القيادة لأول مرة في شهر ربيع الآخر من السنة السادسة الهجرية ، فشهد غزوة (**بَدْر**) الحاسمة ، فقتل أباه في تلك الغزوة ، لأن أباه كان مشركاً يقاتل في صفوف المشركين .

وكان مع النَفر القلائل الذين ثبتوا يوم (**أحد**) مع **رسول الله ﷺ** ، ودافع يومئذ عنه دفاع الأبطال .

وتولى قيادة عدة سرايا على عهد **النبي ﷺ** ، وكان من جنود بعضها الشيخان : **الصدِّيق والفاروق رضي الله عنهما** ، فأبلى في قيادة سراياه أعظم البلاء ، وانتصر على المشركين فيها انتصارات باهرة .

ولما التحق **النبي ﷺ** بالرفيق الأعلى ، أصبح **أبو عبيدة** على عهد **عمر الفاروق** رضي الله عنه ، من أكبر قادة الفتح الإسلامي العظيم ، وحسبه أن يقال عنه : **إنه فاتح بلاد الشام والجزيرة** .

وبلاد الشام هي : **لبنان ، وسورية ، والأردن ، وفلسطين والجزيرة ، هي جزيرة ابن عمر ، كما يطلق عليها الجغرافيون القُدامى** .

وأراد **عمر بن الخطاب** أن يستخرج **أبا عبيدة** من منطقة الوباء ، بعد اشتداده سنة ثماني عشرة الهجرية ، ولكن **أبا عبيدة** كتب إلى **عمر** :

« ... **لا أجد بنفسي رغبة عن جند المسلمين ، فلست أريد فراقهم** ... » . وبقي مع جنوده حتى تُوفي بالطّاعون مع من توفي من جند المسلمين ، وهذا دليل واحد من الأدلة الكثيرة على شجاعته النادرة التي لا تتكرر إلا نادراً .

القـــــائد الســــادس . .

ومات **عبد الرحمن بن عَوْف** رضي الله عنه ، في منزله على فراشه بأجله الموعود ، وقد تولى القيادة لأول مرة في شهر شعبان من السنة السادسة الهجرية .

شهد غزوة (**بَدْر**) الكبرى الحاسمة ، فأسر أسيراً من المشركين ، وقتل رجلاً من قريش ، وغنم أدراعاً .

وثبت يوم (**أحد**) مع **رسول الله ﷺ** ، وما ثبت معه يومئذ غير قليل من أبطال المسلمين ، وجرح في هذه الغزوة لاستقتاله في الدِّفاع عن **النبي ﷺ** إحدى وعشرين جراحة ، وجرح في رجله فكان يعرج منها ، وسقطت ثنيتاه فكان أهْتَم ، وقتل رجلين من المشركين .

ومواقفه البطولية في الدفاع عن **النبي ﷺ** والإسلام والمسلمين ، أكثر من أن تُحصى وتُعدّ .

القـــــائد الســـابع . . .

ومات **عمرو بن أُمَيَّة الضَّمري** على فراشه في بيته بأجله الموعود ، وقد تولى القيادة لأول مرة في السنة السادسة الهجرية .

وكان من أنجاد العرب ورجالها نجدةً وجراءة وجوداً .

ومن جراءته أن المشركين من قريش صلبوا **خُبَيْب بن عَدِيّ رضي الله عنه** بالتنعيم قريباً من مكة المكرمة وجعلوا عليه حرساً منهم ، فاختطف عمرو جثة **خُبَيب** ، وعاد بها إلى المدينة المنورة .

وكان **أبو سفيان بن حرب** قد بعث رجلًا من المشركين لاغتيال **النبي ﷺ** ، فانكشف أمر المشرك وأسلم .

وبعث **النبي ﷺ عمرو بن أمية** وبرفقته مسلم آخر اسمه :

● إن قادة النبي ﷺ المتميزين بالشجاعة الفائقة استشهدوا في ساحة الجهاد ، والقادة المتميزين بالشجاعة النادرة ماتوا على فراشهم ونعم الحارس الأجل .

سَلَمَة ، إلى أبي سفيان ، وقال لهما :

« **إن أصبتما منه غِرَّة فاقتــلاه** » .

ودخل **عمرو** وصاحبه مكة ، ومضى **عمرو** يطوف بالبيت العتيق ليلاً ، فرآه **معاوية بن أبي سفيان ، فعرفه ، فأخبر قريشاً بمكانه ، فخافوه وطلبوه ، وكان فاتكاً في الجاهلية ، فهرب عمرو وسَلَمة** .

ولقي **عُبَيْدَ الله بن مالك التميمي** ، وكان مشركاً ، فقتله ، وقتل مشركاً آخر ، سمعه يغني ويقول :

ولستُ بمسلمٍ ما دُمتُ حيّاً

ولستُ أدينُ دينَ المسلمينـا !

ولقي رسولين لقريش من المشركين ، يتجسسان على المسلمين ، فقتل أحدهما وأسر الآخر .

وقدم **عمـــرو** المدينة المنورة عائداً من رحلته إلى مكة المكرمة ، فجعل يُخبر **رسول الله ﷺ** خبره ، **ورسول الله ﷺ** يضحك إعجاباً بشجاعته النادرة .

ومواقف **عمـــرو** البطولية كثيرة جداً ، فقد كان بطلاً في الجاهلية ، وبطلاً في الإسلام .

القـــــائد الثـــامن . . .

ومـات **أبو بكر الصديق رضي الله عنه** على فراشــه ، وقد تولى القيادة لأول مرة في شهر شعبان من السنة السابعة الهجرية .

وكان من المهاجرين السبعة الذين ثبتوا مع **رسول الله ﷺ** يوم **(أُحد)** .

وأثبت كفاية عالية في **قيادته المستقلة** لسريته ، وانتصر بالعدد القليل من رجاله على العدد الكثير من المشركين .

وكان من الذين ثبتوا مع **رسول الله ﷺ** يوم **(حُنَيْن)** ، والذين ثبتوا معه يومئذ قليل .

وقال **عبد الله بن مسعود** عن شجاعة **أبي بكر** :

« **لقد قمنا بعد رسول الله ﷺ مقاماً كدنا نهلك فيه ، لولا أن الله مَنَّ علينا بأبي بكر** » في عزمه وتصميمه على قتال المرتدين ، وانتصاره عليهم نصراً مؤزراً ، فاستعاد التوحيد والوحدة للعرب في ظلِّ الإسلام .

وعن **أبي رجاء العُطاردي** قـــال :

« **دخلت المدينة ، فرأيت الناس مجتمعين ، ورأيت رجلاً يُقبِّل رأس رجل ، وهو يقول : أنا فداؤك ! ولولا أنت لهلكنا . فقلت : مَنْ المُقبِّل ، وَمَن المُقبَّل ؟ قالوا : ذاك عمر يقبِّل رأس أبي بكر في قتاله أهل الردَّة ، إذ منعوا الزكاة حتى أتوا بها صاغرين** » .

وحسبنا **شهادة الأمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه** ، فقد سأل **عليٌ** من حوله : « **أخبروني من أشجع الناس ؟** » ، فقالوا : « **أنـــت** » ، فقال : « **أما أني ما بارزت أحداً إلا انتصفت منه ، ولكن أخبروني من أشجع الناس ؟** » ، فقالوا : « **لا نعلم** » ، **فقال** : « **أبو بكر ! إنه لما كان يوم بدر ، فجعلنا لرسول الله ﷺ عريشاً** ، فقلنا : **من يكون مع رسول الله ﷺ ، لئلا يهوي إليه أحد من المشركين ؟ فوالله ما دنا منّا أحدٌ إلا أبا بكر شاهراً بالسيف على رأس رسول الله ﷺ ، لا يهوي إليه أحد ، إلا هوى إليه ، فهو أشجع الناس** » .

وشجاعة **أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه وأرضاه** ، أشهر من أن تُعرَف ، وهي ليست بحاجة إلى دليل .

إن شجاعته النادرة لا تتكرر أبداً .

القـــــائد التاســـع . . .

ومات **غالب بن عبد الله الليثي** حتف أنفه على فراشه في داره بأجله الموعود ، وقد تولى القيادة لأول مرة في شهر رمضان من السنة السابعة الهجرية .

وتولى **غالب** قيادة أكثر من سرية من سرايا **النبي ﷺ** ، حقق بها انتصارات باهرة بقواته القليلة على قوات المشركين الكثيرة ، فكان بحق قائداً فذاً من قادة **النبي ﷺ** ، كما قاد مقدمة **النبي ﷺ** في غزوة فتح مكة ، وكانت قيادته متميزة للغاية .

وشهد **غالب** معارك حروب الردَّة وفتح العراق ، فكان من أبطال المسلمين المعدودين ، وفي معركة (**البُوَيْب**) التي كانت سنة ثلاث عشرة الهجرية ، وكانت من معارك فتح العراق ، قتل **غالب** وحده تسعة رؤوس من الفرس في هذه المعركة وحدها .

وكان له موقف مشرِّف في معركة القادسية الحاسمة التي كانت سنة أربع عشرة الهجرية ، **فهو الذي قتل هُرمز ملك مدينة (الباب) التي تسمى اليوم** : **(دربند)** على بحر الخزر ، وكان **هُرمز** يومئذ من أكبر قادة الفرس ومن أشجع شجعانهم .

لقد كان **غالب** بطلاً مغواراً ، يتحلى بالشجاعة النادرة .

القـــــائد العاشـــر . . .

ومات **أبو قَتَادة بن ربعي الأنصاري الخزرجي** على فراشه في داره بأجله الموعود ، وتولى القيادة لأول مرة في شهر شعبان من السنة الثامنة الهجرية .

وكان قد شهد سرية **عبد الله بن عَتِيك** ، لقتل اليهودي أبي رافع **سَلَّام بن أبي الحُقَيق النَّضْري** ، وقد قتلته لأنه كان يحرض المشركين على المسلمين ، فنسي **أبو قتادة** قوسه في موضع قتل **أبي رافع** ، فذكرها بعد ما نزل ، فرجع واستعاد قوسه ، ثم عاد إلى أصحابه ، دون أن يخشى حشود يهود أو يحسب لها حساباً .

وشهد غزوة (**المُرَيْسِيْع**) ، وكان يحمل لواء المشركين أحدهم وهو **صَفْوَان ذو الشُّقْر** ، فشد عليه **أبو قتادة** ، فكان الفتح .

وشهد غزوة (**ذي قَرَد**) ، فقتل **مَسْعَدَة بن حَكَمَة بن مالك بن حُذَيْفَة الفَزَاري ، وحبيب بن عُيَيْنَة بن حِصْن** ، فقال **رسول الله ﷺ** يوم ذي قَرَد : « **خير فرساننا أبو قتادة** » ، ومن يومها أصبح يعرف بفارس **النبي ﷺ** .

وكان في قيادته لسريتين من سرايا **النبي ﷺ** موفقاً ، فأثبت أنه قائد لامع .

وشهد غزوة (**حُنَيْن**) ، فقتل أحد المشركين ، فأراد أن يستأثر بسلبه أحد مسلمي الفتح الذين أسلموا حديثاً بعد فتح مكة ، فقال هذا الرجل **للنبي ﷺ** :

« **يا رســول الله ! سَلَبُ ذلك القتيل عندي ، فَأَرضِه عني** » ، يريد سَلَب قتيل أبي قتادة ، ويريد أن يستأثر به دون أبي قتادة .

ولكن **أبا بكر الصديق** قال : « **لا والله ! لا يُرضيه منك ، تَعْمد إلى أسد من أُسْدِ الله ، يقاتل عن دين الله ، تقاسمه سلبه ! ارْدُد عليه سَلَب قتيله** » ، **وكان هذا الأسد من أُسد الله** ، الذي يقاتل عن دين الله ، **أبا قتــادة** .

والحديث عن شجاعة **أبي قتـــادة** النادرة وبطولاته الفذَّة يطول .

دروس حيويان مقتبسان من قادة النبي صلى الله عليه وسلم لحاضر المسلمين ومستقبلهم

القـائد الحادي عشر . . .

ومات **خـالد بن الوليد** على فراشـه كما يموت العير ، كما قال هو عن نفسه حين حضرته الوفاة .

وكان قد تولى القيادة لأول مرة في سرية (مُؤْتَه) التي كانت في جمادى الأولى من السنة الثامنة الهجرية ، فقد أمَّره المسلمون على أنفسهم بعد استشهاد قادة هذه السرية الثلاثة بالتعاقب : **زيد بن حارثة ، وجعفر بن أبي طالب ، وعبد الله بن رَواحة** ، فاصطلح المسلمون على **خـالد** ، وولَّوه قيادتهم في موقف ميؤوس منه وعصيب للغاية ، فأنقذ المسلمين الذين شهدوا تلك المعركة وبقوا على قيد الحياة ، من الإبادة والإفناء ، بفضل قيادته النادرة وشجاعته الفذَّة .

واستعمله **النبي** ﷺ على سرية من سراياه لأول مرة في شهر رمضان من السنة الثامنة الهجرية ، ثم استعمله من جديد على سريتين أخريين ، كما استعمله قائداً مرؤوساً في غزوة فتح مكة وغيرها .

لقد شهد **خـالد** ثلاث معارك مع المشركين على المسلمين ، وشهد بعد إسلامه اثنتي عشرة معركة في **عهد النبي** ﷺ ، وشهد في حروب الردَّة على عهد **أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه** ثلاث معارك هي أهم وأخطر وأكبر معارك حروب الردَّة ، وقاتل الفرس في العراق في خمس عشرة معركة ، وخاض في طريقه من العراق إلى أرض الشام غمار أربع معارك ، وقاد سبع معارك في أرض الشام ، فكان مجموع ما شهده من معارك في حياته العسكرية أربعاً وأربعين معركة ، كانت نتائجها كلها باهرة في تاريخ الإسلام وفي تاريخ العرب والمسلمين وفي تاريخ الحرب العالمي .

وانتصاراته الباهرة جعلته قائداً مشهوراً منذ كان حتى اليوم وإلى ما شاء الله ، ليس على النِّطاق العربي أو الإسلامي فحسب ، بل على النِّطاق العالمي ، ومعاركه تدرس في المعاهد والمدارس والكليات العسكرية الأجنبية ، كما تدرس في المعاهد والمدارس والكليات العسكرية وكليات الأركان والقيادة العربية الإسلامية .

وطالما سمعنا أو قرأنا ، أن ألمع قادة الغرب ، يفخرون بأنهم طبَّقوا خطة عسكرية تعلموها من خطط **خـالد** .

وطالما سمعنا أو قرأنا أن ألمع القادة الأجانب يشبِّههم الذين يريدون أن يرفعوا أقدارهم من الكتَّاب والمؤلفين بأنهم **كخالد** ....!

ولولا حرصي على ألا أذكر أولئك القادة الأجانب الذين يفخرون بـ « **خـالـد** » ، وأولئك الـذين يشبِّهـون القـادة الأجانب بـ « **خالد** » ، لعدَّدت أسماءهم ، فلن يكون أحدهم مثله أبداً ، وشتان بين الأصل والصورة ، وشتان بين **خالد** وبين غيره من القادة الأجانب !

وحسب **خالد** قولة **رسول الله** ﷺ فيه :
« **خالد سيف من سيوف الله ، سلَّه الله على المشركين** » .

ولكن خالداً حين حضرته الوفاة قال : « **ما كان في الأرض من ليلة أحبّ إلي من ليلة شديدة الجليد ، في سرية من المهاجرين ، أصبِّح بهم العدو ، فعليكم بالجهاد** » .

وتنهد قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة ، حزناً وأسفاً على الشهادة التي فاتته بالرغم من تعرضه لأفدح الأخطار ، في أقسى المعارك ، فقال : « **شهدت مائة زحف أو زهاءها ، وما في جسدي موضع شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة أو رمية ، ثم ها أنا ذا أموت على فراشي كما يموت العير ، فلا نامت أعين الجبناء** » .

القـائد الثاني عشر . . .

ومـات **عمرو بن العاص** على فراشه ، وقد تولى القيادة لأول مرة في شهر جمادى الآخرة من السنة الثامنة الهجرية ، وتولى قيادة سريتين من سرايا **النبي** ﷺ ، فأحسن في قيادته غاية الإحسان .

ولما التحق **النبي** ﷺ بالرفيق الأعلى ، شهد **عمرو** حروب الردَّة ومعارك فتح بلاد الشام ، كما شهد فتح مصر وليبيا ، وفَتَحَ فلسطين وأجزاء من بلاد الشام ومصر وليبيا .

ومن مواقفه التي تدل على شجاعته النادرة ودهائه أيضاً ، أنه أقام على (**أَجْنَادِين**) في فلسطين ، لا يقدر على قائدها **الأرطبون الرومي** ولا تشفيه الرسل ، فسار إليه بنفسه ، ودخل عليه كأنه رسول ، ففطن به **الأرطبون** وقال : « **لا شك أن هذا هو الأمير أوَمنْ يأخذ الأمير برايه** » ، فأمر رجلاً أن يقعد على طريقه ليقتله إذا مر به .

وفطن **عمـرو** بغدر **الأرطبون** ، فقال له : « **قد سمعت مني وسمعتُ منك ، وقد وقع قولك مني موقعاً ، وأنا واحد من عشرة بعثنا عمر بن الخطاب مع هذا الوالي لنكاتفه ويشهدنا أموره ، فارجع فآتيك بهم الآن ، فإن رأوا في الذي عرضت مثل الذي ارى ، فقد رآه أهل العسكر والأمير ، وإن لم يروه رددتهم إلى مامنهم ، وكنت على رأس أمرك** » ، فقـال **الأرطبون** : « **نعم !** » ، وردّ الرجل الذي أمره بقتل **عمرو** ؛ وخرج **عمـرو** من عند **الأرطبون** ، فعلم **الأرطبون** أن **عَمْراً** خدعه ، فقال : « **خدعني الرجل ! هذا أدهى الخلق** » ، وبلغت هذه القصة **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه ، فقال : « **لله درّ عمـرو !** » .

لقد كان **عمـرو** من فرسان قريش وأبطالهم في الجاهلية مذكوراً بذلك فيهم ، وكان جريئاً مقداماً ، وذا رأي قريش كما وصفه **ابو بكر الصديق رضي الله عنه** ، فكان **عمرو** يقاتل بشجاعته النادرة وعقله الراجح ، لذلك كان موضع **ثقة النبي** ﷺ وخلفائه من بعده ، فقال **عمرو** عن **ثقة النبي** ﷺ به واعتماده عليه : « **ما عدل بي رسول الله ﷺ وبخالد بن الوليد أحداً من أصحابه في حربه منذ أسلمت** » .

وصـدق **عمـرو** ، وحسبه **ثقة رسول الله** ﷺ به ، وهي ثقة لا تكون إلا في مكانها الصحيح

القـــائد الثالث عشر . . .

ومـات **سعد بن زيد الأنصاري الأوسي الأشهلي** حتف أنفه ، وقد تولى القيادة لأول مرة في شهر رمضان من السنة الثامنة الهجرية .

وقد شهد غزوة (**ذي قَرَد**) قائداً لفرسان المسلمين ، فطارد **عُيَيْنَة بن حِصْن** الذي أغار على سرح المسلمين بالقرب من المدينة المنورة ، وقتل **حبيب بن عُيَيْنَة بن حِصن** في رواية ، وفي رواية أخرى أن الذي قتله هو **أبو قَتَادَة** كما ذكرنا من قبل .

وأحسن **سـعد** في قيادة سريته غاية الإحسان ، وأحسن في أداء واجبه على أحسن وجه .

وقد شهد **سـعد** بَدْراً وأُحداً والخندق والمشاهد كلها مع **رسول الله** ﷺ ، كما شهد قسماً من سرايا **النبي** ﷺ جندياً مرات وقائداً مرة واحدة ، فأدّى واجبه في الجهاد العملي جندياً وقائداً بشكل مثالي يدعو إلى أعمق التقدير ، وأبدى في جميع المعارك التي خاضها شجاعة نادرة .

لقد كان **سـعد** معدوداً من أشجع شجعان الأنصار .

القـــائد الرابـع عشر . . .

ومات **عُيَيْنَة بن حِصْن الفَزَارِي** على فراشه كما يموت العير ، وكان قد تولى القيادة لأول مرة في شهر المحرم من السنة التاسعة الهجرية .

وكان بطلاً من أبطال العرب في الجاهلية وبعد الإسلام ، وسيداً من سادات العرب ، وكان أحد المؤلَّفة قلوبهم ، الذين كانوا أشرافاً من أشراف العرب ، يتألَّفهم **النبي** ﷺ بما أعطاهم ويتألَّف بهم قومهم .

وكان **عُيَيْنَة** من الجرّارين في الجاهلية يقود عشرة آلاف ، ولم يكن الرجل يسمى : جرّاراً ، حتى يرأس ألفاً على الأقل ، وقد قاد **غطفان إلى بني تَغْلِب** ، كما قاد قومه في كثير من أيام العرب قبل الإسلام .

وشهد معارك طاحنة مع المشركين على المسلمين قبل إسلامه ، وشهد معارك طاحنة مع المسلمين على المشركين بعد إسلامه جندياً وقائداً .

وقاد سرية من سرايا **النبي** ﷺ ، لأنه كان أول من انتدب لحرب المنحرفين من **بني تميم** الذين منعوا الزكاة ، ولم يستجيبوا للمصدِّق الموفد إليهم من **النبي** ﷺ ، فكان عند حسن ظن المسلمين به في قيادته ، وكان لشجاعته النادرة أثر عظيم في انتصار سريته بعددها القليل على المنحرفين بعددهم الكثير .

لقد كانت حياة **عُيَيْنَة** سلسلة من المعارك المتصلة ، فقد كان بطبيعته **مِسْعَر حرب** (المسعر : ما تحرك به النار من حديد أو خشب ، ومسعر حرب : موقد حرب) ، عاش في حرب متصلة لا تكاد تهدأ ، وكان فيها فارسها البطل .

القـــائد الخامس عشر . . .

ومـات **قُطْبة بن حَدِيدة الأنصاري** حتف أنفه ، وهو الذي تولى القيادة لأول مرة في شهر صَفَر من السنة التاسعة الهجرية .

وقد شهد غزوة (**بَدْر**) الكبرى الحاسمة ، فرمى حجراً بين الصفين وقال : « **لا أفرّ حتى يفرّ هذا الحجر** » ، وقد ثبت في تلك الغزوة ثبات الراسيات ، وقاتل فيها قتال الأبطال ، وأسر أحد صناديد قريش من المشركين .

وشهد غزوة (**أُحد**) ، وكان أحد الرماة الماهرين الذين برزوا بين المسلمين في تلك الغزوة ، وجرح فيها تسع جراحات ، فلم تمنعه جراحاته الغائرة من المبادرة إلى الخروج في اليوم التالي من يوم (**أُحد**) مع **النبي** ﷺ والمسلمين الذين شهدوا غزوة (**أُحد**) إلى (حمراء الأسد) لمطاردة المشركين ، فشهد مع **رسول الله** ﷺ تلك الغزوة التي رفعت معنويات المسلمين من جهة ، وحطَّمت معنويات المشركين من جهة أخرى .

وشهد **قطبة** معركة (**مُؤتَة**) ، فلما استُشهد القادة الثلاثة بالتعاقب ، وكانت الهزيمة وقُتل المسلمون ، جعل قطبة يصيح : « **يا قوم ، يُقتل الرجل مقبلاً أحسن من أن يُقتل مُدبراً** » فقاتل في تلك المعركة قتال الأبطال الأفذاذ .

وشهد **غزوة فتح مكّة** ، فعقد **النبي** ﷺ الألوية والرايات في (**قُدَيْد**) ، **فجعل راية بني سَلِمَة قومه من الأنصار مع قطبة ، والراية لا تُعقد إلا لمن يحافظ عليها ويحميها من الأعداء** .

وحين تولى **قطبـة** قيادة سرية من سرايا **النبي** ﷺ ، أحسن في قيادته غاية الإحسان ، وانتصر على عدوِّه وعدوِّ المسلمين انتصاراً باهراً ، بينما كانت سريته قليلة العدد والمدد ، وكاد عدوّه وعدوّ المسلمين كثير العدد والمدد .

وقد شهد المشاهد كلها مع **رسول الله** ﷺ ، لم يتخلف عنه في مشهد من مشاهده ، بالإضافة إلى السرايا التي شهدها مع قادة السرايا الآخرين ، فكان في كل مشهد شهده نادر الشجاعة فذ الإقدام .

لقد كان **قطبـة** من أشجع شجعان الأنصار ، معروفاً بالشجاعة والإقدام .

الأجـــل الموعـــــود . . .

تلك هي الحقيقة الناصعة ، التى برزت لأول مرة في مطلع القرن الأول الهجري ، رسالة من رسائل الغيب ، تنكشف وتُكتشف لتذكر الجبناء بأن الأعمار بيد الله ، ولا يزيد فيها الجبنُ لحظة واحدة ، ولا تنقص منها الشجاعة لحظة واحدة أيضاً ، فقد رُفعت الأقلام وجفّت الصحف ، وصدق القائل : « **اطلب الموت توهب لك الحياة** » .

هكذا بكلّ بساطة ، مات على فراشه الأشجع ، واستُشهد الشجاع في ميدان القتال .

ولم يستشهد الذي مات على فراشه من عجز ، بل حرسه أجلُه ، ونِعْم الحارس الأجل ، ولا حارس كالأجل .

ومات الذين قضوا نحبهم على فراشهم ، ومات الشهداء تحت ظلال السيوف ، ولم يبق أحد منهم ، ولكن استأثر الشهداء بالحياة الباقية التي كرمهم بها سبحانه وتعالى ، وجعلها ميزة لهم دون غيرهم من الناس .

ودرجة الشهداء عند الله من أرفع الدرجات ، وصدق الله العظيم :

﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً ، ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيماً ﴾ (النساء:٦٩-٩٠) .

ولو عاد المسلمون إلى مثل هذه التعاليم ، لما هانوا على الناس وعلى أنفسهم أيضاً .

والله غالب على أمره ، وهو على كل شيء قدير

بقلم : د. محمد سعيد رمضان البوطي

عندما يتحول اختلاف المسلمين إلى تهارج قتّال

إغلاق مسجد واشنطن ..

حدّثني صديق فاضل أجلّه، قال: كنت ربيع هذا العام في رحلة إلى أمريكا لزيارة بعض الأرحام. وقصدنا ذات يوم زيارة مسجد واشنطن، للتعرف عليه. ولكننا فوجئنا به مغلقاً، وشرطيّ واقف كالحارس عليه !.

فقلنا له: نريد زيارة المسجد والصلاة فيه.

فأجابنا: إن مسلمي المسجد، في ثورة Excitement وقد اشتدت فيما بينهم الخصومة، مما اضطر الحكومة إلى إغلاق المسجد. وسيبقى مغلقاً إلى شهر رمضان !!..

ما أظن أنني تلقيت خبراً آلمني كهذا الخبر على صغره وبساطته !.

وأخذت أتساءل في مرارة: ترى ما هي تلك المعضلة الكبرى التي تخاصم أهل ذلك المسجد من أجلها حتى تصاعد خصامهم إلى ثورة هائجة؟ وحتى استدعى الأمر أن تتدخل السلطة الأجنبية فتغلق مسجدهم وتبعدهم عن حماه قمعاً للفتنة ودرءاً للشر ؟!..

هل يمكن أن يكونوا قد اختلفوا فيما بينهم في مسألة وجود الله ووحدانيته، أو في أحد أركان الإسلام المعروفة، أو في أي شيء مما ثبت كونه من الدين بالضرورة ؟

من المستحيل ذلك !.. فإن القوم مسلمون، وما جمعهم في المسجد إلا أنهم مسلمون فعلاً. وما كان المسلمون الصادقون ليرتابوا في شيء من أصول الإسلام وأركانه الأساسية، ولا في شيء من أحكامه المعروفة بالبداهة والضرورة.

سبب اختلاف المسلمين اليوم

إذن، فما هي تلك المشكلة المصيرية الكبرى التي تخاصموا فتعادوا من أجلها، حتى لم يبالوا بأن يحطموا في سبيلها تآخيهم، وأن يحكموا الأجنبي في رقابهم، ويتسببوا في إغلاق مسجدهم.. وأن يقف الحارس الأمريكي على بابه ليعتذر لكل مصل ووافد، بأن المسلمين أصحاب المسجد، في «حالة ثورة» لا تسمح بفتحه وممارسة الشعائر فيه ؟!..

إنها مشكلة الانتماءات السياسية والاختلاف في معاني الدعوة والجهاد.. والجدل العقيم حول: **أيهما أقوم سبيلاً، سبيل ما يسمى بالسلفية أم سبيل ما يسمونه بالتمذهب** !.. ولا ريب أن هذا الخلاف يتخذ مظهره في كثير من منثورات المسائل والممارسات الفقهية: هل يُصلّى على النبي بعد الأذان ؟ هل تؤدى أوراد ما بعد الصلاة جهراً بشكل جماعي ؟ هل يقنت في الفجر ؟ وهل يكون ذلك جهراً ؟ وأين المكان المفضل لوضع اليدين في الصلاة: عند أعلى الصدر أم أدنى الصدر أم عند السرة ؟.. إلخ.

أجل.. قد تكون هذه وأمثالها هي المشكلات المصيرية العظمى التي تصارع حولها مسلمو مسجد واشنطن حتى أسلمتهم لثورة عارمة اهتاجت فيما بينهم، انتهت بإعطاء الثمار المريرة التي أشرنا إليها !..

والعجيب أن صراعهم لم يهدأ ولم ينته إلا بهذا الحل الأليم !.. فكأن أطراف النزاع كلهم كانوا يطمحون من وراء نزاعهم إلى هذا المصير !..

الانتصار للعصبة والعصبية ..

تُرى أين تقف هذه الرعونة من معنى الإسلام العظيم الذي عرفناه نقياً صافياً في كتاب الله عز وجل، ثم زادته لنا إيضاحات سنة رسول الله ﷺ، فلم نعرفه من خلال هذين المصدرين إلا جملة مبادىء وأحكام قدسية، تؤلف بين القلوب، وتجمع الشتات، وتطرد بذور الشقاق والضغائن من طوايا النفوس ؟

امخلصون لوجه الله أولئك الذين تتقاذف أفواهُهُم حُمَمَ الضغائن والأحقاد، كل

● ما أجدر الذين يقفون مواقف الدعوة إلى الله أن يأخذوا أنفسهم بدوام المراقبة لله حتى لا يختلط عليهم الانتصار للدين بالانتصار لحظوظ النفس ..

● أمخلصون لوجه الله أولٰئك الذين تتقاذف أفواههم حمم الضغائن والأحقاد .. كلّ ينتصر لعصبته وعصبيته ويضحي بالإسلام كله في سبيل أنانيته الكامنة في قناعاته وآرائه الشخصية ؟

ينتصر لعصبته وعصبيَّته ، ويضحي بالإسلام كله في سبيل انانيته الكامنة في قناعاته وآرائه الشخصية ؟

أين التعاون فيما هو محل اتفاق بين جميع المسلمين الصادقين ، من كليات الدين وأصوله والمجمع عليه من قواعده وأحكامه ، وما عرفنا في وجوب هذا التعاون أي خلاف بين أئمة المسلمين وعامتهم في أي عصر من عصورهم الراشدة ؟.. وأين الإعذار في الفرعيات والجزئيات الاجتهادية ، وما عرفنا في وجوب إعذار المسلمين بعضهم بعضاً في شأنها أي خلاف في أي مذهب من مذاهبهم السائدة ؟..

تهارج ضيَّع مسجداً .. وتهارج ضيَّع وطناً !!

أما إنها لا تخرج عن إحدى مصيبتين ، كل منهما شر من الأخرى .

إمَّا أن القوم من البلاهة والغباء ، بحيث يعوزهم أدنى درجات الوعي في تبصر حقائق دينهم والسعي إلى تطبيق مبادئه وأحكامه حسب الأولويات التي صنفت وتدرجت على أساسها .

وإما أنهم تحولوا عن عبوديتهم لله عز وجل إلى عبوديتهم للذات ، فاتخذ كل منهم من انتمائه الإسلامي غذاء لإشباع أنانيته وسلاحاً للدفاع عن ذاته ، وأداة انتصار لميوله السياسية وقناعاته المذهبية .

وأياً كانت المصيبة ، فإنها إنما تعود بالسوء والدمار إلى جسم هذه الأمة الإسلامية التي أثخنتها الجراح ومزقتها الفتن والأهواء .

وهل سلب الله من هذه الأمة أعز أوطانها ، إلا كما سلب من تلك الجماعة مسجدها ومكان عبادتها ؟ وهل السبب هنا إلا عين السبب هناك ، مع فرق في اتساع الدائرة وتصغير أو تكبير الصورة ؟

وهل من راشد بالغ لا يعتبر بالظروف المؤسفة الأليمة التي انجرفت إليها هذه الأمة يوماً ما ، مدفوعة إليها بعوامل العصبية والشهوات والأهواء ، إذ خرجت من حصن إسلامها العظيم ، لتتهارج في العراء حول فقاقيع الجزئيات المذهبية ، أو سعياً وراء المناصب الرخيصة ، فاستلب الله منهم الملك .. وأغرى بهم جحافل التتار من الشرق ، وجيوش الصليبيين من الغرب !..

عواصف ... ومناحرات !

ترى لماذا لا يعتبر إخواننا اليوم ، ولماذا يتخطُّون في طريق المهلكة بعينها ، ولماذا لا توقظهم سياط التربية الإلٰهية وقوانينه الصارمة ، مع أنه لا ينقصهم وعي ثقافي ولا دراية بالسُّنَن والتاريخ ؟!..

ومن العجب ، أنك تسمع من كثير من هؤلاء الناس ، شكوى الاختلاف بين علماء المسلمين ومفكريهم في كثير من الأحيان ، ثم لا يجدون أمامهم من سبيل للقضاء على هذا الاختلاف وللسعي إلى توحيد آراء الأمة ومذاهبها ، وجمعها على أقوم طريق واحد للدعوة إلى الله والجهاد في سبيله ، إلا استثارة هذه العواصف والمناحرات !..

ولقد كان عليهم أن يتنبهوا بمقتضى أدنى ما يستوجبه الوعي الإسلامي ، إلى أن الخلاف الخطير الذي حذر منه الإسلام ، إنما هو هذا الذي يفعلونه بأيديهم ، من إثارة للشقاق وتهييج للأضغان ، واختلاف لأسباب التناحر والعدوان .. لا ذلك الاختلاف الاجتهادي في مسائل فرعية جزئية ، أعلن رسول الله ﷺ للناس جميعاً بملء فمه أن كلاً من المصيب والمخطىء فيها مثاب .

الاختلاف الفقهي والعلمي ليس عيباً

ولقد بات من المعروف لنا جميعاً أنه قد بلغ من شدة رعاية الإسلام لوحدة الأمة والحذر من أن يتسرب إليها أي سبب من أسباب التصدع ، أنه شرع للمسلمين الاختلاف في كل ما يتجاوز جذور الإسلام المتمثلة في مبادئه الكلية وأركانه الأصلية

عندما يتحول اختلاف المسلمين إلى تهارج قتال

وأحكامه المعروفة من الدين بالضرورة ، وفسح لهم الطريق إلى البحث فيها بحرية فكرية متناهية ، على أن يتوفر عنصر الصدق في النظر والبحث ، ثم نهى فئات المسلمين وأفرادهم ، سواء تمثلوا في سلطة حاكمة أو أئمة وقضاة ، عن حمل سائر المسلمين عن التخلي عن قناعاتهم الاجتهادية أو اتباعاتهم المذهبية ، وإجبارهم على التزام مذهب واحد أياً كان منبعه وصاحبه .

كل ذلك في سبيل أن تتصافى قلوب المسلمين ، ولا يتهدد أُلفَتَهم شقاق أو خصام . وفي سبيل أن يوفروا فضول أوقاتهم لحراسة جوهر الدين ، والنهوض بواجب الدعوة إليه ، وضفر الجهود في سبيل الدفاع عن حوزته ، متضافرين متحدين غير متعادين ولا متشاكسين .

ولقد كان بوسع رسول الله ﷺ أن يمضي جلَّ وقته الثمين مع أصحابه ، في تقويم آرائهم الفقهية ، والفصل في خلافاتهم الاجتهادية ، ولكنه لم يفعل ذلك .. ولو فعل ، لبقي كلَّ الحقيقة الإسلامية غرساً ضعيفاً غير يانع ، ولطار مع أول عاصفة هوجاء ، ولما رأيناه بفضل جهده وجهاده المتبصر المخلص جذعاً قوياً راسخاً يضرب بجذوره تخوم الأرض ، وتمتد أغصانه الوارفة إلى الآفاق الأربعة .

موقف الرسول ﷺ من الاختلاف الفقهي

أولم يختلف جمع كبير من الصحابة يوم بني قريظة ، في صلاة العصر ، أيؤخرونها فلا يصلونها إلا في بني قريظة ولو غربت الشمس وهم في الطريق ، أم يصلونها في الطريق وإن خالفوا بذلك حرفية الوصية من رسول الله ، ثم فعل كل فريق ما هداه إليه فهمه واجتهاده ؟

ورسول الله ﷺ ، ألم يكن بوسعه أن يُجْلس المختلفين فيبين لهم المصيب من المخطىء ، ويعطيهم درساً في عدم الاختلاف ، وأن لا يعودوا إلى مثل هذا الموقف بعد اليوم ؟

ولكن رسول الله ﷺ لم يفعل ذلك ، ولم يعر الأمر أي اهتمام ، فلقد كان الوقت لديه أضيق من أن ينفقه معهم في تطبيقات فقهية جزئية أساس قبول الله تعالى لها صفاء القصد وتحقيق الإخلاص .

لقد كان عليه أن يوفر الوقت معهم للخطب الجسيم الذي يتهددهم : فاليهود يحيكون المؤامرات ، وقد نسقوا الجهود بينهم وبين بقية أعداء الإسلام الذين تلاقوا من كل صوب للقضاء على جذوة الدين وخنق روافده وإغلاق سبيل انتشاره .

العلم والإخلاص يورثان ملكة التبصر

ما أشك في أن أي مسلم أخلص دينه لله ، واتخذ من رسول الله ﷺ قدوة في السلوك لا بدَّ أن ينال من هديه عليه الصلاة والسلام ملكة تبصِّره بمنهج السير إلى الله وكيفية التعامل مع عباد الله .

وما من ريب في أن إخلاص مثل هذا المسلم يورثه شفقة على عباد الله ، وأدباً في التعاون معهم ، وسعياً حثيثاً بكل ما أوتي من أداة وقوة لرأب صدعهم ولمّ شعثهم ونسج أواصر الحب فيما بينهم .

ولا بد أن يدرك بحسه الإسلامي الذي صفاه الإخلاص لوجه الله عز وجل عن شوائب الانتصار للذات ، الكليات الأساسية التي يجب الذود عنها والاتفاق عليها ، والجزئيات الفرعية التي يهون الخطب في تعدد وجوه فهمها وتطبيقها ، ولكن لا بد أن يتعاظم الخطب في شأنها إن هم تشاحنوا وتعصبوا عندها وتسافهوا في شأنها .

مصائبنا ... المهلكة ..

غير أن مصيبتنا العظمى أننا فقدنا الإخلاص لوجه الله عز وجل في أكثر أحوالنا وتقلباتنا ! .. وإنما الإخلاص روح الإسلام التي أن اختفت منه تحول إلى أشكال وطقوس ميتة .

ومصيبتنا الأخرى أننا فقدنا العلاج الذي نستعيد به هذه الروح . فلا نكاد نبحث عنه أو نتعرف عليه ، فضلاً عن أن نأخذ أنفسنا به !..

والعلاج الذي يحفظ الإنسان من غوائل النفس ويغرس في قلبه سر الإخلاص ، إنما يعرفه أولئك الربانيون الذين تسامت نفوسهم إلى صعيد الإحسان ، حيث يتحرر الوجدان من تبعية الأغيار ، وتستيقظ في القلب كوامن اللوعة والحب ، من دوام المراقبة لله عز وجل .

الا ما أجدر الذين يقفون مواقف الدعوة إلى الله ، وينشطون في سبيل الاصلاحات الاجتماعية ان يأخذوا نفوسهم بأصول هذه التربية ، حتى يتخلصوا من غوائلها ، وحتى لا يختلط عليهم الانتصار لدين الله بالانتصار لحظوظ النفس . وما أدق الفرق بينهما ، وما أكثر ما يقع بينهما اللبس لمن لم يمسك بميزان هذه التربية الوجدانية المثلى .

غير أن المصيبة الثالثة ، هي - كما يقول داعية هذا العصر الشيخ محمد الغزالي - إنَّ أكثر المسلمين اليوم أحد رجلين : إما متصوف لا صلة له بضوابط الشرع وموازين الفقه في الدين ، فلا تكاد تبارح الخرافة فكره ، ولا يكاد يستقيم سلوكه على نهج منضبط سوي ، وإما متفقه متحذلق لم تعمر التقوى قلبه ، ولم تجد التزكية إلى نفسه من سبيل ، فلا ينقاد في كثير من أحواله إلا لحظوظ النفس ودواعي الأهواء .

ولا يصلح حال المسلمين إلا إذا اتصلت أفئدتهم بالله عز وجل من خلال كلا هذين المسلكين معاً ، تزكية تهيمن على الوجدان ، وعلم يستنير به العقل وينضبط به السلوك .. ولا يمكن أن ينقدح شعاع البصيرة إلا من تلاقيهما وتفاعلهما في حياة الإنسان .

تزكية القلب والوجدان ... عماد التوفيق والفلاح

وبعد ، فلو بلغ المسلمون أعلى درجات الوعي الثقافي والدراية العلمية والدربة السياسية ، ثم لم يتوج كل ذلك بتزكية القلب وتربية الوجدان والتعلق بالله رغباً ورهباً ، فإن كل تلك الطاقات العلمية والثقافية والسياسية لن تحجزهم عن هذه المتاهات والمنزلقات الغبيَّة المهلكة . لأن غوائل النفس أقوى في جماحها من كوابح المعرفة والعلم . ورب علم غزير تحول إلى جند ذليل لسلطان العصبية وحب الذات . وما يعقل هذا إلا العالمون .

□ هذه البطاقات عبارة عن أفكار وتصريحات وأقوال ذات مساحات محددة يلتقطها بعض الإخوة من القراء بما يتمتعون به من حواس ذكيّة . ومن ثَمَّ يقدمونها من خلال هذه الصفحة ..

وهي محتجزة لتقديم كل نافع ومفيد من هذه العصارات المكثفة ، التي يُشار فيها إلى مكمن خطر .. أو يُكشف فيها قناع عن وجه عدو للأمة ومقوِّماتها .. أو يبصِّر برؤية ويسدد طريقاً ويقوِّم منهجاً . تحت عنوان خير الكلام ما قلَّ ودل □

مشروعات وأبحاث ...

□□ ذكرت مصادر وزارة الأرض المحتلة الأردنية ان إسرائيل بدأت تستخدم سفينة ابحاث في البحر الميت لدراسة المياه التي تحتوي على ثروات هائلة من المعادن المختلفة وتطورات التركيب المائي والمعدني للبحر ..

ويقع البحر الميت في أكثر مناطق العالم انخفاضاً عن مستوى البحر ، إذ يبلغ هذا الانخفاض (٤٠٣) أمتار ، وتعتبر مياهه في حالة تغير مستمر كيماوياً وجيولوجياً ، ويتكون من ثلاث طبقات مائية تختلف عن اية تركيبات من اي بحر آخر في العالم ..

وتقوم إسرائيل حالياً - كذلك - بتكوين بحيرات شمسية من مياه البحر الميت لتوليد الطاقة ، حيث تمتاز المنطقة المحيطة بالبحر بسرعة تبخر المياه فيها .. كما تعمل على إقامة محطة كهرومائية إضافة إلى استغلال الثروات المعدنية ومشاريع أخرى تعكف على تنفيذها إلى جانب مشروع مد القناة التي تربط البحرين ، المتوسط والميت □□

القارىء : محمد سالم العربي - الكويت (الوطن الكويتية)

التكامل الزراعي في العالم الإسلامي

□□ من الغريب جداً ان نقبل ترك امر تطوير الزراعة في بلادنا ، لدرجة كبيرة ، لمنظمة الاغذية والزراعة الدولية ، والاغرب من ذلك ان الغالبية العظمى من الخبراء الذين يعملون في بلداننا لحساب هذه المنظمة هم من بلدان عربية وإسلامية ، والأغرب من هذا كلّه انه بالرغم من تعاون هذه المنظمة مع بلداننا - منذ ما يقارب الثلاثين عاماً خلت - فإننا لم نحرز اي تطور ملموس في الزراعة ..

إذن ، لا بد للبلدان الإسلامية ان تنشىء منظمتها الخاصة لاغراضها الخاصة للعمل على تحقيق اهداف واضحة ومعينة .

ومثل هذه المنظمة كفيلة بإحداث تطور ملموس في الزراعة والإنتاج الزراعي ، عندئذٍ ، وفي خلال سنوات قليلة نسبياً سيكون لها آثارها الملموسة على الزراعة والتكامل الزراعي في العالم الإسلامي بإذن الله □□

القارىء : جعفر محمد - ماليزيا

[الفيصل]

بين أفغانستان .. والجزائر ..

□□ افغانستان تقاتل وحدها ، وعسانا لا نخدع انفسنا ونقول : إن المجاهدين سيصمدون إلى الأبد ، لان هؤلاء المجاهدين يحاربون روسيا بقوتها العسكرية الهائلة ، وإذا طال الزمن فإن أحداً لا يستطيع التنبؤ بما يمكن ان ينتهي إليه الصراع ، لان روسيا تدافع عن كل سمعتها في معركتها في افغانستان ، وهي لا يمكن ان تستسلم هناك كما استسلم الفرنسيون ثم الأمريكيون ..

لقد حارب الإسلام في الجزائر وانتصر لان هناك مسلمين كثيرين وقفوا إلى جانب الجزائر وايدوها وامدوها بالسلاح والعتاد على مدى ست سنوات ، ولا بد للإسلام المجاهد في افغانستان من عون كبير ومدد من العتاد والسلاح والمال والرجال مستمر ، فهل يا ترى ندرك هذه الحقيقة ، وندرك معها ان كل معركة تكسبها افغانستان هي نصر للعرب وللمسلمين ؟

القارىء : جبريل عثمان الشافعي (المجلة)

مهمة رسمية وسريَّة !!

□□ قام أحد الضباط الإسرائيليين المرابطين على حدود نهر الأوَّلي خلال الأسبوع الماضي بزيارة تحمل طابع « المهمة الرسمية والسرية » إلى بلدة دير القمر الشوفية التي تضم العائلات النصرانية المهجرة من قرى الشوف وعاليه ...

وقد توجه الضابط الإسرائيلي وبعض الجنود إلى بلدة دير القمر في « ملالة » - مركبة مصفحة - تجاوز بها الحصار المضروب حول البلدة - من الدروز - ودخل إلى أحد أحيائها ، وقصد منزل سيدة يهودية تقيم هناك منذ عشرات السنين ...

واجتمع الضابط الإسرائيلي بالسيدة اليهودية وبعض اقربائها اليهود الذين يصل عددهم إلى اثني عشر شخصاً ، واطّلع على أحوالهم الأمنية والاقتصادية ، وحمل إليهم كمية من المواد الغذائية والأدوية مع تأكيدات رسمية برعاية إسرائيل الدائمة لهم في أي وقت ...

وغادر الضابط الإسرائيلي دير القمر بعد إنجازه هذه المهمة عائداً إلى مواقع الجيش الإسرائيلي في صيدا ... وقد رفع تقريراً مفصلاً بهذا الموضوع إلى المراجع الرسمية المسؤولة للاطلاع □□

القارىء : عبد الله الصلح - طرابلس

[الحوادث]

نجاح المبتعث

□□ إن نجاح المبتعث - في مهنته - يرتبط بعناصر أربعة :

١ - عنصر الاستحضار الدائم للهدف الذي جاء - قاصداً - لتحقيقه ، فقصة الإنسان الناجح هي قصة إنسان لا ينسى هدفه ، ولا يغفل عن سعيه اليومي الدائب .

٢ - وعنصر السلوك المستقيم .. فالاستقامة ليست قربى إلى الله فحسب ، ولا وسيلة لدخول الجنة فحسب ، ولكنها إلى جانب ذلك كله عامل مهم من عوامل النجاح في هذه الحياة الدنيا .

٣ - وعنصر التركيز المتواصل على التخصص والنبوغ .

٤ - وعنصر الارتباط بقضية أمته . □□

القارىء : أحمد محمد الشربيني - المطرية - القاهرة

عن صحيفة : « الشرق الأوسط »

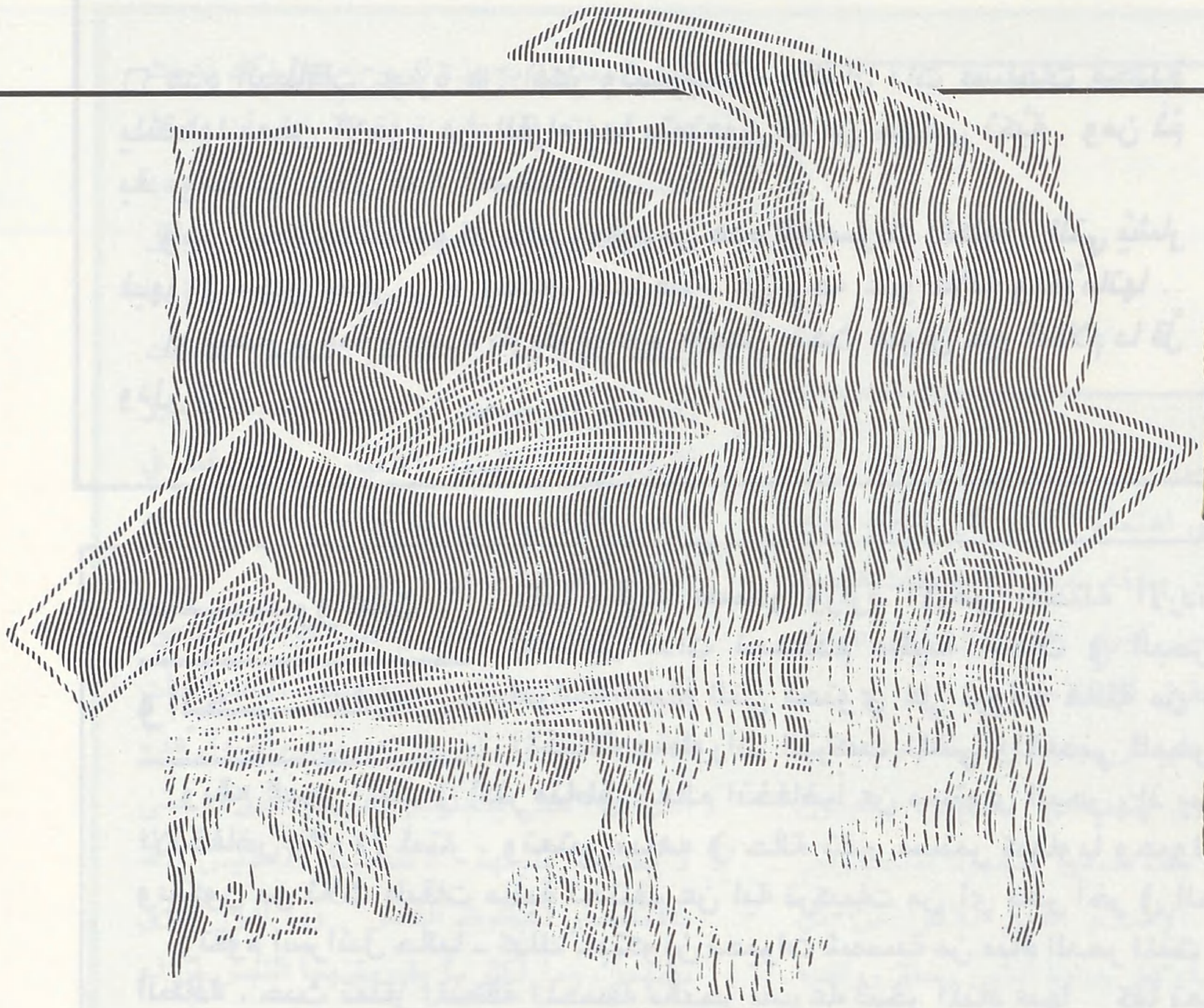

لماذا قامت روسيا بغزو أفغانستان ؟

■■ إذا نظرنا إلى خريطة أفغانستان السياسية والطوبغرافية والديمجرافية فإننا نستطيع أن ندرك بسهولة بعض الأسباب التي حدت بروسيا إلى غزو أفغانستان.

فخريطة أفغانستان السياسية ترينا أفغانستان محاطة بحدودها الشمالية والشمالية الشرقية، والشمالية الغربية .. بثلاث جمهوريات سوفييتية هي: جمهورية طادجكستان، وجمهورية أوزبكستان وجمهورية تركمنستان.

وهذه الجمهوريات الثلاث مع جمهورية قازاقستان وجمهورية قرغيزيا تشكل التركستان الغربية الرازحة تحت الاستعمار الروسي السوفييتي، حالياً منذ أكثر من ستين عاماً، وبعضها تم الاستيلاء عليه منذ أكثر من قرن من الزمان ■■

وتشكل أفغانستان الامتداد الطبيعي لهذه الجمهوريات وعلى مدار التاريخ كانت هذه الجمهوريات التركستانية متصلة اتصالاً وثيقاً بأفغانستان وإيران، ومنذ الفتح الإسلامي الذي ابتدأ في زمن **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه، وولاية خراسان تتبعها بلاد ما وراء النهر .. والمقصود نهر جيحون (**أموداريا**).

وخراسان التي كانت قصبتها **مرو** هي الآن مقسمة بين ثلاث دول هي:

(١) جمهورية تركمنستان السوفييتية، وفيها العاصمة القديمة «مرو ومن مدنها: نسف، وبيهق، ونساء. وهي كلها مدن لها في التاريخ الإسلامي دور مجيد وظهر منها المئات بل الآلاف من العلماء والأكابر.

(٢) القسم الشرقي من إيران وتشمل «طوس»، وتسمى اليوم «مشهد» لأن فيها مشهد الإمام علي الرضا، وقد كانت موطن الإمام الغزالي. ونيسابور التي أخرجت آلاف العلماء والمشاهير.

(٣) شمالي أفغانستان وغربيها، ومن مدنها المهمة الداخلة في تعريف خراسان: «بلخ» التي كانت تسمى قبة الإسلام، وهراة، ومرو الروذ، والفارياب، والطالقان.

وكان عامل خراسان يتولى حكم خراسان وبلاد ما وراء النهر للخلافة الراشدة أولاً ثم الخلافة الأموية ثم الخلافة العباسية.

(... ويدخل المؤرخون المسلمون الضفة الغربية لنهر جيحون في بلاد ما وراء النهر لأنها كانت تتبع وحدة سياسية على مدار التاريخ الإسلامي .. وكانت مناطق الطالقان وطخارستان «**طخارى بلخ أي: أرض بلخ**» وزم وآمل تعتبر مكملة لبلاد ما وراء النهر، وخضعت جميع هذه الأراضي منذ حكم السامانيين لسيطرة مدينة بخارى «**مركز الحكم وعاصمة السامانيين**» ..) [من كتاب تاريخ بخارى للمستشرق المجري أرمينوس فامبري بتصرف].

وفي عهد الغزنويين الذين كانت عاصمتهم غزنة (**في أفغانستان اليوم**) صارت خراسان وبلاد ما وراء النهر وأفغانستان دولة واحدة. وبذلك كان الشاطىء الغربي لنهر جيحون داخلاً في هذه الحكومة .. وكذلك كان الحال أيام السلاجقة في عهد المغول ثم في عهد تيمورلنك وأولاده وأحفاده ..

بقلم : د. محمد علي البار

ثم كان الحال كذلك في عهد الشيبانيين والاشترخانيين حتى حكم بيت منغيت .. وفي القرن الثامن عشر تفككت تلك الدولة المتصلة وأصبح لكل أمير خانيه .. كما استطاع أمير كابل بأفغانستان أن يستولي على ملحقات بخارى) .

وفي زمن المأمون استقل **طاهر بن الحسين** بحكم خراسان وما وراء النهر وقنعت الدولة العباسية بالدعاء للخليفة يوم الجمعة وتركت للدولة الطاهرية تصريف الأمور في خراسان وبلاد ما وراء النهر التي تشمل الجمهوريات التركستانية السوفيتية كما تشمل أفغانستان ..

ثم قامت بعدها الدولة السامانية وكذلك كانت هذه المنطقة وحدة سياسية شملت ما يعرف الآن بالجمهوريات السوفييتية التركستانية وشرقي إيران وأفغانستان .. ثم قامت بعدها الدولة الغزنوية ، وكانت قاعدة ملكها غزنة في أفغانستان جنوبي كابل .. وظهر منها **محمود بن سبكتكين الغزنوي** وامتد سلطانه إلى الهند ليشمل معظم أراضيها كما امتد بطبيعة الحال ليشمل ما يعرف اليوم بجمهوريات تركستان السوفييتية وإيران ..

ثم قامت بعد ذلك الدولة الخوارزمية واستمرت هذه الوحدة السياسية لأفغانستان وخاصة شماليها مع بلاد ما وراء النهر المعروفة اليوم بتركستان الغربية .. وكان مقر الدولة حيناً في سمرقند ، وتارة في بخارى ومرة في خوارزم وأخرى في غزنة .. وفترة في بلخ أو قندهار أو هراة . ومرة تنتقل إلى مرو وحيناً إلى نيسابور .. وفي جميع تلك الحالات كانت هذه المناطق تشكل وحدة سياسية تتسع حيناً فتشمل أقطاراً أخرى وتضيق حيناً آخر . فتنتقص بعض أراضيها .. ولكنها في كل الأدوار التاريخية كانت مرتبطة أوثق ارتباط ومتصلة أعظم اتصال ..

وجاء التتار واكتسحوا معظم الأراضي الإسلامية وامتد سلطانهم من بخارى شرقاً إلى حدود الشام غرباً ومن موسكو شمالاً حتى دلهي جنوباً .. ثم تحولت دولتهم إلى مجموعة من الإمارات تسمى إيلخانيات .. وكل إيلخانية يحكمها أحد أبناء جنكيزخان أو أحفاده .. وأسلم معظم هؤلاء الأحفاد .. وكانت دولهم المختلفة تشكل وحدة سياسية رغم ما يحدث فيها من حروب .

ثم قام تيمورلنك وأسس امبراطوريته الضخمة التي امتدت إلى موسكو ووارسو شمالاً ، والهند جنوباً .. والصين شرقاً والشام غرباً .. ومثلما فعل أولاد جنكيزخان واقتسموا مملكته الواسعة كذلك فعل أولاد **تيمورلنك** .. وبقيت دولة أولاد **تيمورلنك** باقية في الهند وأفغانستان فيما يعرف بامبراطورية المغول التي ظهر منها **أكبر والملك الصالح أورنك زيب** الذي شبه في عدله وورعه **بعمر بن عبدالعزيز** . وحتى في الأزمنة المتأخرة عندما تفتتت الدول الإسلامية القوية إلى خانيات صغيرة مثل خانية بخارى وخانية خيوة وإمارة كابل كانت هذه المناطق ترتبط ارتباطاً سياسياً وثيقاً .. وتارة تخضع لحكم شاه إيران من الدولة الصفوية أو الدولة القاجارية ، وحيناً تخضع لأمير أفغانستان القوي ، وطوراً تنطوي تحت حكم أمير خوارزم .

واستطاعت روسيا القيصرية أن تبسط سلطانها على معظم أراضي التركستان بعد معارك طويلة امتدت منذ بداية القرن الثامن عشر عندما احتلت قرغيزيا من قازاقستان إلى نهاية القرن **التاسع عشر عندما اتمت احتلال مرو ونساء وبيهق الواقعة اليوم** في تركمنستان التي سقطت في أيديهم سنة ١٨٤٧م . وأتمت احتلال **طشقند وسمرقند وترمذ** في الحروب المتتالية التي امتدت من عام ١٨٤٧م إلى عام ١٨٨٤م .. **ولم تبق خارج السيطرة الروسية إلا خيوة (وهي خوارزم) وبخارى** ..

وكان سقوط خيوة وبخارى بعد الثورة البلشفية وتم ذلك فيما بين عام ١٩٢٢م وعام ١٩٢٤م .. وبذلك تم إخضاع أراضي التركستان ومنذ ذلك الحين بدأت روسيا تتطلع إلى احتلال أفغانستان لأنها الامتداد الطبيعي لأراضي التركستان التي احتلتها جميعاً ..

وبما أن روسيا كانت تواجه ثورات عنيفة داخلية من المسلمين المتواجدين فيها كما كانت في الوقت نفسه تجد محاربة ظاهرة وخفية من الدول الرأسمالية فإنها كانت في حاجة إلى تطمين حاكم أفغانستان وإظهار الود له .. وقد نجحت روسيا في إيجاد علاقات صداقة مع **أمان الله خان** الذي كان عدواً لدوداً للانجليز .. ولكنه تمهل في إجراءات الصداقة بعد أن رأى لينين يبتلع بخارى وخيوة ورأى تدفق سيل اللاجئين التركستان إلى أراضيه .. تماماً كما ترى باكستان اليوم تدفق اللاجئين الأفغان على أراضيها فراراً من البطش الروسي .

إذاً الخريطة السياسية توضح لنا أهمية أفغانستان بالنسبة لروسيا حيث إنها تشكل امتداداً طبيعياً وتاريخياً وثقافياً لأراضي التركستان ..

أما الخريطة الطوبوغرافية فإنها ترينا الامتداد الطبيعي لأراضي التركستان إلى أرض أفغانستان .. فمن هضبة بامير التي ترتفع إلى أكثر من ستة آلاف متر والتي تعرف بسقف العالم تتفرع سلاسل الجبال التي تغطي أفغانستان وطاجكستان وكشمير والتبت والتي ينبع منها أعظم

● إن الخارطة السياسية توضح أهمية أفغانستان بالنسبة لروسيا حيث إنها تشكل امتداداً طبيعياً وتاريخياً وثقافياً لأراضي التركستان ..

لماذا قامت روسيا بغزو أفغانستان ؟

أنهار التركستان نهر جيحون (**أموداريا**) ونهر سيحون (**سرداريا**) .

ومن هضبة بامير التي تحتل الشمال الشرقي من أفغانستان والتي تغطيها الثلوج معظم العام تتفرع سلسلة جبال هندكوش التي تمتد غرباً حتى تقترب من حدود إيران فتشغل بذلك معظم أفغانستان من الشرق إلى الغرب .. وتنساب الأنهار منها في جميع الاتجاهات حتى إن كلمة هندكوش تعني جبال الأنهار ..

أما السلسلة الثانية المتفرعة من هضبة بامير فتعرف بجبال سليمان التي تتجه جنوباً وغرباً وتشكل الحدود بين أفغانستان وباكستان .

وإذا نظرنا إلى أهم الأنهار في أفغانستان نجدها كالتالي .

(١) نهـر جيحون (أموداريا) : ينبع هذا النهر من هضبة بامير كما أسلفنا ثم يشكل الحدود بين أفغانستان وثلاث جمهوريات سوفيتية هي : **طادجكستان ، وأوزبكستان ، وتركمنستان** عبر ٦٣٠ كيلومتراً ثم يجري بعد ذلك في الجمهوريات السوفيتية على الحدود بين أوزبكستان وتركمنستان حتى يصل إلى مصبه في بحيرة الأورال والتي كانت تعرف ببحيرة خوارزم .. ويبلغ طول هذا النهر ٢٢٤٠كم ، ستمائة وثلاثون منها في أفغانستان والباقي في الاتحاد السوفييتي ، وقد كانت تعرف جميع البلاد الواقعة شرقي هذا النهر في التاريخ الإسلامي ببلاد ما وراء النهر .. وكانت البلاد الواقعة غربيه تعرف باسم خراسان .. وجميعها تخضع لحاكم واحد ، وقد قام الاتحاد السوفييتي بوضع كثير من السدود على هذا النهر وخاصة في مجراه في أفغانستان جنوباً وجمهوريات طادجكستان وأوزبكستان وتركمنستان شمالاً .

ومن المدن المشهورة التي تقع على هذا النهر « **ترمذ** » موطن الإمام الترمذي و « **خوارزم** » المعروفة الآن باسم خيوة موطن الدولة الخوارزمية المشهورة .. وهي تقع بالقرب من مصبه في بحر الأورال .

(٢) نهـر هاري (هاري رد) : ويبدأ من جبال هندكوش في وسط أفغانستان ثم يتجه غرباً حتى يصل حدود إيران ثم يتجه شمالاً مشكلاً الحدود بين إيران وجمهورية تركمنستان السوفييتية ويأتيه من مشهد (**طوس**) رافد هو نهر مشهد (**طوس**) ويعرف في هذه المنطقة الأخيرة باسم تادزهن .. وتعتبر هذه المنطقة كلها من خراسان ..

ومن المدن المشهورة التي تقع على هذا النهر **هـراة** في أفغانستان **وسرخس وبيهق** في تركمنستان .. وأي دارس للفقه أو الحديث يعرف عدداً من الأسماء المشهورة التي تنتهي بالهروى نسبة إلى هراة أو السرخسي نسبة إلى سرخس أو البيهقي نسبة إلى بيهق .

ويصل طول هذا النهر ١٠٠٠كم منها **٦٥٠كيلومتراً** في أفغانستان والباقي في جمهورية تركمنستان السوفييتية .

(٣) نهـــر مور غاب :

وينبع من شمالي جبال هندكوش ويتجه غرباً مثل معظم انهار أفغانستان حتى يصطدم بجبال باندي فينحرف مجراه شمالاً حتى يصل إلى تركمنستان السوفييتية ومنها يجري باتجاه الشمال حتى يصل إلى مـرو (الشاهجان) ذات التاريخ الإسلامي الباذخ .. وعاصمة إقليم خراسان بأجمعه والتي أخرجت لنا عبد الله بن المبارك وإسحاق بن راهويه ، وبشر بن الحارث .. ومن لا يحصى من أئمة العلم والفقه والحديث وأعلام الصالحين والعباد والزهاد ..

من هذه الخريطة الطوبوغرافية لهذه المنطقة التي تشكل سقف العالم والتي تربط بين أفغانستان وجمهوريات طادجكستان وأوزبكستان وتركمنستان السوفييتية ربطاً مباشراً .. وتربط بينها وبين جمهورية قرغيزيا عبر طادجكستان حيث يأتي رعاة القرغير إلى هضبة بامير صيفاً فيرعون فيها مواشيهم .. **من هذه الخريطة نرى الترابط الوثيق بين أفغانستان وجمهوريات طادجكستان وأوزبكستان وتركمنستان السوفييتية** .

ولا نرى من هذه الخريطة الطوبوغرافية تكوين الأرض والأنهار المشترك بين أفغانستان والجمهوريات السوفييتية الثلاث المذكورة آنفاً فحسب بل إننا نرى الاشتراك في الثروات

● عندما شعرت روسيا بتنامي الحركة الإسلامية وامتدادها عبر الحدود لتصل إلى الجمهوريات المسلمة قررت التدخل بواسطة الحزب الشيوعي الذي كان يقوده محمد نور تراقي ..

● إن الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفييتي تشكل ربع أراضيه وخمس سكانه ..

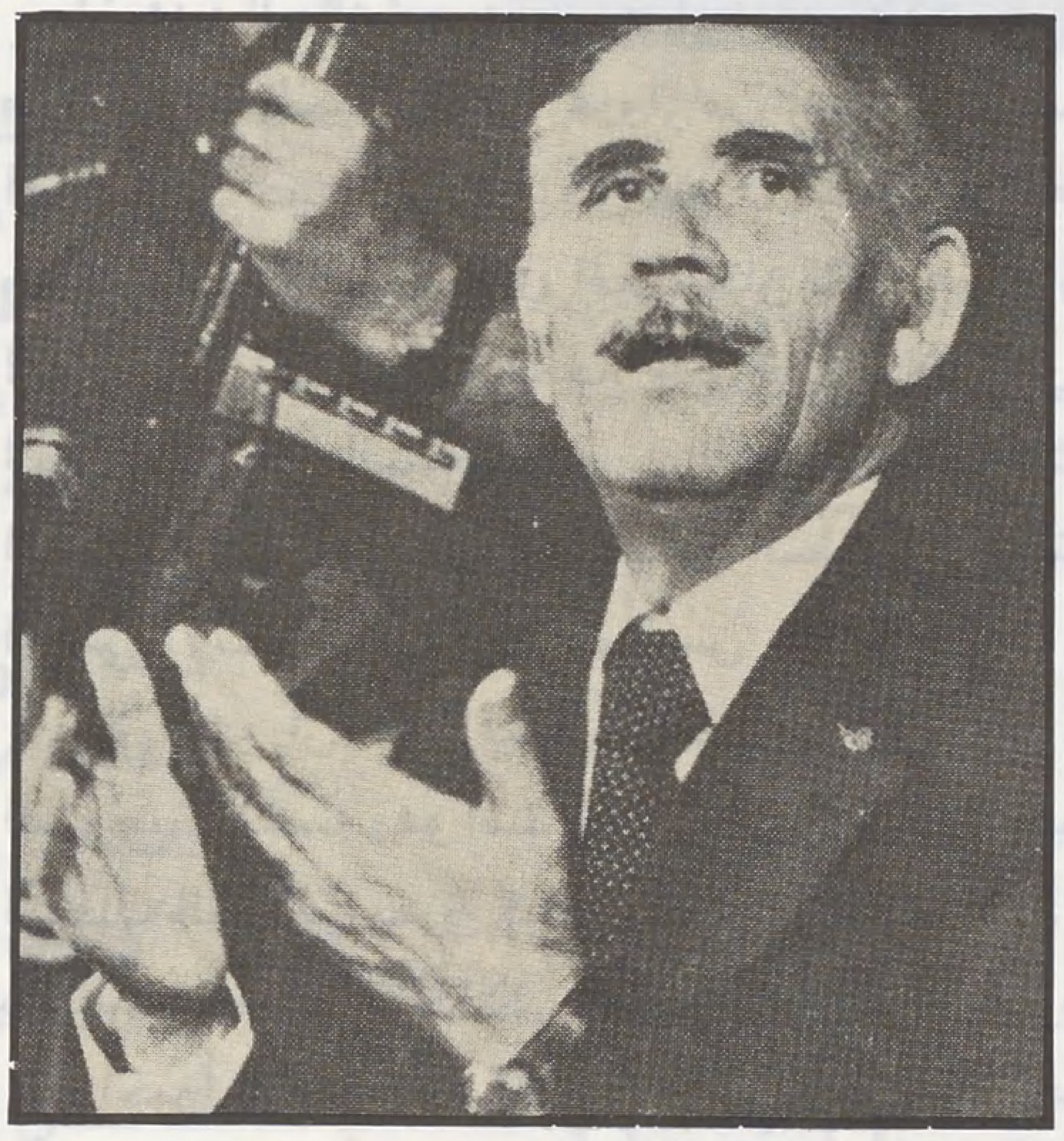

● محمد نور تراقي .. مصيره عبرة لكل عميل ●

● حفيظ الله امين .. جاء به الروس لإيقاف المد الإسلامي فلقي مصير تراقي نفسه ●

الزراعية والحيوانية بل وفي الثروات المعدنية حيث نرى اللازورد في شمالي أفغانستان على الحدود بينها وبين الجمهوريات السوفييتية .. كما نرى الذهب في بنجهير بالقرب من الحدود السوفييتية .

ومما يسيل له لعاب الاتحاد السوفييتي في أراضي أفغانستان وجود الذهب أيضاً بالقرب من قندهار ، والفضة في وادي بانجشير والفيروز في قندهار والرصاص والمنغيز والقصدير والنحاس في جبال هندكوش .. وأخيراً عثر على كميات كبيرة من الغاز والبترول في أفغانستان في الجوزجان ..

هذه العوامل الطوبوغرافية والاقتصادية هي بعض الدوافع التي حدت بالاتحاد السوفييتي إلى غزو أفغانستان .. أما العامل الأهم في رأينا فنستطيع أن ندركه عندما ندرس الخريطة الديموجرافية لأفغانستان .

إن الخريطة الديموجرافية لأفغانستان وجمهوريات التركستان السوفييتية المحيطة بها تعطينا بعداً هاماً لفهم أسباب الغزو السوفييتي لأفغانستان .. كما تعطينا رؤية مستقبلية لتحركات روسيا في هذه المنطقة الحيوية من العالم .

إن الدراسة الديموجرافية للشعب الأفغاني الأبي الشديد التمسك بعقيدته الإسلامية توضح أن هذا الشعب مكون من مجموعة كبيرة من القبائل ترجع إلى أربعة عناصر عرقية تداخلت وتزاوجت فيما بينها وارتبطت برباط العقيدة الإسلامية التي وحدت بينها وبين شعوب جمهوريات طادجكستان وأوزبكستان وتركمنستان وقرغيزيا وقازاقستان وباكستان .

ويشكل البشتو ٥٠٪ من السكان وامتدادهم في باكستان ويدعون هناك الباتان ولغتهم واحدة هي لغة البشتو وهي مستمدة من اللغة العربية والفارسية وتشترك مع الأردية في كثير من الألفاظ .. وهذا ما يفسر سهولة اندماج اللاجئين الأفغان في بشاور في باكستان إذ أن لغة القوم وعاداتهم وطبائعهم واحدة إضافة إلى أن دينهم الذي يوحد بين مختلف الأجناس هو دين الإسلام الذي لا يميز بين أسود وأحمر ولا عربي وعجمي إلا بتقوى الله .

ويأتي التاجيك (الطاجيك) في المرتبة الثانية في الكثرة بعد البشتو ويشكلون ٢٥٪ من السكان وهؤلاء هم سكان طادجكستان السوفييت .. وأصولهم فارسية .. وقد توطنوا هضبة بامير وشكلوا الأكثرية السكانية في جمهورية طادجكستان السوفييتية كما شكلوا ٢٥٪ من سكان أفغانستان .. ولغتهم هي اللغة الفارسية التي تحوي العديد من الألفاظ العربية ، ومنهم الفردوسي صاحب **الشاهنامه** .. وكذلك **ابن سينا** فأصوله منهم ، وقد كان أبوه من بلخ في أفغانستان وأمه من بخارى وولد ونشأ في بخارى .. وهكذا كان معظم سكان تلك الناحية أصولهم مختلطة ويتنقلون بسهولة ويسر من أفغانستان إلى أوزبكستان أو تركمنستان أو طادجكستان .. ولم تكن هذه الأسماء معروفة آنذاك لأنه كما أسلفنا كانت هذه المناطق جميعاً تشكل وحدة سياسية تتبع الخلافة الإسلامية فعلياً واسمياً في بعض مراحل التاريخ واسمياً في بعضها الآخر .

ويشكل الأوزبك والتركمان ما يقرب من ١٥ بالمائة من سكان أفغانستان .. ويسكنون شمالي أفغانستان على الحدود بينهم وبين مواطنهم الأصلية في أوزبكستان وتركمنستان وقرغيزيا .

ويقدر عددهم الآن بمليوني تركستاني .. وقد فر إليهم كثير من لاجئي تركستان عندما اجتاحت روسيا البلشفية بلادهم .. تماماً كما يفعل الأفغان اليوم حيث يلجأون إلى باكستان ..

ويقدر عدد الأوزبك بحوالي مليون ونصف المليون وعدد التركمان بنصف مليون تقريباً ، وكذلك القرغيز الذين يسكنون هضبة بامير ..

وتنتسب بعض القبائل الأفغانية إلى أصول مغولية وهم قبائل الهزارة ، وهم شيعة إمامية مثل شيعة إيران .. ومعلوم أن جنكيزخان وأولاده قد اجتاحوا هذه المنطقة وتوطن فيها أبناؤهم وصاروا من حملة الإسلام والمدافعين عنه .

كما تسكن أفغانستان قبائل عربية وقرشية وهاشمية .. وممن ينتسب إلى قريش قبيلة بنكش **أما القبائل التي تنتسب إلى آل بيت رسول الله ﷺ من سبطيه الحسن والحسين فهي**

لمــــاذا قامت روسيا بغـزو أفغانستان ؟

قبائل شيراني وكاكر وكراني ودوائي وكندأيور واسترانة .

إذا دققنا النظر في الخريطة الديموجرافية لأفغانستان استطعنا أن ندرك بكل سهولة بعض الأسباب الهامة التي حدت بروسيا إلى غزو أفغانستان .. فالامتداد السكاني فيما بين أفغانستان وجمهوريات تركستان السوفييتية .. والاشتراك في اللغة والدين والعادات والتقاليد يؤدي حتماً إلى تأثيرات قوية على سكان التركستان المسلمين .. وذلك ما حدا بصحيفة **برافدا السوفييتية** أن تقول قبيل انقلاب تراقي الشيوعي الدموي الذي حدث في ٢٧ أبريل (نيسان) عام ١٩٧٨م (**إن روسيا لن تسمح لأن تكون أفغانستان جسراً للتدخل في أراضيها**) وذلك عندما شعرت بالحركة الإسلامية تمتد إلى شمالي أفغانستان وتمتد عبر الحدود لتصل إلى أوزبكستان وطادجكستان وتركمنستان وقيرغيزيا وقازاقستان .

عندئذ قررت التدخل بواسطة حزبها الشيوعي العميل الذي كان يقوده **محمد نور تراقي** وبواسطة ضباط الجيش الذين تأثروا بالشيوعيين مثل **حفيظ الله** .. وتخلصت من **السردار محمد داود** وجارته جزاء سنمار ودكت قصره وجعلته مقبرة له ولأسرته وحرسه الخاص .. بعد أن قام **محمد داود** بالتمهيد والسماح للعناصر الشيوعية بالتغلغل إلى داخل الجيش الأفغاني .

ولما رأت روسيا الثورة الإسلامية العارمة تكاد تكتسح **تراقي** وحزبه حاول **حفيظ الله** أن يرضي القبائل الأفغانية فقام بإزاحة **تراقي** .. وكانت سياسته تميل إلى المصالحة الوطنية رغم التزامه بالشيوعية .. ورأت روسيا في ذلك خطراً مستقبلياً حيث إن العناصر الوطنية كلها قد التفت تحت الراية الإسلامية .. وإذا قدّر للإسلاميين الوصول إلى الحكم فإن ذلك يشكل تهديداً مباشراً لخمس جمهوريات سوفييتية أغلبية سكانها من المسلمين .. ويشتركون مع سكان شمالي أفغانستان ليس في الدين فحسب بل في اللغة والعادات والأرومة .

ولا شك أن تأثير دولة إسلامية في أفغانستان سيكون سبباً لامتداد لهيب الثورة الإسلامية في الأراضي التي احتلتها موسكو منذ أكثر من قرن من الزمان ..

وفي رأينا أن هذا العامل الديموجرافي هو أحد أهم العوامل التي دفعت بالاتحاد السوفييتي إلى غزو أفغانستان .. وقد قابلت **(في عيادتي في جدة)** أحد أبناء التركستان الذين فر آباؤهم إلى أفغانستان .. وكان فراره وهو لا يزال جنيناً في بطن أمه ، وكانت ولادته في أفغانستان .. ومرة أخرى يهاجر من أفغانستان بعد الغزو السوفييتي ليصل إلى **مكة المكرمة** ويستقر فيها ..

إن هذه الحالة ليست نادرة بل هناك الآلاف بل ومئات الآلاف من التركستانيين الذين فروا من وجه الزحف الأحمر إلى أفغانستان حيث التقوا بإخوانهم في العقيدة واللغة والجنس .. ولو قامت دولة إسلامية في أفغانستان لكان هؤلاء وسكان شمالي أفغانستان أحد عوامل تفجير الثورة الإسلامية في الجمهوريات التركستانية السوفييتية .. التي ستمتد لتشمل جميع الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفييتي والتي تشكل ربع أراضي الاتحاد السوفييتي وخمس سكانه .

ولا شك أن هذا يشكل خطراً داهماً على كيان الاتحاد السوفييتي نفسه وهو أشد خطورة من أي غزو أجنبي غربي .. إذ أن ذلك الغزو لن يمزق كيان الاتحاد السوفييتي داخلياً بل أكثر ما يستطيعه هو الاحتلال العسكري الذي سيقاوم بشراسة ..

وأخيراً نلخص أهم الأسباب التي دفعت بالاتحاد السوفييتي إلى غزو أفغانستان :

(١) **خوف الاتحاد السوفييتي من قيام دولة إسلامية في أفغانستان** ونتيجة للعناصر الديموجرافية الواحدة التي تسكن على جانبي الحدود بين أفغانستان والاتحاد السوفييتي فإن انتقال الثورة الإسلامية إلى الجمهوريات التركستانية السوفييتية يصبح أمراً لا مفر منه .. وهو خطر داهم يهدد كيان الاتحاد السوفييتي ذاته .

(٢) **رغبة الاتحاد السوفييتي في الامتداد والتوسع** . وهي رغبة قديمة قام بها القياصرة الروس ثم استمر فيها القياصرة الحمر بأسلوب أكثر دموية وبربرية .

(٣) **بُعد الاتحاد السوفييتي عن المياه الدافئة** ورغبته في الوصول إليها .

(٤) **ثروات أفغانستان المائية حيث تتحكم أفغانستان في منابع ثلاثة أنهار هامة** تجري في أفغانستان أولاً ثم تواصل سيرها في الاتحاد السوفييتي وهي نهر جيحون (**أموداريا**) ونهر مرغاب ونهر هاري (**هاري رد**) وثروات أفغانستان المعدنية والبترولية والغازية التي أشرنا إليها .

(٥) **يطوق الاتحاد السوفييتي إيران من جهاتها كلها ما عدا الجهة الغربية باحتلاله أفغانستان .. وبذلك يمكن للدب الروسي أن يعيد احتلال أذربيجان وبقية خراسان** .. وربما تمكن من الوصول إلى حقول النفط في خوزستان كما تمكن قبل ستين عاماً من الوصول إلى نفط باكو التي تعتبر من أكبر مخازن النفط في العالم ، وباكو كما هو معلوم جزء من أذربيجان التي استولى عليها البلاشفة عام ١٩٢٠م وقسموا بذلك أرض أذربيجان إلى أذربيجان السوفييتية وأذربيجان الإيرانية ..

وامتداد روسيا لإيران أمر ليس بعيد الاحتمال بل هو أمر منظور ومتوقع لكل من يعرف الخريطة السياسية والطوبوغرافية والديموجرافية للمنطقة ..

كما أن الخطوة التالية ستكون ابتلاع باكستان .. إذا تهاون المسلمون في صد الغزو السوفييتي لأفغانستان ..

قضية للمناقشة

بقلم : د. عبد الله رشوان

●● المحاماة في الشريعة الإسلامية كانت آخر ما طرحته « الأمـــة » « قضية للمناقشة » ، ونستطيع أن نقول : بأن ما نشر حول إثارة القضية من قبل الدكتور أبو سليم خادم حسين ومناقشتها والاستدلال الشرعي على جوازها من القاضي عبد القادر العماري ، وإلقاء الأضواء الإضافية والكاشفة لجوانب الموضوع وإغنائه وبيان أهمية المحاماة في الدفاع عن الحق ودحض الباطل والإتيان بالأمثلة العملية إلى جانب دقة النظر الشرعي في ضوء مقاصد الشريعة في تحقيق المصالح ودرء المفاسد من قبل الدكتور المحامي عبد الله رشوان ، لم يدع استزادة لمستزيد .

ونحن إذ نعتذر للإخوة أصحاب الردود والمناقشات عن نشر ما أرسلوه فذلك لأننا نعتقد أن الهدف ـ تجلية القضية وبيان حكمها ـ قد تحقق وأن « الأمـــة » قد أدَّت الدور المنوط بها .. وأن ما وراء ذلك من جزئيات يمكن أن يتم بالمكاتبات الخاصة بين أصحاب الرأي . ●●

[التحرير]

المحاماة في الشريعة الإسلامية

■■ في عدد شوال ١٤٠٣هـ من مجلة « الأمـــة » الغـرَّاء في باب « قضية للمناقشة » (ص ١٧) ،ورد مقال للدكتور أبو سليم خادم حسين ، تحت عنوان : « المحاماة في الشريعة الإسلامية » .

خلاصة ما ورد في المقال مما هو موضع نظر ...

ذهب فيه إلى أن المحاماة توكيل في خصومة بين شخصين ، وأن « التوكيل بدفع الحد عن المتهم لا يصح والمحاماة عن المتهم فيها لا تجوز » و « إن النيابة في دفع الحد وجلب الحماية للمتهم أمر لا تقره الشريعة السمحاء » ، و « الوكيل شفيع ، ولا شفاعة في الحدود » و « لا يسمح بالدفاع واختراع الحيل لدفع الحد عن من ارتكبه » ، و « لا يباح لفرد من أفراد المسلمين أن يتولى الدفاع ويقدم الحماية التبرعية ، أو يتحمل الخصام وكالة عن المتهم أمام القضاء في قضايا الحدود البتة » ، و « أن سلف الأمة وعلماءها ـ رحمهم الله ـ لم يتركوا الحبل على الغارب ؛ ليلعب المحامي اللسن وذو العقل البليغ من أصحاب صناعة المحاماة في مصير أفراد الأمة المسلمة وفي مآل حقوقهم » ... والقاضي « إن علم من الموكل القصد أو الإضرار بالمدعي ، ليشتغل الوكيل بالحيل والأباطيل والتلبيس لا يقبل منه التوكيل » ... ويطرح « أهل اللدد » ... وأنه حتى القرن الثاني عشر لم يكن هناك « صناع المحاماة على أبواب المحكمة » ، ونشأت المحاماة بعد ذلك من الترجمة ، وجاء الأوروبيون إلى بلاد المسلمين و « منحوا المترجمين حقوقاً لم يكونوا لها أهلاً ، وأعطوهم نفقات على حساب العدل والقضاء وأصبحوا يعرفون بالمحامين » ...

« فاستغل هؤلاء حماة العدالة وطلاب المادة عوز الأمة وحاجتها ففرضوا الرسوم القضائية مقابل أتعابهم ، وغرَّموا البشر بما لا تبيحه شريعة السماء » ... وأن جميع الأمة تطالب بإعادة القضاء إلى ما كان ، و « أولى العقبات التي تعترض طريق العودة هي وجود المحامي وارتباط رزقه بهذه المهنة » .

و « كم حاول المحامون حشر الأدلة لتحليل الواقع » نظير جعل . وهذه حرفة « مراوغة وما كل حرفة يباح الاحتراف بها » ... وقرنها الكاتب بمهن « صنع الخمر وبيع لحم الخنزير » ... وانتهى إلى القول بأن المحاماة من الحرف التي لا تجيزها أصول الشريعة ، ولا تتفق مع مصالح العباد ، وأن جُعل المحامي أي أجره هو « للنزاع والشجار وإغاظة المسلم على أخيه المسلم » ، حتى قال « ومقابل الجُعل هنا مجهول يحيط به الغرر من كل جهة وأصول الشريعة لا تبيح صفقات الغرر وما فيه جهالة البتَّة » ...

قشور وشائعات يتحدث بها عامة الناس

وهذا الذي ساقه الكاتب غير صحيح ، ويجافي الحق والشرع والواقع والتاريخ ، ولا يدل على دراسة حقيقية أو علم أو دراية أو خبرة بالموضوع الذي تعرض له الكاتب ، بل مبعثه مفاهيم وقشور وشائعات يتحدث بها بعض عامة الناس بسبب أخطاء بعض المحامين ، أو بسبب خلاف مع « محام » حول أجره عند كسب القضية أو خسارة خصومة ألصقها صاحبها بالمحامي ، أو بسبب أوضاع تاريخية في بعض البلاد كالهند دون باقي بلاد المسلمين .

وهذا الذي قاله الكاتب ليس هو « المحاماة » .

قضية للمناقشة

وللأستاذ المودودي رحمه الله رأي قديم في هذا الصدد ، ولم يطل به الأجل حتى القاه وناقشه ، ولكن رأيه على أي حال لم يبلغ هذا المدى من العبارات ، أو القطع بأحكام شرعية الصقها الكاتب عنتاً بشريعتنا الغراء ، التي أفنينا وأفنى من قبلنا حياتهم في سبيل إعلاء رايتها والمطالبة بتطبيقها كاملة غير منقوصة .

وبعد العلم والدراسة والممارسة لعشرات السنين ، لو كنا نعلم في مهنتنا المحاماة أنها مهنة **« حيل وخداع واباطيل وتلاعب بحقوق الناس ووقوف على ابواب المحاكم ، وانها محرمة شرعاً كما حرم بيع الخمر ولحم الخنزير** ، إلى آخر الأوصاف والألفاظ التي جرى بها قلم الكاتب بغير حساب . أقول : لو عرفنا في المحاماة ذلك أو بعضه لما اتخذناها مهنة .

عيـــوب في الممارســـة لا في أصـل المهنـــة ...

لو عرفنا في المحاماة ذلك أو بعضه لما اتخذناها مهنة .

وعرفنا ودرسنا قبلها أصول شريعتنا الغراء والتزمناها ، وهدانا الله سبحانه لدربها .. نعيش بها ولها ، بصرف النظر عن عيوب الممارسة عند بعض المحامين وجمهور الناس التي لا ترقى بحال إلى أصل مهنة المحاماة وطبيعتها .

وأقـول : إن من الخطر الشديد على الدعوة الإسلامية والمطالبة بتطبيق شرع الله أن تلقى مثل هذه الآراء المبتسرة التي تجور بغير حق على صرح العدالة في دولة الإسلام وطبقاً لشريعته في العصر الحديث .

وكان الأفضل أن تُبحث هذه الأمور والآراء الخطيرة في ندوة علمية ، تتوافر لها كل المقومات التي تجعل الناس يتبينون وجه الحق فيما يثار من مسائل هامة . وأكتفي الآن بالملاحظات الآتية :

مهنـة الدفاع عن الحق ..

① إن المحاماة في حقيقتها مهنة « الدفاع عن الحق » . وكل خصومة أو نزاع أو اتهام أو مشكلة ، فيها حق وفيها باطل ، سواء أكان الحق في ناحية والباطل في الناحية الأخرى ، أوكان هنا بعض الحق وبعض الباطل ، وهناك كذلك بعض الحق وبعض البـاطـل ، ولكن من طبيعـة المتخاصمين أن يظن كل واحد منهما أنه على الحق الكامل وخصمه على الباطل الكامل . وبهذا يثور النزاع ويصل إلى القضاء . ولا يتصور عقلاً أن يكون المتخاصمان كلاهما على الحق الكامل أو على الباطل الكامل ، إذ لا يمكن أن يسمى النزاع نزاعاً إلا أن يكون في الأمر صراع بين حق وباطل ، أو بين ضدين متناقضين . وكثيراً ما يلجأ المتخاصمان إلى السعي لحل النزاع ودياً . فإن عجزا وصمم احدهما أو كلاهما على رفع الأمر للقضاء ، فهنا تكون مهمة القاضي أن يستمع إلى حججهما وادلتهما ثم يقضي بينهما بحكمه . ولا يمكن أن يطُلب من القاضي أن ينزل إلى أحد الخصمين ، أو كليهما ليغطي عجزه أو ينقب له عن الأدلة ويسعى لتوفيرها ، سواء بالبحث والتقصي العلمي أو بتجهيز الشهود والبينات والمستندات ، لأن القاضي إن فعل ذلك يكون قد فقد حيدته التي هي شرط لازم لمن يتولى القضاء ، فضلاً عن أن هذا يخرج عن طبيعة عمل القاضي ، ولا يطيقه في خضم الأقضية التي بين يديه .

مساعدة الخصـوم على تجهيز دفاعهم

ومـع تشابك المصالح وتعدد المنازعات وتعقدها ، ومع كثرة القوانين واللوائح والنظم في العصر الحديث ، اصبحت الحاجة ملحة لإيجاد عناصر تقوم بمساعدة الخصوم في المحاكم على تجهيز دفاعهم ، وترتيب حججهم ، وتنسيق مستنداتهم ، وإجراء البحوث الشرعية والقانونية التي تؤيد الحق لا الباطل في كل دعوى ، بشرط أن تكون هذه العناصر من الأشخاص المثقفين ثقافة شرعية وقانونية عالية ، ومن المدربين تدريباً جيداً على هذا العمل العلمي والفني ، وأن يكونوا ممن صلحت أخلاقهم واستوى صلاحهم ، وأن يكون هدفهم خدمة الحق وإظهاره ودحض الباطل وإنكاره في كل قضية ، وهؤلاء هم المحامون ومهنتهم هذه هي « المحاماة » أو « الدفاع » .

وبغير مساعدة هؤلاء سيغم الأمر على القضاء وتضيع حقوق الناس ، خصوصاً في العصر الحديث . والقاضي بشر يخطىء ويصيب وقد يغم عليه الأمر . وخير الهدي هدي سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام إذ يقول في قضائه ما مبناه ومعناه **« تختصمون إليّ ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض فاقضي له ، فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فلا ياخذه فإنما هو قطعة من النار »** .

وإذا كـان هـذا هـو حـال الـرسـول المصطفى ﷺ ، وفي زمان كانت المنازعات فيه بسيطة ، وسبل حلها ميسرة وكانت الأخلاق في قمتها ، فما بالنا بحال الناس اليوم ، وهذه أخلاقهم وهذا زمانهم المعقد في كل جوانبه ونظمه وقوانينه ، وهذه مصالحهم التي لا حصر لها ولا حدود ، وهؤلاء قضاتهم من الناس ، هل نترك الخصوم لحالهم دون سند أو مساعدة نرتبها وننظمهـا لهم حتى يظهـر الحق ، ويـغيب الباطل ..؟!..

وليس هذا هو مجال المحاماة فقط . بل منها المشورة والنصيحة والصلح بين الناس ، ودفع مظالم السلطات العامة ... وغير هذا كثير .. كصياغة العقود والمشاركة في وضع مشروعات النظم واللوائح والقوانين ، والطعن في الأحكام لتصحيحها ...

والأصل أن المحامي لا يقبل الدفاع إلا عن الحق لا الباطل ، فإذا عرضت عليه قضية درسها ، فإن وجدها على الحق قبلها ، وإن وجدها على الباطل رفضها ونصح صاحبها .

وهذا ما يطبقه كل محام ملتزم بدينه ، وعددهم وفير ونجاحهم كثير والحمد لله ، ولا يضرهم أو يمنعهم من ضل عن النهج القويم .

القـول بأن المحـاماة وكالة وشفاعة .. فهم خاطىء

② ولأن الأخ الكـاتب ظن أن المحاماة

● **الأصل أن المحامي لايقبل الدفاع إلا عن الحـــق ، فاذا عرضت عليه قضيـة درسها ، فإن وجدها على الحق قبلهـا ، وإن وجدها على الباطل رفضها ونصح صاحبها .**

● **القول بأن المحاماة لم تكن معروفـة لاثنى عشر قرنـاً لـيس بحجـة على بطلانها وتحريمها .**

هي وكالة شفاعة ؛ لهذا راح يبني أحكاماً على هذا الفهم الخاطىء ؛ فجاءت أحكامه كذلك خاطئة ؛ لأن ما بني على الخطأ فهو خطأ ، كأن يقول : إن الحدود لا تجوز فيها المحاماة لأن المحاماة شفاعة ، والشفاعة لا تجوز في الحدود .

والحقيقة أن المحاماة جائزة في كل القضايا بل واجبة في الخطير منها ، ومن ذلك قضايا الحدود ، لا على أساس أنها شفاعة ، إنما لأنها تساعد القاضي في تبيّن وجه الحق في كل أطراف الموضوع ، وبيان دفاع المتهم التوضيحي المبني على بيان الصواب من الخطأ في عقوبة من أخطر العقوبات التي ستلحقه ، ولو لم يكن للمتهم محام لعينت له المحكمة محامياً .

فمثلاً في الدولة الإسلامية في العصر الحديث لو ارتكب شخص فعلاً يستحق عليه العقاب ، حداً أو تعزيراً أو قصاصاً ، فإنه لا يتصور ولا يكون مقبولاً أن يقوم رجل الشرطة أو عامة الناس بجر المتهم إلى القاضي مباشرة لتوقيع العقاب دون إجراء تحقيق ، وسماع أقوال المتهم وسماع الشهود ، نفياً أو إثباتاً ، وجمع البيانات والأدلة . ثم تحديد التهمة تحديداً دقيقاً بإعطائها الوصف الصحيح ، وتقديمها للقاضي مشفوعة بأدلتها .

ويقوم بهذه المهمة رجال تخصصوا في هذا بالعلم والممارسة ، وهؤلاء هم الادعاء أو ما نسميه بالنيابة العامة ، التي تقف بهذه المثابة من المتهم موقف الخصم ، القوي المزود بالعلم والخبرة ، وهي تدافع عن حقوق الله أو حقوق الناس والمجتمع ضد هذا المتهم ، الذي يغلب عليه في هذه الحالة الجهل بالأحكام الشرعية وشروط العقاب .

بين الادعـاء والدفـاع ..

وهنا لا بد له من مدافع يساعده في بيان وجه الحق في الموضوع ، ويكون الأمر في ساحة القضاء سجالاً مشروعاً بين الادعاء والدفاع في مجال بيان الحق وحده ، مع افتراض قيام الخطأ في الفهم ، أو الدراسة أو حقيقة الواقع ، سواء من جانب الادعاء أو الدفاع أو حتى القاضي .

وبناء على ما يبين من بحوث ودراسات قدمها الادعاء والدفاع يكون للقاضي إمكانية الاهتداء إلى الحق في الموضوع برمته ويقضي فيه بمقتضى الشريعة الغراء .

درء الحـدود بالشبهـات ...

فمثلاً في حد قطع يد السارق قد يقدم الادعاء الواقعة للقضاء لإنفاذ الحد بمقولة إن شروط هذا الحد قد توفرت ، وهي كثيرة ومنها ما يشترط في الجاني أو في الشيء المسروق ، وقد يخطىء الادعاء في ذلك كله أو بعضه ، وهنا يأتي دور الدفاع ليثبت خطأ الادعاء فيقيم الدليل مثلاً على أن المتهم غير بالغ أو غير عاقل أو غير حر أو غير مكتف ، كفقير وجائع ، أو أن المال المسروق لم تتوفر فيه شروط الحد ، كأن تقل قيمته عن نصاب القطع ، أو يتلف بمضي الوقت ، أو غير محرز ، أو أن هناك شبهة تدرأ الحد إنفاذاً للحديث الشريف : **« ادرؤوا الحدود بالشبهات ... »** أو غير ذلك من عديد الشروط الدقيقة اللازمة لإنفاذ القطع .

وهذا كله من عدل الشريعة الإسلامية وسماحتها ، وقد يتبين القاضي من هذا كله أن شروط الحد غير متوفرة ، أو أن الجرم عقابه التعزير لا الحد ، أو أن الادعاء على صواب فيقضي بالحد ...

وهذا كله من ضمانات القضاء في دولة الإسلام .

فهل يمكن أن نقول بعد ذلك إن المحاماة لا تجوز في قضايا الحدود لأنها مجرد شفاعة ، ونترك المتهم بضعفه لا يبين أمام سلطة الادعاء القوي ، مع افتراض الخطأ حتى بحسن نية من جانب المدعي ، وندخل على القاضي الاقتناع من جانب واحد مع سكوت الجانب الآخر أو عجزه عن البيان والرد . وحقاً ما جرى به القول : إن من أهم حقوق الإنسان حقه في الدفاع عن نفسه ، سواء بنفسه أو بوكيل عنه .

قد يسيء بعض المحامين التصرف .. ولا تدان المهنة كلها

③ أما إن بعض المحامين يسيء التصرف ويخالف أصول المحاماة ، وربما بالشكل الذي ذكره الكاتب ، فهذا شيء وارد وصحيح ، ويقع مثله في كل المهن الأخرى ، ولكن لا يجوز أن ينسحب أثر هذه التصرفات والأخطاء على المهنة ذاتها أو على الملتزمين بأصولها وآدابها وأخلاقياتها ، لأننا لو قلنا بما قال به الكاتب من تحريم المهنة ذاتها لجرّنا هذا إلى تحريم المهن كافة التي ينحرف بعض محترفيها ، والأولى أن يقال : إن مهنة المحاماة في حاجة إلى تنظيم ، لا إلى تحريم ، في دولة الإسلام التي ننشدها جميعاً في العصر الحديث ، وكذلك القضاء بفروعه ودرجاته في حاجة إلى ترتيب وتنظيم ، حتى يستقيم العدل على نهج الشريعة الغراء .

ليس كل ما لم يعرف قديماً محرّم .. بل يتبع ذلك المصالح المرسلة

④ أما القول بأن المحاماة لم تكن معروفة لاثني عشر قرناً من الزمان فليس هذا بحجة للقول ببطلانها وتحريمها ، لأن المصالح المرسلة للناس تتطور وتتجدد الحاجة إلى كفالتها ، ومنها تطور القضاء وتشابك الصلات بين الناس ، وكثرة المشاكل وتعدد النظم والقوانين .

ولو قلنا بغير هذا ؛ لكان مقتضى الحال تحريم قوانين ونظم المرور أو السير ، ونظم الطيران والزراعة والصناعة وغيرها ، مما لم يكن معروفاً حتى لنصف قرن مضى .

جُعـل المحامي ...

⑤ أما الجُعل الذي يتقاضاه المحامي ، أو الأتعاب بالتعبير الحديث ، فهو ليس مرهوناً بنتيجة غيبية ؛ وبالتالي يكون الأمر من قبيل عقود الغرر كما قال الكاتب ، إنما هذا الأجر أو الأتعاب نظير عمل ، هو الجهد الذي يبذله المحامي في القضية لإظهار حقائقها بناء على اتفاقه مع موكله ، وبصرف النظر عن أي نتيجة . وهذه هي الحقيقة التي غابت عن الكاتب بحيث ظن أن الأتعاب مرهونة بنتيجة الخصومة ، وبالتالي راح يربطها بعقود الغرر ، حتى يصل إلى حجة تؤيده فيما ذهب إليه من تحريم مهنة المحاماة بالكلية في الشريعة الإسلامية ، وهذا خطأ .

وقد يكون سبب هذا الفهم ما جرى عليه عرف بعض المحامين من تأجيل سداد بعض الأتعاب حتى تنتهي القضية وهو ما يسمى بمؤخر الأتعاب .

وللمحامي الحق في تأجيل أتعابه كلها أو بعضها دون أن يمس ذلك أصل استحقاقه لها .

وكثير من المحامين الإسلاميين لا يعملون بهذا العرف ويتقاضون أتعابهم نظير عملهم فقط ، دون النظر إلى نتيجة الحكم في الدعوى . وكان من هؤلاء : المحامي **عبد القادر عوده** رحمه الله . ويلاحظ أن الكاتب خلط بين أتعاب المحامي والرسوم القضائية التي تفرضها المحاكم وقوانين التقاضي .

⑥ ومن المفارقات أني كنت في الشهور الأخيرة متفرغاً للدفاع عن مجموعة من الشباب الإسلامي في قضية طلب الادعاء فيها الإعدام لهم ، وكنت في هذه القضية مدعواً ومتطوعاً وطامعاً في ثواب الله وحده ، وعارفاً بقوله عزّ وجل : **﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ... ﴾** ومن ضروب هذا الدفاع الرباني أن يقيّض الله نفراً من عباده للدفاع عن المظلومين من المؤمنين ، ثم فوجئت بمقال السيد/ **خادم حسين** عن المحاماة وتحريمها في الشريعة الإسلامية ، كما يحرم **« بيع الخمر ولحم الخنزير والبغاء »** ، فقلت : **« سبحان الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله »** .

عدم التسرع بفتوى التحليل والتحريم بدون دليل واضح ..

⑦ وأخيراً أنصح نفسي وإخوتي المسلمين ألّا ندخل على شرع الله بالفتوى والتحليل والتحريم إلا بعد دراسة عميقة وعلم غزير وإحاطة كاملة بالموضوع الذي نتصدى له ، لأن هذا اجتهاد والاجتهاد له أصوله وشروطه وأحكامه .

وحتى المجتهد المتمكن بعلمه والمخلص لدينه قد يخطىء ويصيب ، كما قال الإمام **مالك** رحمه الله **« كل منا يؤخذ منه ويرد عليه إلا صاحب هذا المقام »** ، مشيراً لمثوى الأمين عليه الصلاة والسلام .

غفر الله لنا وهدانا جميعاً إلى سواء السبيل .

حديقة الأمة

التاريخ ... والمنهج

التاريخ ليس هو الحوادث ، إنما هو تفسير الحوادث والاهتداء إلى الروابط الظاهرة والخفية التي تجمع بين شتاتها ، وتجعل منها وحدة متماسكة الحلقات ، متفاعلة الجزئيات ، ممتدة مع الزمن والبيئة امتداد الكائن الحي في الزمان والمكان . . .

ولكي يفهم الإنسان الحادثة ويفسرها ويربطها بما قبلها وما تلاها ، ينبغي أن يكون لديه الاستعداد لإدراك مقومات النفس البشرية جميعها : روحية وفكرية وحيوية ؛ ومقومات الحياة البشرية جميعها : غيبية ومعنوية ومادية ؛ وأن يفتح روحه وفكره وحسه للحادثة ، ويستجيب لوقعها في مداركه ، ولا يرفض شيئاً من استجاباته لها إلا بعد تحرج وتمحيص ونقد . . .

هذه المقدمة القصيرة ، لا بد منها لبيان ما في تناول المؤرخين الغربيين للتاريخ الإسلامي من نقص طبيعي في الإدراك ، ونقص طبيعي في الفهم ، ونقص طبيعي في التفسير والتصوير .

إن المنهج الغربي في البحث التاريخي غير صالح لتناول الحياة الإسلامية ، بل لتناول الحياة الشرقية على وجه العموم ، ولكن عدم صلاحيته يتجلى في جانب الدراسات الإسلامية أوضح وأقوى . .

[سيد قطب في تقديمه كتاب «خالدبن الوليد» لصادق عرجون]

قصة مثل

هذي بتلك والبادىء أظلم

قالوا : أول من قال ذلك الفرزدق ، ذلك أنه كان ذات يوم جالساً في نادي قومه ينشدهم ، إذ مر جرير بن الخطفي على راحلة ، فقال الفرزدق : من ذلك الرجل ؟

فقالوا : جرير . .

فقال للفتى : ائت أبا حرزة ، فقل له : إن الفرزدق يقول :

ما في حرامك اسكة معروفة   للناظرين وماله شفتان

قال : فلحقه الفتى ، فأنشده بيت الفرزدق . فقال جرير : ارجع إليه ، فقل له :

لكن حرامك والشفاه جمة   مخضرة كغباغب الثيران

قال : فرجع الفتى ، فأنشده ما قال جرير . . فضحك الفرزدق ، ثم قال :

هذه بتلك والبادىء أظلم .

(المستقصى في أمثال العرب)

نور من كتاب الله

﴿ . . . أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ، فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ، وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ . أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴾

(البقرة : ٨٥-٨٦)

الفرح في اليقين . . .

كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول : اليقين ، أن لا ترضي الناس بسخط الله ، ولا تحمد أحداً على رزق الله ، ولا تلوم أحداً على ما لم يؤتك الله ، فإن الرزق لا يسوقه حرص حريص ، ولا يرده كراهة كاره ، فإن الله بقسطه جعل الروح والفرح في اليقين والرضى ، وجعل الهمَّ والحزن في الشك والسخط . . .

(شرح حديث «ما ذئبان جائعان» لابن رجب الحنبلي)

وصية . .

روى ابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » أن لقمان الحكيم كان يقول لابنه :

يا بني لا تتعلم العلم لتباهي به العلماء ، وتماري به السفهاء ، وترائي به في المجالس ؛ ولا تدع العلم زهداً فيه ورغبة في الجهالة . . .

يا بني ، اختر المجالس على عينك ، فإذا رأيت قوماً يذكرون الله فاجلس معهم ، فإنك إن تك عالماً ينفعك علمك ، وإن تك جاهلاً يعلموك ، ولعل الله يطلع عليهم برحمته فتصيبك معهم . . .

وإذا رأيت قوماً لا يذكرون الله فلا تجلس معهم ، فإنك إن تك عالماً لا ينفعك علمك ، وإن تك جاهلاً يزيدوك غيّاً ، ولعل الله يطلع عليهم بعذاب فيصيبك معهم . . .

الشـح وحقيقتـه ..

الشح : الحرص الشديد الذي يحمل صاحبه على أن يأخذ الأشياء من غير حلِّها ، ويمنعها حقوقها . . .

وحقيقته : أن تتشوف النفس إلى ما حرم الله ومنع منه ، وأن لا يقنع الإنسان بما أحلَّه الله له من مال أو خرج أو غيرهما . . . فإن الله أحلَّ لنا الطيبات وحرَّم تناولها من غير وجوه حلِّها ، فمن اقتصر على ما أبيح له فهو مؤمن ، ومن تعدىٰ ذلك إلى ما منع منه فهو الشح المذموم ، وهو منافٍ للإيمان ، ولهذا أخبر الرسول ﷺ أن الشح يأمر بالقطيعة والفجور وبالبخل . . .

(شرح حديث « ما ذئبان جائعان » لابن رجب الحنبلي)

المحبوس ... والمأسور !

لما حبس شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في القلعة بمدينة دمشق ، نظر إلى سورها لما صار بداخلها ، وتلا قوله تعالى :

﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾ ثم قال :

لو بذلت ملء هذه القلعة ذهباً ما عدل عندي شكر هذه النعمة ، أو قال : ما جزيتهم على ما تسببوا لي من الخير . . .

وقــال :

المحبوس من حبس قلبه عن ربه ؛ والمأسور من أسره هواه . . .

(التاج المكلل)

البصـيـرة في الأخبـار ...

. . . وكثيراً ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل من المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثاً أو سميناً ، ولم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهها ، ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات ، وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار . . . فضلُّوا عن الحق ، وتاهوا في بيداء الوهم والغلط . . .

(مقدمة ابن خلدون)

النهي عن التجسس ...

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

« إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تحسسوا ، ولا تجسسوا ، ولا تنافسوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخواناً كما أمركم ، المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، التقوىٰ ههنا - ويشير إلى صدره - بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه ؛ إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم » .

(البخاري ومسلم)

القـــرآن أقـــوىٰ ..

كانت فرنسا أثناء احتلالها للجزائر تبذل أقصى محاولاتها لفصل الشعب الجزائري عن الإسلام والعروبة ، وخطر لها ذات يوم أن « تفرنس » عشر بنات من المسلمات في مدينة الجزائر (العاصمة) فاحتضنتهن في حدائق الأطفال ، ونشأت البنات نشأة فرنسية كاملة ، في مراحل التعليم كلها إلى أن وصلن إلى امتحان البكالوريا (الثانوية) وما أعظم دهشة فرنسا ، وما أعظم ثورة الصحافة الفرنسية هنا في ٢٣ حزيران (يونيه) ١٩٥٨م حينما شوهدت البنات يأتين إلى الامتحان بالثياب الإسلامية ، محجبات كما تحتجب بنات الجزائر المسلمات في الصحراء . . برغم خمسة عشر عاماً من التربية الفرنسية الكاملة !!!

يومها سئل « لاكوست » الوزير الفرنسي المقيم في الجزائر : كيف حدث ذلك ؟

فقال : وماذا أصنع ؟ إن القرآن أقوىٰ من فرنسا !!!

(مجلة الموقف اللبنانية)

من توكل على الله فهو حسبه

يهون على مثلي إذا رام حاجة ... وقوع العوالي دونها والقواضب

كثير حياة المرء مثلُ قليلها ... يزول ، وباقي عمره مثْلُ ذاهب

إليك ، فإني لست ممن إذا اتقى ... عضاض الأفاعي نام فوق العقارب

[أبو الطيب المتنبي]

بقلم : د. عباس محجوب

■■ يتعرض العالم الإسلامي لتحديات متباينة في ميادين العلم والثقافة، وفي ميادين الاقتصاد والاجتماع والشؤون العسكرية، وهذه التحديات تدفعه إلى إعادة النظر في واقعه، وحساب ما يمكن تغييره في الحاضر وتحقيقه في المستقبل بالأخذ بأسباب التقدم المادي والمعنوي، وهذا هو الذي يجعل كثيراً من المفكرين ينادون بمراجعة مناهج التعليم عامة والجامعات والمؤسسات خاصة، حيث يتضح جلياً عجز مناهج التعليم في الجامعات الإسلامية عن تحقيق الأهداف الفرعية لهذه المؤسسات فضلاً عن الأهداف الرئيسة لها؛ مما يتضح في ضعف الدعاة وعجزهم عن مواجهة مشكلات العالم الإسلامي وقضاياه، والمتغيرات التي تتجدد في حياته؛ الأمر الذي يلاحظ على ضعف (المردود الدعوي) مقارنة بالجهد المبذول فيه والمال المنفق عليه. ■■

دراسة نقدية لجوانب القصور في المناهج التربوية في الجامعات الإسلامية

تكوين الشخصية الإسلامية الواعية ثمرة للمناهج التربوية الناجحة

ويرى كثير من الباحثين والمتتبعين لمناهج الدراسات الإسلامية ان المؤسسات الإسلامية عامة والجامعات خاصة لم تصل بعد بمناهجها إلى تكوين الشخصية الإسلامية التي تتفاعل مع عقيدتها وثقافتها، وتترجم قيم الإسلام ومثله واقعاً معاشاً يقتنع به الآخرون، ولا يزال كثير من هذه المؤسسات هياكل مادية وإدارية تتعلق بالتراث، وترفع شعار الدعوة دون ترجمة لها ضمن حقائق الحياة وهموم المسلم العادي.

والعاملون في مجال الدعوة يغفلون او يتجاهلون التفرقة في نتاج الدعوة بين المردود الرسمي الوظيفي لعمل الدعاة، والتلقائي والحياتي لغيرهم، كما أن التفريق لازم بين ما نبذل ونقول وما نجني ويقال عن جهودنا.

إن إعادة النظر في قصور المناهج وضعفها وتدنيها يحتاج إلى تجرد وإخلاص، وإلى شجاعة تنظر إلى المسؤولية أمام الله قبل كل الاعتبارات التي ادت ولا تزال تؤدي إلى ضياع جهود مبذولة وسنوات ضائعة؛ **لأن التغير المستمر في أساليب الحياة وكميات المعرفة الإنسانية تقتضي إعادة النظر دائماً في المنهج وأساليب الدعوة، والقدرة على اكتساب المعارف المتطورة، والتذكر دائماً بان العالم الذي نعيش فيه ليست اقاليمنا ولا عالمنا العربي والإسلامي، وإنما هو عالم آخر يعطينا ويؤثر فينا، ونحن نستورد منه كل شيء حتى الكراسي التي نجلس عليها لنحاضر عن الإسلام والمسلمين!!**

جوانب قصور المناهج الدراسية ...

ولكي يكون ما نقول محدداً، فيحسن أن نحدد بعض النقاط المتعلقة بالمناهج الدراسية والتي تمثل عوامل هامة في ضعف الدعاة والمتخرجين من المؤسسات الإسلامية وبطبيعة الحال فإن ما نقوله لا ينطبق على كل داعية ولا كل مؤسسة وإنما يمثل ظاهرة لا تحتاج إلى استقصاء، واهم هذه الأسباب هي:

اولاً ـ وضع المناهج:

١ ـ إن المناهج غالباً ما توضع من خلال مفهومات خاطئة تعيش في أذهان بعضهم ولا تجد لها حقيقة في الواقع، ومن خلال وهم قد لا يكون صحيحاً أو قد لا يكون معكوساً بالمقاييس المجردة، وتظهر نتائج ذلك كله أثقالاً على المادة الدراسية وضياعاً لجهد كان نافعاً لو امتدت أبصارنا إلى أبعد من مرمى أعيننا، بل ويتعدى ذلك في قلب مفاهيم البشرية الثابتة في جعل الاختصاص جهداً بشرياً غير خاضع لظروف الزمان والمكان إلى جعله شيئاً متعلقاً بمصادفات الحياة وظروف المكان، وكان من نتائج هذا النقص في مناهجنا هو الرفض المستمر لها، بل السخرية واتخاذ موقف العداء خارج نطاق ما هو مقرر ومفروض، ولعلنا نكون كما يقول المودودي:

«... نخدع الناس خديعة كبرى عندما نزعم ان جامعاتنا وكلياتنا ومدارسنا معاهد إسلامية، لان مثل هذه المعاهد بالطريقة التي تسلكها في تعليم الدين؛ تخرج لنا نسبة من طلابها يؤمنون بالله إيماناً سطحياً، لا يتجاوز التلفظ (باسمه) في غفلة ومن غير فهم، او إدراك لما يتطلبه هذا الإيمان من العمل والكفاح».

نقد ذاتي يشمل جوانب العمل التربوي

إن الوسيلة إلى معالجة هذا الأمر يتطلب مراجعة لتصحيح المفهومات، وممارسة لنوع من النقد الذاتي يشمل جوانب العمل التربوي من جوانبه المختلفة، وعطاء الفكر الإسلامي المعتمد

إن التغيير المستمر في أساليب الحياة وكميات المعرفة الإنسانية يقتضي إعادة النظر دائما في المنهج وأساليب الدعوة ..

د. محمد حسين الذهبي

مشكلة المناهج الاعتماد على كتب المؤلفين بدل القرآن والسنة ...

على هذه المناهج في مواجهة التصورات غير الإسلامية للحياة، والهزات التي تتعرض لها القيم الدينية والمعتقدات من خلال المؤثرات التي غزت العقول والبيوت والصغار والكبار؛ التي نقف أمامها مستنكرين عاجزين نتلو بعض الآيات، أو نذكر بعض الأحاديث التي نتعامل معهما في نطاق الترف الفكري والجدل الديني.

إن نقداً ذاتياً يبرز عيوب الأسس والمفاهيم التي تحدد مناهج الدراسة للدعاة، وسلامة الأساليب التي يتعاملون بها، ومدى جديتها ونفعها في مواجهة الحياة المعاصرة، أمر مفيد في جعل الإيمان بالله منهجاً للسلوك البشري، والإسلام نظاماً للحياة يقتنع به الدعاة والمدعوون.

اعتماد القرآن والسنة مصدراً أو مادة للمنهج التربوي

ويرى الدكتور محمد حسين الذهبي رحمه الله:

إن سبب ضعف المناهج الإسلامية عدم اعتماد القرآن والسنة مصدراً ومادة للمنهج، واعتماد مناهج التعليم الإسلامي على كتب ومؤلفات موضوعة بدلاً من الاعتماد على القرآن والسنة بطريقة مباشرة:

« إن التزام المنهج المستمد مباشرة من الكتاب والسنة في العقيدة .. والاحكام وفي الأخلاق والعبادات وفي الاقتصاد، ونظم الحكم كان يستطيع حماية التربية الإسلامية من السقوط والجمود الذي انتهت إليه لانه كان يفرض عليها ان تحاول الارتفاع بوسائلها وادواتها وطريقها إلى مستوى يؤهلها للتعامل معه ... وكان يفرض عليها ان تحافظ على هذا المستوى وتنميه .. اما حين انفصلت عنه واحلت مناهج بديلة من كتب المؤلفين ومصنفاتهم؛ فقد احلت نفسها من هذا الالتزام الشاق والمضني، واصبحت في حل من مسايرة الزمن هبوطاً وصعوداً، بل إنها بهذا الموقف دفعت بعوامل هبوطها واضمحلالها بسرعة عجلت بنهايتها، وما كان للاجتهاد الفقهي مثلاً ان يتوقف لو استمر النشاط الفقهي مرتبطاً بالكتاب والسنة ارتباطاً مباشراً (انظر مجلة البعث الإسلامي الأعداد ٥، ٦، ٧ عام ١٣٩٦هـ).

تخلف القائمين على وضع المناهج وقصورهم

إن مشكلة المنهج الإسلامي: أن الذين يتصدرون لوضعه ممن لم يباشروا هذا العمل ويكتسبوا فيه خبرة، وبعض من يرون أن المنهج الذي درسوا به وتخطته البشرية قبل قرن هو الذي يصلح لجيل يواجه تحديات الحضارة المادية، ويحاول أن يقدم للبشرية الإسلام المرتبط بالحياة كما جاء به أفضل الخلق عليه الصلاة والسلام، **ولكي اعطي انموذجاً لتفكير بعض العلماء في تخطيط المناهج وسيطرة الاتجاه الفردي على المنهج ما ورد في أحد البحوث التي قدمت للمهرجان التعليمي لندوة العلماء في الهند عام ١٣٩٦هـ.**

فالباحث يعلن أولاً: عن يأسه من كل تعليم تشرف عليه الحكومات والوزارات، لأن أمم الكفر هي المثل الأعلى لجهلهم. ثم يقسم التعليم إلى تعليم عام في المرحلة الابتدائية؛ يتكون المنهج فيه من التعريف بمعنى الشهادتين والطهارة والصلاة وما تيسر من القرآن الكريم والكتابة للغتين العربية والانجليزية وشيء من الحساب. أما المرحلة التالية للتعليم الابتدائي فيكتفى فيها بما وضعته الدولة الحاكمة مع استعاضة التعليم الديني بالتربية الدينية، أما القسم الثاني بعد التعليم العام فهو التعليم الخاص؛ يختار فيه عدد من طلاب المرحلة الابتدائية لدراسة الشريعة الإسلامية وعلومها واللغة وشيء من العلوم الطبيعية والانجليزية، ويعطى الناجح شهادة تخصص في التفسير أو الحديث أو الفقه أو اللغة مع ملاحظة عدم الإسراف من الخريجين، بل ليكونوا بقدر حاجتنا إلى أئمة المساجد والمدرسين في الابتدائي والوعاظ والمرشدين، ولا يتخرج رجل كما يقول الباحث إلا وقد أعدت له وظيفة براتب يساوي على الاقل ثلاثة أرباع ما يتقاضاه نظيره في سلك عمل الدولة للحفاظ على شرف رجل العلم الديني بين الأمة.

أما تعليم البنات فلا حاجة إلى أكثر من تعليمهن فترة خمس سنوات (قراءة وكتابة ولغة عربية والضروري من العبادات والأخلاق والآداب، ثم تحتجب عن الرجال ويكفيها ما تمنح من شهادة، ولا بأس من إضافة سنتين إذا وجدت لهن معاهد لتعليم بعض الصناعات الخفيفة مع توجيه ديني).

ولا يحتاج مثل هذا المنهج إلى تعليق لأن هذا هو الذي سينشر الإسلام في الأرض ويجعله كما يقول صالحاً للحياة بما فيها من حركة ونشاط، ومثل هذه الأفكار هي التي توجه التعليم في بعض الجامعات الإسلامية وتصبغه بآرائها، وترى في كل دعوة إلى التجديد والتطوير خروجاً عن منهج الإسلام وروحه.

وكيف يمكن للإسلام والمسلمين بهذه المناهج أن يواجهوا العالم الحاضر ويقدموا له عقيدة الإسلام وشرع الله، وهل نظل نفصل بين التعليم الديني والمدني بالرغم مما سبب ذلك للإسلام وأهله، ولماذا يترك دعاة الإسلام مجالات الحياة العريضة وينزوون في المساجد وحلقات الوعظ والإرشاد التي كان الرسول ﷺ يتخول أصحابه به مخافة السآمة، ثم يتركون الحياة التي يجب أن تصبغ بصبغة الله ومنهجه وشرعه لغيرهم.

حاجة المناهج الإسلامية إلى رعاية قيادات واعية

إن المناهج الإسلامية تحتاج إلى رعاية قيادات واعية متفتحة على الحياة متشبعة بروح الإسلام السمحة، منطلقة إلى توجيه الشباب لاسترداد قيادة البشرية التي خصها الله بها حين تستكمل عناصر استحقاقها، وليست في حاجة إلى القيادات التي تأتي بها الظروف وتفرضها الظروف والتعصب دون إدراك لغايات العملية التربوية، ودون تجارب وخبرات تقاد بها المناهج وتخطط وتوضع وتراقب بعقل متفتح وإيمان عملي بصلاح منهج الله للأرض، وقلب قابل للتطور

دراسة نقدية لجوانب القصور

في المناهج التربوية في الجامعات الإسلامية

مؤمن بتغيرات الحياة في عالم لا نعيش فيه وحدنا بل يراقبنا فيه أعداؤنا ويحسبون خطواتنا ويدرسون أفكارنا واتجاهاتنا . **إن المسلمين في حاجة إلى إعداد الشباب المسلم بطريقة تختلف عن الطرق التي نتبعها في الوقت الحاضر ، وذلك بتحديد الإطار الفلسفي الذي يحدد المناهج الإسلامية وطرق تنفيذها ومن ينفذونها** . والكتب المستخدمة والعلاقة المفتقدة بين النواحي العملية والنظرية وما إلى ذلك مما نحتاجه في تحديد الصورة الجديدة لمناهج التعليم في المؤسسات الإسلامية .

ثانياً ـ تخطيط المناهج الإسلامية :

أصبح وضع المناهج والتخطيط لها من التخصصات التي جاءت نتيجة لتطور التربية ، وكذلك الحاجة إلى متخصصين في الدراسات التربوية والنفسية والبيئية والاجتماعية والثقافية وأصحاب الخبرة في مجال التعليم وقيادته وتقييمه ، ولم يعد تخطيط المنهج معنياً بتحديد المواد الدراسية فحسب ، بل العناية إلى جانب ذلك بتحديد الأهداف العامة والخاصة للمنهج عامة والمواد خاصة ، وتحديد حاجات المجتمع ومن تقع عليهم عملية التربية إلى جانب الأنشطة التي تحقق تلك الأهداف .

ولم يعد هؤلاء المتخصصون وحدهم الذين يخططون للمنهج ، وإنما يضم إليهم استئناساً (المعلمون والطلاب وأولياء الأمور وأصحاب الرأي في المجتمع) : حتى يأتي المنهج محققاً لأهداف المجتمع وممثلاً لتطلعاته في الحياة ، وفي تحقيق وجوده على الأرض والغاية التي خلق من أجلها .

وإذا نظرنا إلى المناهج الإسلامية نجدها بعيدة عن تحقيق شيء من ذلك بل وتحديد ذلك كله حتى على الورق . ولا يتعدى الأمر أن تجتمع لجنة لتخطط للمنهج دون تقديم دراسات مفصلة عن المواد المقترحة ، وأهداف كل مادة ومدى تطابقه مع حاجة من توجه المادة إليهم .

نماذج من الفوضى والاضطراب في المناهج

وتلحظ ذلك بجلاء في كثير من الكليات التي تحمل مسميات لمواد إسلامية تصلح أن تكون أقساماً في كلية للدراسات الإسلامية ، ثم تجدها جميعاً مع اختلاف مسمياتها تدرس المواد نفسها بمجرد إضافة ساعات هنا وتغيير مسميات هناك ، حتى في بعض كليات اللغة العربية يثقل المنهج بالمواد الإسلامية التي تحتل أكبر مساحة في خارطة المنهج على حساب التخصص ، فتكون النتيجة أن يتخرج الطالب جاهلاً باللغة العربية وآدابها ، خالي الوفاض من الدراسات الإسلامية ، بل تجد فيهم من يواصلون في الدراسات العليا وهم لا يحسنون الكتابة الإملائية فضلاً عن التعبير الصحيح !!

ويكون ذلك كله على حساب دعاة الإسلام وسمعة المنتسبين إلى الدعوة الإسلامية ، وقد رأينا كثيرين ممن يعدون من علماء الشريعة ودعاة الإسلام يحفظون موضوعاً واحداً أو موضوعين يتحدثون عنهما في كل مكان ، وأحياناً من أوراق تحتاج إلى ضبط للإعراب ، وعن هذه النوعية يقول الأستاذ سعيد الأعظمي :

« **والنظام الذي يسود في مدارس المسلمين التي تعنى بتعليم الكتاب والسنة وعلوم الشريعة ، ولا ترى اي حاجة إلى تعليم المعارف العصرية : من علوم الطبيعة والاجتماع ، والسياسة والاقتصاد ، والجغرافيا والرياضة والحساب ، وما إلى ذلك مما لا غنى عنه للإنسان المعاصر** .

أو انها لا ترفض تلك العلوم ولكن تهمل شأنها وتقلل قيمتها لطلابها الدارسين فيها ، أو انها تقتنع بما تتمكن من تعليم المواد الشرعية والفقهية والأدبية ، وتزعم فيها الكفاية التي لا زيادة عليها وأي شيء يكن فإن هذا النظام أيضاً لا يؤهل طلابه للخوض في غمار المعركة الفكرية الدائرة ، ومواجهة التحديات العلمية والأدبية ، ودحض الفتنة الثقافية وإحباط المؤامرات العدائية تلقائياً ، إنه لا يؤهله للنهوض بأعباء الدعوة الإسلامية وإقناع الطبقة المثقفة بعبقرية النظام الإسلامي وصلاحيته لقيادة النوع الإنساني في كل زمان ومكان ، وفي جميع الظروف والملابسات ، فضلاً عن أن يؤهله لتأسيس العقيدة في نفوس أفرادها وزرع الإيمان في قلوب رجالها ، وبالتالي تأسيس المجتمع الأفضل وإعداد القوة والدولة في العالم كله . (انظر المرجع السابق) .

الجمود على المناهج القديمة وعدم التطوير

إن كثيراً من القيادات التربوية المحافظة لا تتحمس كثيراً لتجديد المنهج لظنهم أن الذي ألفوه هو الخير ؛ لأنهم اعتادوا عليه فهم لا يتعاملون مع المعطيات الجديدة في مجال المناهج ، حتى لا تأخذهم في متاهات وعرة وميادين قد يعجزون عن مجاراتها .

وقد يخاف بعضهم على مكتسباته إحساساً بأن الاتجاهات الجديدة المصاحبة للمنهج ، والأساليب المطلوبة لتنفيذه فوق إدراكه وكسبه ،

إن المناهج الإسلامية تحتاج إلى رعاية قيادات واعية وليست بحاجة إلى القيادات التي تأتي بها الظروف والتعصب دون إدراك لغايات العملية التعليمية ..

بينما الكثير منهم يتعلق بالقديم ويتحمس له لمجرد أنه يعرف القديم ، أو لأن كسبه من الخبرة في التعليم لا يسعفه على غير ما خبر وحفظ ، **ولذلك يهتم علماء المناهج بأهمية الاقتناع العقلي والنفسي بأن الجيل اللاحق لن يكون صورة من السابق له** ، ولكنه أمله المتفوق عليه ومستقبله الذي سعى لتحسينه ، كما يهتمون بأهمية مشاركة المجتمع للقيادة الإدارية في تطوير المناهج وتعديلها على أسس علمية وخبرات مفيدة وفكر يتجاوز حدود الزمان وقيود المكان .

والمجتمع يمثله في المنهج مختلف الفصائل فيه ، ومختلف التخصصات التي تعيش فيه ليساعدوا بآرائهم ومقترحاتهم مع اختلاف اوزانهم في العملية التربوية ، ليساعدوا الخبراء الذين يقومون بوضع المناهج الشاملة ؛ ليأتي المنهج ملبياً لحاجة المجتمع المسلم وأمله في تحقيق أسباب وجوده .

ثالثاً ـ الطابع التراثي للمناهج الإسلامية :

فالمناهج لا تتعدى العلوم القديمة (التي تعمق عزلة الفكر الديني وتخلفه عن إشباع حاجات الأمة المسلمة في بناء الأفراد وبناء الأمم) وقد نبه الأستاذ المودودي إلى خطورة هذا الاتجاه، حين قال :

« ... إن نظام التربية القائم مبني على اساس ترديد معارف الأسلاف ، واستظهار علومهم من غير زيادة او تطوير ، ومثل هذا

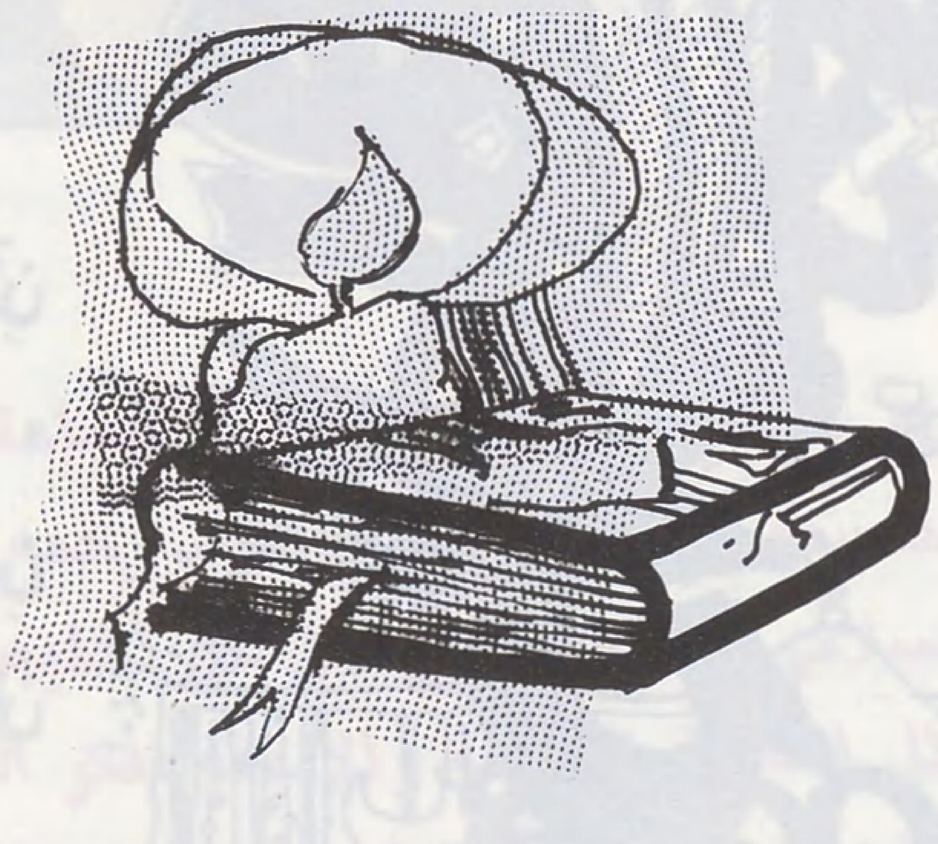

النظام يستحيل عليه ان ينجب لنا رجالاً يستطيعون ان يحققوا الثورة في نظم التعليم ، وبالتالي يخفقون في انتزاع زمام القيادة من يد الغرب ، وعلى هذا يصبح جلياً انه إذا كنا لا نبالي ان تضمحل النزعة (الربانية) من العالم ويطويها الفناء البطيء فما علينا إلا ان نبقي النظام القائم على ما هو عليه ، اما إذا كنا نحرص على ان نؤدي واجبنا تجاه الإسلام وتجاه الإنسانية ، فإن تغيير مناهج التعليم امر ضروري لا بد منه » .

إن كثيراً من الناس يظنون أن دراسة التراث والارتباط بمناهج الأقدمين في التحصيل هو الوسيلة إلى فهم الإسلام دون معايشة هذا التراث ، وفهمه وهضمه وتقديمه إلى الناس بما يحقق الأهداف التي حققتها لمن كتبت في الأصل لهم .

مواجهة تحديات العصر ومجابهة مشكلاته

إننا نناقش في منهجنا قضايا في العقيدة والفقه واجهت حاجات المجتمعات التي كتبت لها ، وصمدت أمام تحديات الفكر البشري آنذاك ، وتجرد سلف هذه الأمة في بسط قضايا العقيدة بما عزز الفكر الديني في مواجهة المغرضين والحانقين . فما قيمة أن نردد تلك المقولات ونثير تلك القضايا المحلولة في الكتب ، في حين أننا نعجز عن الوقوف ضد تحديات الفكر المعاصر بقضاياه وإشكالاته ، **أليس من الواجب أن تواجه العقيدة الإسلامية التحديات التي تواجه المسلمين في كل مكان** ؟

وهل دراسة الأفكار والمذاهب الهدامة بتلك الطريقة الساذجة التي لا تتناول الأسس العلمية لهذه الأفكار أو التي تسمى بالأسس العلمية ؟

وهل وصف الأفكار بأنها هدامة ومدمرة ولا قيمة لها ينفي ذيوعها وانتشارها وتدريسها في بعض البلاد الإسلامية .

العقيدة الفاعلة المؤثرة في حياة الناس اليومية

إن العقيدة تستمد قيمتها عندما تتغلغل في حياة الناس اليومية ، توجه سلوكهم وتنظم حياتهم وتتشبع بها مناهجهم وعلومهم ، وتتطابق الأقوال والأفعال ولا تكون مجرد كتب ومقولات تردد ووسيلة تتغير ومظهر قصور فكري وعجز ثقافي .

إن الذي مكن لكثير من الأفكار التي تعيش في العالم الإسلامي هو : (عجز المنهج الدراسي عن تقديم العقيدة التي يقتنع بها الناشئة وتتفاعل بها الحياة وتتبثق عنها الأفكار وتكون سياجاً للقيم وسداً أمام الانحراف) .

إن المسلم يريد عقيدة يشعر بالانتماء إليها والاعتزاز بها والتضحية في سبيلها إذا أحس بأن عقيدته هي التي تصبغ الحياة حوله وتسير الوجود الذي يعيش فيه وتنظم العلاقات الممارسة في واقع الحياة .

ولعلك إذا نظرت لمن يحملون هموم هذه الدعوة ، ويعملون على نشرها ، بل ويبذلون حياتهم في سبيلها ، فهم الذين لم يعرفوا أو يدرسوا مناهجنا الدينية ، ولم يتحنطوا بأفكارنا الجدلية ـ وحتى الذين عرفوا هذه المناهج وقاموا بعبء الدعوة وتكاليفها هم الذين تمردوا عليها ، وخصهم الله بمواهب ومدد تجاوزوا بها الحدود الضيقة ، وتعالوا بها على مغريات الخلود إلى الأرض ، وعبروا بها الفجوة المصطنعة بين التراثيين والمجتمعات المسلمة بهمومها ومشكلاتها .

أسلوب التخطيط . . .

أما عن أسلوب التخطيط للمناهج فإن الأمر يقتصر على لجنة تقترح نوع المقررات المناسبة ، أو تستأنس بمنهج إحدى الكليات ، ثم تدخل من المواد الإضافية ما يتناسب مع مسمى الكلية ، أو القسم فإذا كانت الكلية للدعوة مثلاً جاءت المواد تحت أسماء : (**تاريخ الدعوة ورجال الدعوة**) ، فتشكل هذه أربع مواد منفصلة متداخلة ثم تكون موادها مثل مواد أي كلية أخرى ، (**فقه وتفسير ونحو وأدب وأديان وفرق وسيرة**) ، ثم لا يتعرض المنهج لجوانب العملية التربوية الأخرى التي لا تقتصر على المادة الدراسية وعيوب هذه الطريقة كبيرة منها :

١ ـ انها تعبر عن رأي الأشخاص وليس عن اتجاه فكري يتمخض من الحوار بين اجهزة التعليم والمسؤولين عنه والمخططين له .

٢ ـ انه يغفل التكامل الرأسي والأفقي بين المواد في المراحل المختلفة وفي المرحلة الواحدة .

٣ ـ انه لا يتيح الفرصة امام المشاركين في العملية التربوية والمستفيدين منه من إبداء رأيهم فيه .

٤ ـ انه لا يخضع لتجربة زمنية يقرر مدى صلاحيتها بعد دراسة جوانبها كلها .

٥ ـ انها لا تعتمد على دراسات علمية سابقة تحدد الجدوى التربوية لكل مادة على حدة ثم للمواد مجتمعة .

وذلك كله لأن المادة الدراسية ليست هدفاً في ذاتها بقدر ما هي وسائل لبلوغ أهداف المنهج ، وأن الدراسات العلمية هي التي تحدد مجالات النقص والحاجة والفائدة . وأن أسباباً معينة هي التي تحدد نوعية المادة الدراسية ، ولذلك ينادي علماء التربية بحاجة الجامعات ووزارات التعليم إلى وجود جهاز يقوم بمهمة الدراسات العلمية لوضع المناهج وتقويمها بصفة مستمرة ؛ وجني حصاد البحوث التي كتبت والدراسات والمقترحات حتى يكون الجهاز مستعداً دائماً للتعديل والتبديل والتطوير ، كما أن هذا الجهاز يحتاج إلى حقل يجرب فيه الجديد مما يقترح ويدرس سلبياته وإيجابياته ، ثم يقرر السير فيه أو تركه قبل تقديمه إلى مرحلة التنفيذ ، ولعل المنظمة التربوية لدول منطقة الخليج قد أسست هذا الجهاز وبدأ في مهامه ، **وقد جرب السودان هذا الأنموذج في صورته المثالية التي لم يسبق في المنطقة العربية إليها ، حينما كان جهاز المناهج في بخت الرضا ، وقبل أن يتعرض التعليم هناك للتغييرات التي حدثت عام ١٩٧٠م وما تبعها من عوامل مختلفة .**

الوطن الذبيح!

وَجَعُ أَلَمٍ فَغِبْتُ في أَحْزَاني ... وَذُهِلْتُ عَنْ أَهْلِي وَعَنْ خِلاّنِي
يَا أَيُّهَا الوَطَنُ الذَّبِيحُ وَإِنَّهَا ... لَخَنَاجِرُ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ
في كُلِّ نَاحِيَةٍ دِمَاءُ ضَحِيَّةٍ ... وَرُكَامُ بَيْتٍ غَابَ بَيْنَ دُخَانِ
مَاذَا أَقُولُ عَنِ الجَرِيمَةِ إِنَّهَا ... فَوْقَ الحُرُوفِ وَفَوْقَ كُلِّ بَيَانِ
مَاذَا أَقُولُ وَكُلُّ حَرْفٍ في فَمِي ... حَجَرٌ فَهَلاَّ تَنْطِقُ الشَّفَتَانِ ؟!
مِن ثُلْثِ قَرْنٍ وَالعَذَابُ يَسُوطُنِي ... وَأَنَا أُجَالِدُهُمْ عَلَى الغُدْرَانِ

•••

هُمْ قَوَّضُوا فِيَّ الجَنَاحَ فَكَيْفَ لِي ... بِاللهِ أَنْ أَقْوَى عَلَى الطَّيَرَانِ ؟!
هُمْ جَرَّدُونِي مِن سِلاَحِي كُلِّهِ ... حَتَّى غَدَوْتُ أَذُودُ بِالأَسْنَانِ
أَلأَنَّنِي لَمْ أَحْتَطِبْ في حَبْلِهِمْ ... صَبُّوا عَلَيَّ الحِقْدَ بِالأَطْنَانِ ؟!
الحَرْبُ كُلُّ الحَرْبِ ثُمَّ لِيُطْفِئُوا ... نُورَ السَّمَاءِ .. وَيَخْنُقُوا إِيمَانِي
كُلُّ الشِّعَارَاتِ الَّتِي هَتَفُوا بِهَا ... سَقَطَت وَبَانَتْ خُدْعَةُ الشَّيْطَانِ ...
هَا هُمْ أَمَامَ الشَّمْسِ عُرْيٌ فَاضِحٌ ... لا شَيْءَ يَسْتُرُهُمْ سِوَى الخُذْلاَنِ

•••

الحَرْبُ لَيْسَتْ ثُمَّ حَرْبَ سِيَاسَةٍ ... لَكِنَّهَا حَرْبٌ عَلَى القُرْآنِ
فَاقْرَأْ إِذَا مَا شِئْتَ مِن أَخْبَارِهِمْ ... يُذْهِلْكَ « حَدَّادٌ » عَلَى « إِيتَانِ »
لَكِنَّهُم وَالمَدُّ في أَعْقَابِهِمْ ... سَيُوَاجِهُونَ كَتَائِبَ الرَّحْمَنِ
سَيُدَمْدِمُ الإِسْلاَمُ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ ... وَيَكُبُّهُمْ صَرْعَى عَلَى الأَذْقَانِ

•••

يَا أَيُّهَا الثُّوَّارُ هَذَا دَرْبُكُمْ ... لا يُرْتَجَى لِلنَّصْرِ دَرْبٌ ثَانِ
إِنْ لَمْ تَكُونُوا مِن جُنُودِ مُحَمَّدٍ ... فَتَرَقَّبُوا هَوْلاً بِلاَ شُطْآنِ
تَكْبُو الجِيَادُ بِهِ فَلاَ مِن مُنْقِذٍ ... وَتَشُبُّ فِيهِ الأَرْضُ عَنْ بُرْكَانِ

شعر : محمود مفلح

الجماعة الإسلامية في شبه القارة الهندية

أنموذج متقدم على طريق العمل الإسلامي

● أبو الأعلى المودودي : أمير الجماعة الإسلامية ●

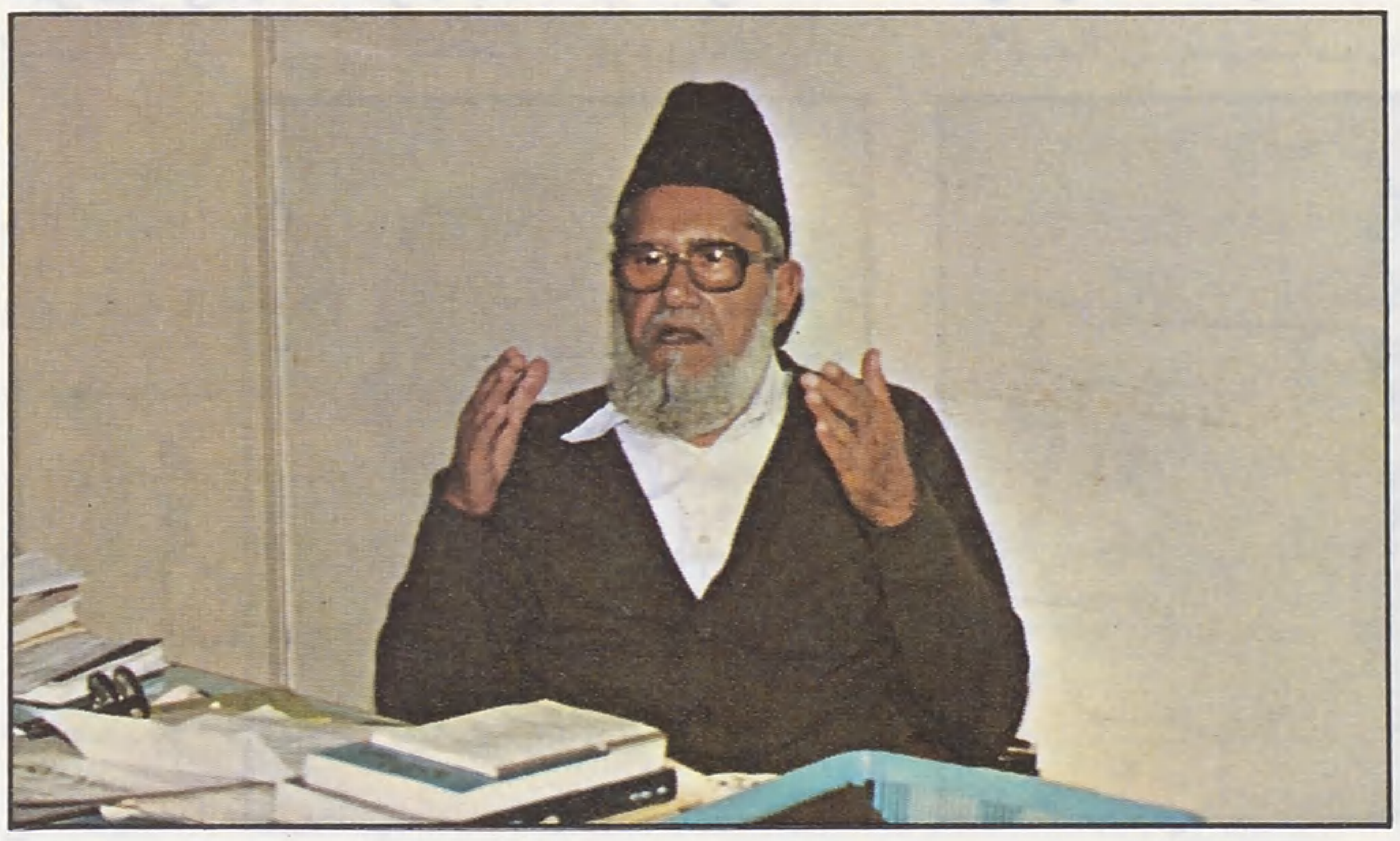

● طفيل محمد يتحدث عن التوجه نحو الإسلام وأزمة الحضارة الغربية .. ●

■■ حين يكون الحديث عن الجماعة الإسلامية في شبه القارة الهندية ، فلا بد أن يكون المدخل إليه من خلال أبعاد شخصية أبي الأعلى المودودي ـ رحمه الله ـ وفكره .. ليس لأن الجماعة ترتبط بشخصه ـ فقد حارب ظاهرة ارتباط العمل الإسلامي بالأشخاص وعمل على تخليصه منها ، التزاماً بالمبدأ والمعتقد الصحيح ـ ولكن لأن شخص المودودي ؛ يمكن أن يمثل النافذة الدقيقة والأمينة لفكر الجماعة ورسالتها الإسلامية .. غاية ومنهجاً ووسائل :

[... ليس هناك إلا شيء واحد هو الذي قرره الإسلام غاية للإنسان في حياته من وراء مجهوداته ومساعيه وهدفه الذي يجب أن يطمح إليه .. وهو ابتغاء وجه الله تبارك وتعالى ..] .

على هذا الأساس ؛ أقام المودودي الجماعة الإسلامية في شبه القارة الهندية (١٣٦٠هـ ـ ١٩٤١م) ، كأنموذج متقدم على طريق العمل الإسلامي ، في مدينة لاهور ـ باكستان ـ التي نقوم بجولة في مقرها الرئيسي ـ تأسس عام ١٣٩٣هـ ـ والذي أسمي « المنصورة » تيمناً باسم أول معسكر أقامه محمد بن القاسم الثقفي ـ فاتح شبه القارة الهندية ، والذي لا يزال مكانه معروفاً قرب كراتشي ـ حيث تشغله كلية كبيرة للغات الشرقية ■■

الجماعة الإسلامية في شبه القارة الهندية

استطلاع

منطق التعصب ..

اتسمت مرحلة الصراع حول صيغة ونظام الحكم - في شبه القارة الهندية - بعد استقلالها وقبيل تقسيمها - بالتعصب ضد كل ما هو إسلامي - كأثر من آثار الاستعمار البريطاني في صناعة التعصب وإحاطة المسلمين بمجتمع كراهية ، حتى يحولوا دون تأثير الإسلام في المجتمع الهندوسي .. وكان **المودودي** ينصح جماعة **غاندي ونهرو** : **« أن لا يضعوا على قلوبهم أقفال العداء والعصبية ، التي احتلت العقول بسبب ما جرى في التاريخ البعيد بينهم وبين المسلمين »** ويقول لهم :

[... من الواضح أنكم لا تتعصبون فيما يتعلق بالمبادىء الأخرى التي تروج هذه الأيام في دنيا الناس ، هذه الديمقراطية القومية العلمانية لم تأتكم إلا من شعب انجليزي حكم بلادكم وأذل أعناقكم بكل وسائل العنف والإرهاب طيلة مائتي سنة ، فلماذا لا تبدون أية عصبية بشأن الديمقراطية العلمانية ؟

ولماذا لا تقولون إنها بنت أفكار شعب اضطهدنا وداس على حرياتنا ؟ وإذا كنتم قد نسيتم كل عصبية بشأن هذه المبادىء وأحببتم أن تنظروا إليها نظرة الباحث المحايد عن حق ؛ فلا مبرر لأن يأخذ العنت إلى قلوبكم سبيله فيما نقدم لكم من أسس وقواعد ...] .

على أن الجماعة في تلك المرحلة - التي جرى في أعقابها التقسيم - لم تكن ذات حجم مؤثر ، نظراً لأنها كانت لا تزال في السنوات الأولى من قيامها ..

بعد التقسيم ...

ثم واجهت الجماعة الإسلامية ظروف ما بعد التقسيم ، الذي جرى في جومشحون بالإرهاب ضد أفواج المسلمين المهاجرين إلى باكستان ، فعكفت الجماعة على الإغاثة والإيواء وتضميد الجراح - من ناحية - ومناصحة الدولة الجديدة لتحقيق الهدف الذي قامت باكستان من أجله - من ناحية أخرى - فكانت الجماعة تركز على الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية ، واستنفد **أبو الأعلى المودودي** جهوداً كبيرة في هذا السبيل ، فدخل بجماعته المعارك الانتخابية ، واستخدم جميع الوسائل من اتصالات شخصية ، ولقاءات ، ومؤتمرات ، ونشرات ، وبيانات ، وردود على استفسارات ، وتفنيد لنظريات منحرفة ، ومحاضرات وبحوث ، تضمنها كتابه « **الدولة الإسلامية** » ..

وجاءت رسالته « **تدوين الدستور الإسلامي** » لتشكل في مجموعها مادة مركزة لمسائل الدستور الإسلامي الأساسية ابتداءً من : تحديد المصادر وأسلوب تشكيل الحكومة وشكلها ، وطريقة انتخاب رئيس الدولة ومجلس الشورى .. حتى أسس المواطنة وعلاقة المرأة بمناصب الدولة ...

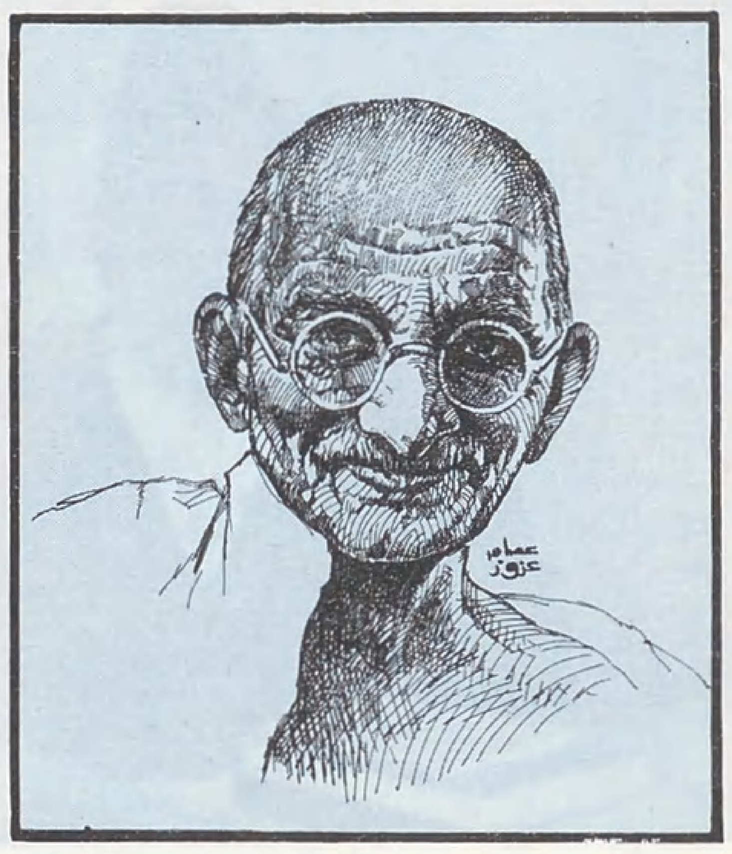

● غاندي ●

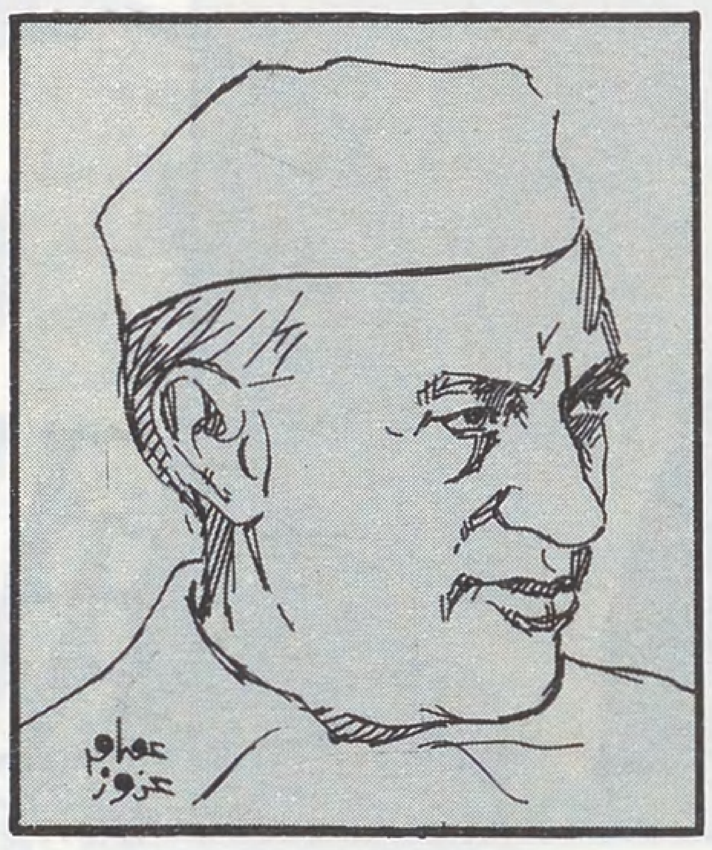

● نهرو ●

● منطقة التعصب ●

ويقول في أسباب إثارته هذه القضية على هذا النحو : [... الذي نطالب به اليوم ونعمل على تحقيقه هو أن يكون الدستور الإسلامي دستور هذه البلاد .. ولا نعني بذلك أن الدستور الإسلامي قد تم تدوينه وجئنا نطالب اليوم بتنفيذه ، بل الواقع أننا نريد أن نحول دستوراً غير مدون إلى دستور مدون] .

مواجهة التحديات ..

ثم توالت بحوثه وكتاباته في هذا المجال - على مستوى الفكر العالمي وتحدياته - فتناول « **نظرية الإسلام وهديه في السياسة والقانون والدستور** » و « **المفاهيم الأساسية حول الدين والدولة** » ، وموضوعات حول مبادىء الاقتصاد الإسلامي ، والعدالة الاجتماعية ، وأسس التشريع وحدوده .. وغيرها ، هذا مع اعتبار أنه كان يجيد اللغتين الرئيستين في العالم الإسلامي - بعد اللغة العربية - وهما : اللغة الانجليزية واللغة الأوردية ، فاستطاع الاتصال بالقضايا الإسلامية في العالم الإسلامي - من ناحية - والتصدي للشبهات والرد على الاستفسارات التي ترد من غير المسلمين .. ومن ذلك ما كتبه بالتفصيل ، رداً على طائفة من الاستفسارات كان قد بعث بها إليه أستاذ بجامعة « **توفتس** *TUFTS* » بالولايات المتحدة الأمريكية « **ليزيل عن فهمه تعقيدات يلقاها بصدد فهمه للقرآن** » .. وتناولت مسائل ذات دلالة .. منها : **معنى الإكراه في الدين ، وعلاقته بموقف المسلمين من البهائيين والقاديانيين ، عقوبة المرتد عن الإسلام ، معنى الآيات المحكمات والآيات المتشابهات ، قضية تعدد الزوجات ، أهمية السنّة في تفسير القرآن ، المبرر لحماس المسلمين في الدعوة إلى دينهم ، دور العلوم الطبيعية في فهم القرآن ، الكتب المقدسة التي يصدقها القرآن ، معنى التسامح في الإسلام ، مسألة اللباس ، زواج المسلمين من نساء أهل الكتاب** ...

مسؤولية العالم النصراني

ومن ذلك أيضاً - رسالته المطولة إلى بولس السادس (بابا الفاتيكان) رداً على رسالة

كان قد بعث بها إلى **المودودي** في أواخر عام ١٩٦٧م مع مستشار أمانته (ر . أ . بتلر) - يناشد فيها « كل من يرتبط بالكنيسة الكاثوليكية وجميع المنتمين إلى سائر الديانات الكبرى في العالم للاحتفال بالأول من شهر يناير كيوم للسلام » ... وقد كتب **المودودي** رده على الرسالة - بأسلوب صريح ومباشر - يوضح العقبات الحقيقية التي تعترض سبيل إقامة السلام ، ومنها :

● الاستفزازات والتهجمات الموجهة ضد النبي محمد ﷺ وضد القرآن والإسلام بصفة عامة من قبل المفكرين النصارىٰ .. على حين أن الإيمان بمريم وعيسى - عليهما السلام - يشكل جزءاً من عقيدة المسلمين .

● الأساليب التي تستخدمها إرساليات التنصير لنشر ديانتهم في البلاد الإسلامية ، والتي لا مناص من اعتبارها « **وسائل للضغط السياسي والاستغلال الاقتصادي ، والتخريب للأخلاق والدين .. ولا يمكن لأي عقل - مهما كان محدوداً - ولا يليق بأي إنسان كريم أن يعتبر تلك الأساليب وسائل مناسبة ومباحة لنشر أي دين من الأديان** ... » .

● مسؤولية العالم النصراني عن قيام إسرائيل وتوسعها « **فالشعوب النصرانية هي التي أوجدت وطناً مصطنعاً لشعب داخل وطن شعب آخر ، والنصارىٰ هم الذين حولوا هذا الوطن الزائف إلى دولة ، بل جعلوا المعتدي على درجة من القوة وزودوه بالمال والسلاح ، وهذا العالم النصراني نفسه هو الذي يعرب عن سعادته وفرحه العظيم بانتصار اليهود على المسلمين ..** » .

وفي ختام رسالته ، يتساءل **المودودي** : « **من يا ترى يستطيع أن يعتبر النصارىٰ شعوباً بعيدة عن مشاعر الحقد والتعصب الديني ؟ وهل تعتقد أن السلام يمكن أن يقوم في العالم رغم هذا كله ؟! .. حقاً إن هذا ليس من واجبنا بل هو من واجبكم أن تجعلوا إخوانكم النصارىٰ يحسون بوخز الضمير وتأنيبه ، ويحاولون تصفية نفوسهم وتطهيرها من الشوائب والدنس** ... » .

نافذة على الغرب ..

ومن جانب آخر ، فإن **المودودي** - بفكره ولغته وكتبه - يمثل نافذة غير العرب على الفكر الإسلامي .. وفي مقدمة هذه الكتب كتاب « **تفهيم القرآن** » ، ورسالة حول « **المبادىء الأساسية لفهمه** » .. وبالكفاءة ذاتها ، استطاع **المودودي** أن يرسم للجيل المسلم نوافذ ليطل منها على الحضارة الغربية ، فالجيل المسلم وبعض المفكرين الإسلاميين مدينون - إلى حد بعيد - لفكر **المودودي** في قراءته الإسلامية للحضارة الغربية ، وبيان فساد ما ذهبت إليه ، وموقع الإنسان فيها ، وكيف أصبح أسيراً للقضية المادية ؟

فقد تناول **المودودي** فساد الضلالات الكبيرة التي تدفقت مع الحضارة الغربية على الإنسانية ، ومنابع هذه الحضارة ، وأهمها فلسفة التاريخ عند « **هيجل** » ، التي أسس على مقدماتها « **كارل ماركس** » بناء تفسيره المادي للتاريخ فيما بعد .. وكتب عن الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ، الذي تتوقف نتائجه على « **مدى وعي المسلمين لطبيعة المعركة الفكرية مع الحضارة الغربية** » . فجاء

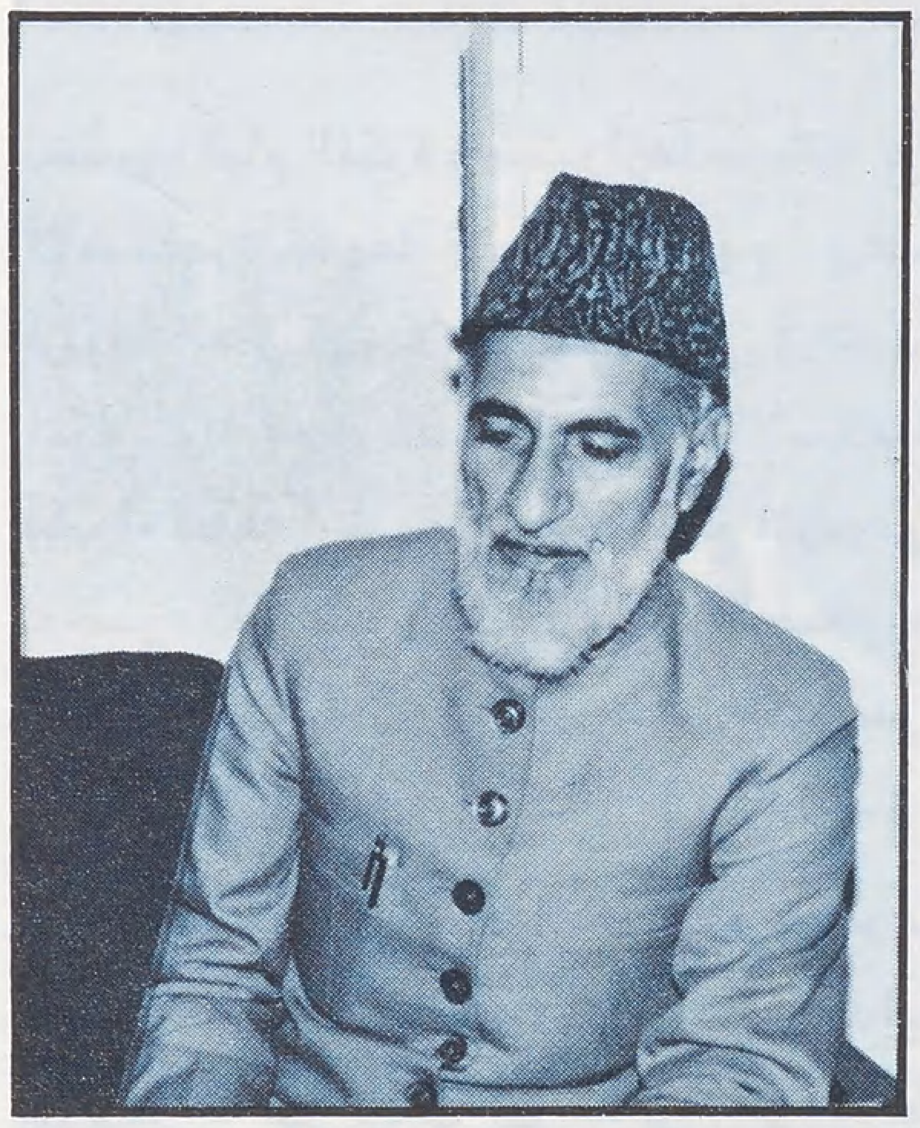

● خليل الحامدي - مدير مجمع المعارف الإسلامية : من مهام المجمع إعداد دراسات مطولة عن التاريخ الإسلامي والمراحل التي مرت بها الدعوة طوال أربعة عشر قرناً ، وعن الحركات الإسلامية المعاصرة .. لتحديد أسباب ازدهار الأمة الإسلامية وانهيارها ●

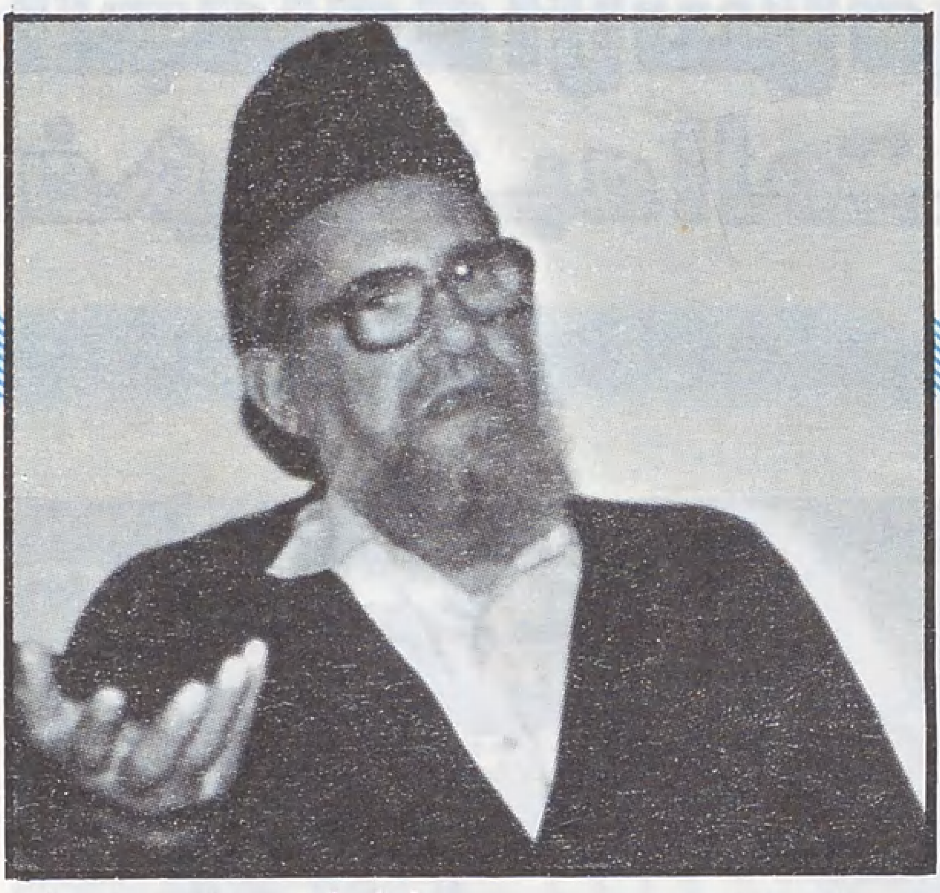

● طفيل محمد : يؤخذ على بعض العاملين للإسلام أنهم لا يستطيعون تحديد الموقع المفيد للعمل الإسلامي بشكل دقيق .. ●

كتابه : « **نحن والحضارة الغربية** » ليلقي الضوء على هذه القضية - من خلال مضمونه عن : العبودية الفكرية وأسبابها - الأمم المريضة في العصر الحديث - انتحار الحضارة الغربية - خداع المذهب العقلي وتهافت مذهب التجدد - النقص الأساسي في خطتنا التعليمية - المفهوم الحقيقي للإنسان المسلم ومصدر قوته ...

نظرات متقدمة ...

ويرى **المودودي** - بنظرته المتقدمة في مجال العمل الإسلامي - أن الغزو الحضاري الغربي قد أسفر عن مشكلات معقدة وقضايا سياسية واقتصادية واجتماعية تستحق الاهتمام والجدية وتنتظر الحلول .. وكانت الجماعة الإسلامية على اتصال بهذه القضايا ، من خلال الاتصالات الشخصية والمراسلات والبيانات والمؤتمرات والمساهمات الإيجابية في دراستها وتصنيفها ومحاولة إيجاد الحلول المناسبة لها .. ومن أهم القضايا :

● **فلسطين** ، التي تعتبر رأس القضايا في العالم الإسلامي ..

● **القدس** ، وهي غير منفصلة عن **قضية فلسطين** .

● قضية كشمير ، التي ترى الجماعة أن وضعها لا يختلف عن وضع فلسطين .

● مشكلة نظام التعليم والتربية في العالم الإسلامي .. وهي في رأي **المودودي** من أخطر المسائل « **ولا تزال الدول الإسلامية تخبط فيها خبط عشواء ..** » .

● صناعة الأسلحة الحربية - « ... **وهي مسألة مستعجلة ومهمة جداً ، وعلى الدول الإسلامية أن تستجمع**

الجماعة الإسلامية
في شبه القارة الهندية

استطلاع

إمكاناتها لكي تحلها بشكل يحقق **الاكتفاء الذاتي في مجال الدفاع »** .

● ترويج اللغة العربية كواجب إسلامي لنشر الدعوة ولإيجاد جو ملائم للتضامن بين العالم الإسلامي .

● إنشاء وكالة أنباء إسلامية متطورة وفعالة « ... **حتى لا تكون الوكالات الأجنبية هي التي تتوسط لنقل الأخبار والقيام بالمواصلات بين البلاد الإسلامية »** .

● تخفيف القيود على تنقل المسلمين في البلاد الإسلامية ..

● دراسة نظام التجارة الخارجية ، وإقرار مبدأ أن لا تستورد الدول الإسلامية بضائع من البلدان الأجنبية بينما تتوفر في دول إسلامية ، وذلك تمهيداً لإنشاء السوق الإسلامية المشتركة .

● دراسة تحقيق التكامل في مجالات الزراعة والصناعة والتعدين .

● حفظ الأقليات المسلمة ودعمها ورفع الظلم والاضطهاد عنها ومواجهة محاولات القضاء على كيانها في : الفيليبين - تايلاند - أثيوبيا - تشاد - أفريقيا الجنوبية وروديسيا - قبرص - بورما - بورنيو - الصين - الهند - روسيا والدول الاشتراكية ..

● مشاكل الطلبة المسلمين المقيمين في البلدان الغربية ، وضرورة تكاتف الدول الإسلامية لإقامة مجموعة كبيرة من دور الإقامة في المدن الغربية توفر الحصانة الخلقية والقدرة على التحصيل العلمي ... إلى غير ذلك من القضايا .

وبصفة عامة - ترى الجماعة الإسلامية أن فكرة تضامن العالم الإسلامي تعتبر « **المشروع المعقول الممكن »** - الذي لا بد أن نبدأ به - لمعالجة هذه القضايا وحلها ...

في المنصورة . . .

حين اتسعت مجالات نشاط الجماعة الإسلامية ، وتعددت مؤسساتها ؛ بحيث لم يعد يستوعبها الجزء الذي كانت تشغله من بيت المودودي وتأكيداً ، أيضاً ، لتصوره قيام الفكرة واستمرارها مستقلة عن الأشخاص ، مهما كانت إمكاناتهم ، وعدم ارتباط العمل الإسلامي بهم - حتى في شبهة المكان والموقع - قامت الجماعة الإسلامية بشراء قطعة أرض واسعة ، وضع المودودي حجر الأساس للمقر الجديد - **المنصورة** - في لاهور - من أكبر مدن البنجاب - في رمضان [١٣٩٣هـ] ، واستطاعت الجماعة أن تقيم عليه مجموعة من النشاطات - نتعرف عليها - في بداية زيارتنا للمقر .. قبل أن نلتقي ، في جلسة حوار ، مع الأخ **طفيل محمد** الذي يتولى مسؤولية الجماعة بعد **المودودي** رحمه الله .

تفتتح (**المنصورة**) أعمالها - كل يوم - بدرس من القرآن الكريم في حلقة يحضرها جميع العاملين ، حيث يقوم الأخ **خليل احمد الحامدي** مدير مجمع المعارف الإسلامية بقراءة القرآن الكريم وتفسير آياته باللغة الأوردية - لمدة نصف ساعة - ثم ينطلقون لأعمالهم في الأمانة العامة للجماعة الإسلامية ، والمراكز الرئيسة للنشاط .. ومنها :

● « المنصورة » .. حيث المقر الرئيس للجماعة الإسلامية في مدينة لاهور (باكستان) اطلق عليه هذا الاسم تيمناً باسم اول معسكر اقامه محمد بن القاسم الثقفي - فاتح شبه القارة الهندية ●

الواقع والمشكلات

●● **معهد الإمام المودودي العالمي للدراسات الإسلامية** .. الذي أنشأته الجماعة لتربية شباب العالم الإسلامي تربية

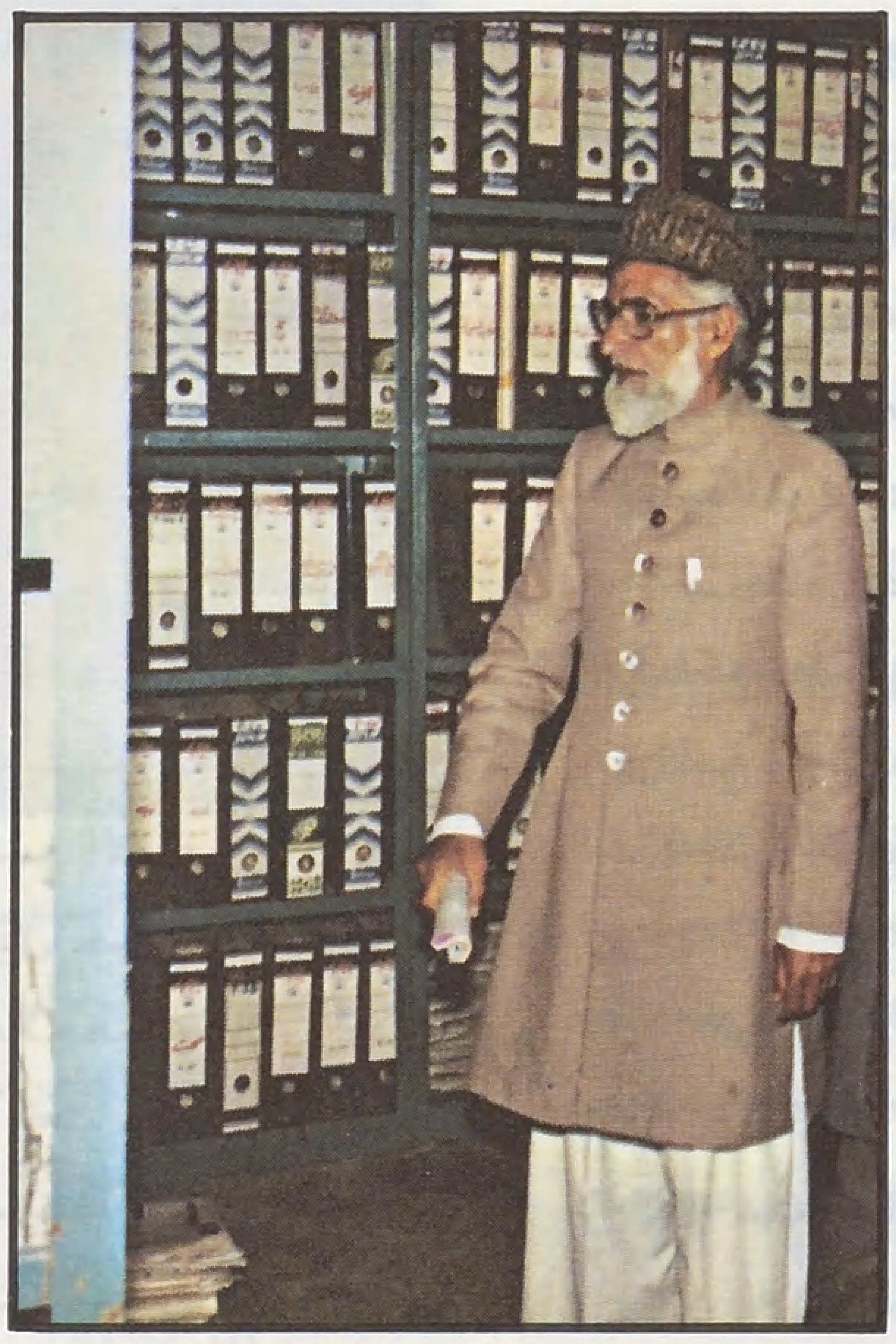

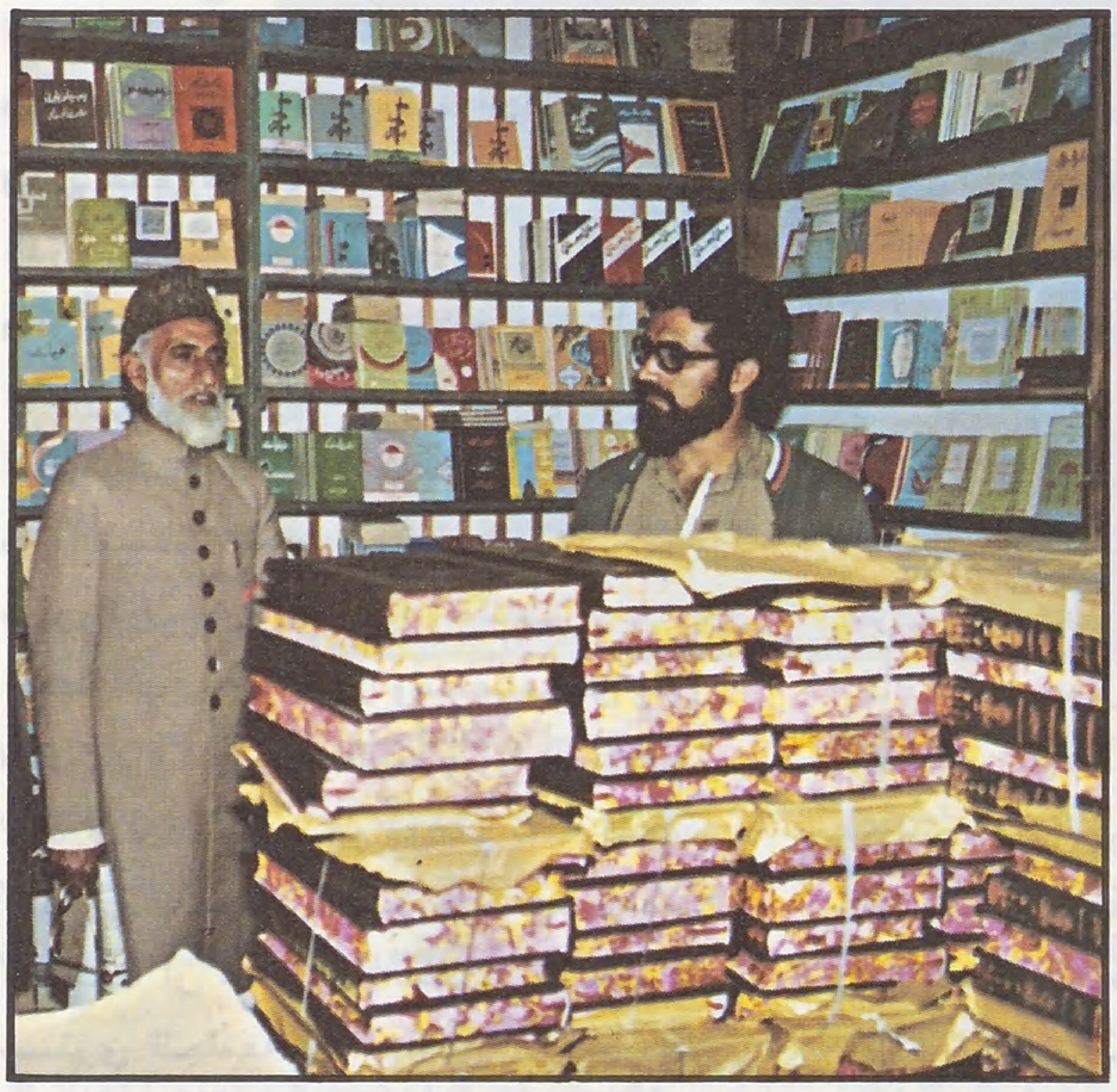

● يتركز نشاط مجمع المعارف الإسلامية على إحياء التراث واختيار أهم مكوناته لحاجة العصر ، ونقله إلى اللغة الأوردية واللغات الحية الأخرى ، ونقل الانتاج الفكري الإسلامي الصحيح المعاصر ●

إسلامية وتعليمهم العلوم العصرية الحديثة ، والعمل على تأكيد معاني الأخوة الإسلامية وتنمية مشاعرها بين الشباب المسلم في مختلف أنحاء الأرض ، ودراسة المشكلات والقضايا التي يواجهها العالم الإسلامي ، والبحث في وسائل وإمكانات صبغ نظام التعليم السائد صبغة إسلامية في جميع المستويات والمراحل ..

□ [المعهد أنشىء هذا العام فقط ، وهو من الثمار الجيدة لجهد الأستاذ المودودي رحمه الله].

● يقول صالح الغامدي ـ المدرس بالمعهد والمبعوث من جامعة الإمام محمد بن سعود :

ـ [... في البداية ، توجد بالمعهد خمسة صفوف .. من الصف الثامن إلى الصف الثاني عشر حسب نظام مجلس التعليم الثانوي لحكومة بنجاب ، وينظم المعهد ـ بالإضافة إلى هذه المناهج الدراسية ـ نشاطات متنوعة ومخيمات تربوية ومحاضرات إضافية . يشرف عليها نخبة من أهل العلم البارزين لتحقيق الأهداف التي أنشىء من أجلها المعهد ..

وتكرس الجهود في السنة الأولى على إتقان اللغات ـ التي لا بد منها للداعية المسلم ـ اللغة العربية والانجليزية والأوردية ـ فهماً وكتابة ومحاورة ـ وسوف يتمتع خريجو المعهد بالكفاءات والشهادات التي تؤهلهم للالتحاق بالجامعات في باكستان وفي البلدان المسلمة الأخرى ..] .

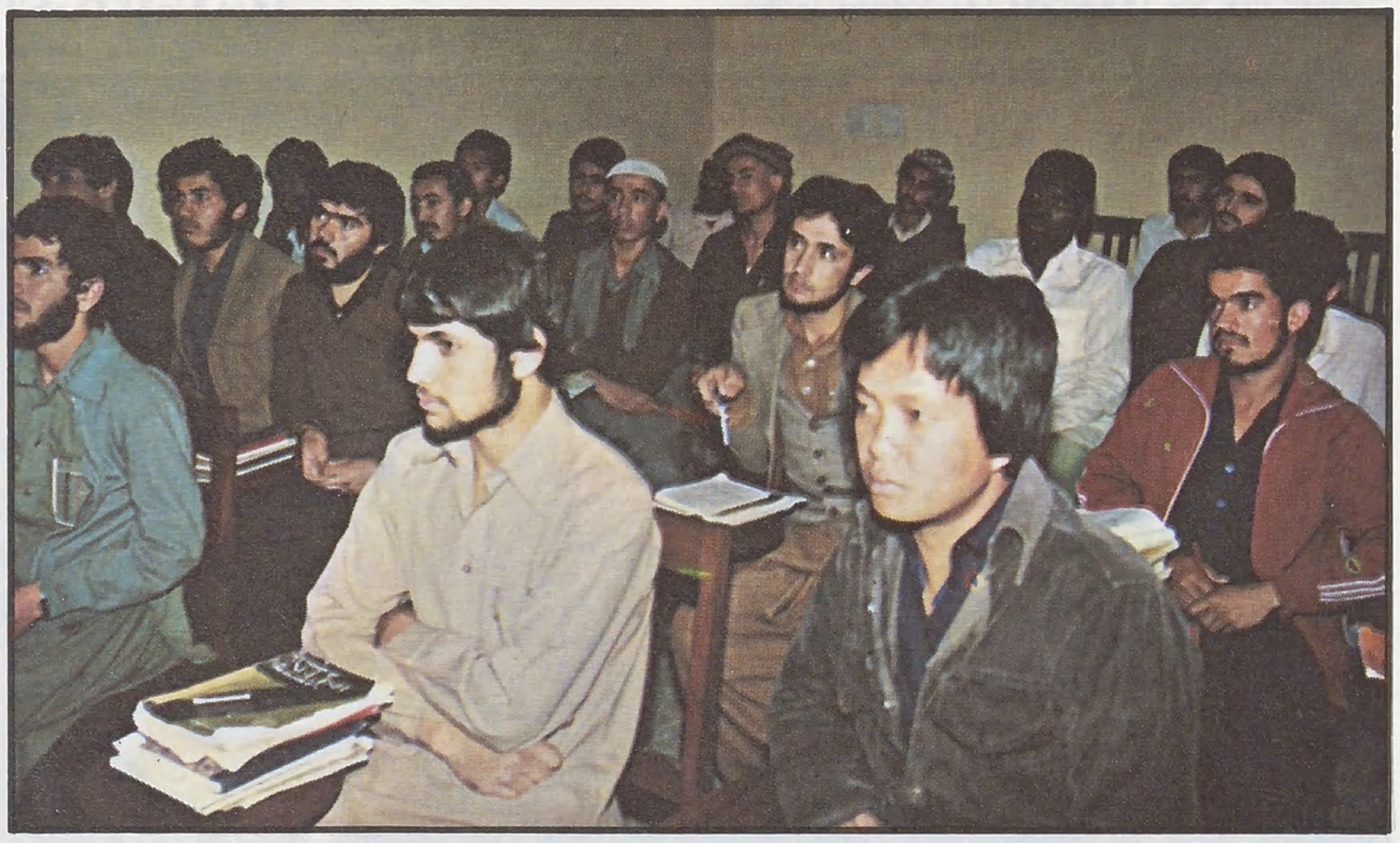

● معهد الإمام المودودي العالمي للدراسات الإسلامية ـ بدأت الدراسة فيه هذا العام .. ويضم الشباب من مختلف انحاء العالم الإسلامي ، لتربيتهم تربية إسلامية وتعليمهم علوم العصر ، وتاكيد معاني الأخوة الإسلامية بينهم ، ودراسة القضايا والمشكلات التي تواجهها بلادهم .. ●

في فصول الدارسين ، تعرفنا على شباب من أفغانستان والفيلبين وتايلاند وتركيا وأندونيسيا وماليزيا وسريلانكا وألبانيا ونيجيريا وجزر المالديف .. وطرحنا هذا السؤال :

■■ هل يوجد ضمن برنامج التدريس مادة عن واقع العالم الإسلامي ومشكلاته في كل منطقة ، حتى إذا ما عاد الدارس إلى بلده كانت الصورة أمامه واضحة للتعامل مع المجتمع الذي يعيش فيه ، وكيفية دعوته إلى الإسلام ، والمشكلات التي يعاني منها هذا المجتمع .. وما إلى ذلك ، بمعنى تزويد الطالب بمعلومات يحتاج إليها في عملية الدعوة إلى الله في بلده ، ومعلومات عن العالم الإسلامي ، وعن العالم بشكل عام ليعرف موقعه منها ؟

● يقول خليل الحامدي :

ـ [كما تعلمون فإن المعهد قد أنشىء منذ شهور ، والدراسة فيه لا تزال في سنتها

الجماعة الإسلامية في شبه القارة الهندية

استطلاع

الأولى ، ولا يتضمن منهج الدراسة فيه مثل هذه المادة ، ولا بد في السنوات القادمة من وجود هذه المعلومات بالتفصيل ضمن المواد الدراسية ـ حسب خطة التدريس بالمعهد ـ ولكن ما من شك في أننا نتعرض الآن لبعض الأمور والقضايا الإسلامية من خلال المناقشات ، خاصة وأننا نختار أبناء المعهد من الشباب الطيب الواعي ، فإلى جانب شروط السن والمستوى التعليمي يشترط المعهد لقبول الدارسين وتسجيلهم أن يكون سلوكهم وخلقهم مستقيماً ، مع التزكية من أحد الأفراد الذين هم موضع ثقة المجلس الإداري للمعهد ، ولعل ما يهم في هذا الصدد أن المعهد في سبيل التطور إلى مستوى الجامعة في المستقبل القريب بإذن الله ، حيث يتسع المجال لمناقشة قضايا العالم الإسلامي والتخصص فيها ، وحيث يمكن أن يكون لهذه الجامعة برنامجها الخاص للبحث والتحقيق ، وتكون لها مناهجها الخاصة التي يتحقق من خلالها الهدف الذي أنشئت من أجله ...] .

أسلوب العصر ..

●● **مركز العلوم الإسلامية** .. ويضم الخريجين من المعاهد الدينية ، ويقوم بتدريس مناهج ـ للتخصص ـ مكثفة في الفقه الإسلامي والحديث وعلوم القرآن ، لتأهيل الدارسين للقيام بالدعوة ويتضمن المنهج تدريس اللغة العربية بمستوى رفيع ، مع التدريب على استخدام الأسلوب العصري في المناقشات والمحاورات في الموضوعات العامة ..

■■ **كيف ترون قابليتهم للغة العربية ؟**

● **يقول صالح الغامدي ـ المدرس بالمركز :**

ـ هناك تعطش ورغبة صادقة في تعلم اللغة العربية وقدرة على الإجادة ، خاصة في « **الصرف** » ، وهذا يدل على أنهم يركزون على هذه الناحية في دراستهم للغة الأوردية ..

■■ **لعل طبيعة الصفات المشتركة بين الأوردية والعربية تؤهلهم للإجادة وتسهل عملية التدريس ، وفي تقديرنا أن الاحتفاظ بالحروف العربية في اللغة الأوردية ولغات أخرى في العالم الإسلامي ، يسهل كثيراً ويكون جسراً للوصول إلى تعلم اللغة العربية وإجادتها ؟**

ـ هذا صحيح إلى حد بعيد ـ إلا أن تركيب الحرف عندهم ـ من ناحية الشكل لا يزال يحمل طابع الأوردية .. ولكن لا بأس بذلك على كل حال إذا علمنا أن كتابتهم في دروس الإملاء صحيحة ، وأود أن أسجل ملاحظة هنا ، هي أن مجلة « **الأمة** » تعتبر مرجعاً للتدريس ، حيث يختار منها موضوعات للتمرين على الترجمة إلى اللغة الأوردية .

●● **مركز التربية** .. ويأتي إليه لمتابعة برنامجه اثنان من كل مركز من مراكز الجماعة الإسلامية في جميع المقاطعات لمدة أسبوع كامل ، ثم يعودون إلى مواقعهم ليأتي غيرهم ـ بصفة دورية ، تتكرر مرتين في كل شهر .. بهدف تحقيق نوع من التنسيق والانسجام في مواقع العمل بالجماعة وفي طبيعة عملها وأسلوب تربيتها .. وتحقيق التعارف وتوثيق العلاقات وتنميتها بين أبناء الجماعة ، ويتضمن منهج المركز دروساً قرآنية ، وتذكيراً بآلاء الله تبارك وتعالى وتبادل الخبرات والمنافع بين العاملين في الحركة الإسلامية ..

■■ **ولكن هل تعتقدون أن فترة أسبوع كافية للتأهيل وتحقيق المعاني التي من أجلها أنشئ المركز ؟**

● **يقول سيد شودري عضو هيئة إدارة المركز :**

ـ هذه الفترة للتوجيهات العامة فقط ، ولعلكم تعلمون أن معظم الذين يحضرون برنامج المركز يشتغلون في الدعوة الإسلامية منذ فترة طويلة ..

مركز حضاري إسلامي

●● **مجمع المعارف الإسلامية** .. الذي رصد له **المودودي** قيمة جائزة الملك فيصل ـ التي مُنحت له لخدمته الإسلام ـ (٢٠٠ الف ريال سعودي وميدالية ذهبية) ـ في فبراير [شباط] ١٩٧٩م ، وقال يومها :

[... إن الجائزة التي أعطيت لي لأجل خدماتي للإسلام ، لا ينبغي صرفها إلا في خدمة الإسلام] .. وقام بتكوين الجهاز الإداري للمجمع ، ولم يكن قد بدأ بعد بإعداد أموره الأساسية حينما سافر **المودودي** إلى أمريكا للعلاج ، ووافاه الأجل في ٢٢ سبتمبر [أيلول] من العام نفسه ..

غير أن مجمع المعارف الإسلامية بالمنصورة ، ومجمع المعارف الإسلامية بكراتشي (١٩٦٣م) عبارة عن مؤسسة واحدة ، أنشأها **المودودي** منذ ذلك التاريخ

● تفتتح « المنصورة » أعمالها ـ كل يوم ـ بدرس من القرآن الكريم ، في حلقة يحضرها جميع العاملين ●

البعيد ، وضم إليها نخبة ممتازة من أصحاب العلم والخبرة ، للقيام بمهمة استعراض ما تنطوي عليه الحضارة المادية المعاصرة من الانهيار والدمار ، وما تمتاز به الحضارة الإسلامية من إيجابيات لخير الإنسان المسلم والبشرية .. وكان الباحث الإسلامي **خورشيد أحمد** أول مدير لمجمع المعارف الإسلامية في كراتشي ثم تبعه **منور حسين** الذي يشغل هذا المنصب الآن ، وأصدر أكثر من أربعين كتاباً في مختلف الموضوعات ، كما أصدر مجلة « **الفرقان** CRITERION » ثم « **الرسالة العالمية** UNI-VERSAL MESSAGE » باللغة الانجليزية ..

● **يقول خليل الحامدي ـ مدير مجمع المعارف الإسلامية بالمنصورة :**

ـ إن الأهداف التي وضعها الإمام **المودودي** ـ رحمه الله ـ من وراء إنشاء هذا المجمع تتناول عدة جوانب ، فعلى صعيد الدراسة والبحث ، يهدف المجمع إلى إبراز تعاليم الإسلام وتوجيهاته في مختلف جوانب الحياة الإنسانية ، وذلك بإعداد البحوث الشاملة في ميادين : التعليم والتربية والاقتصاد والاجتماع والفكر والتاريخ والسياسة وشؤون الدولة ، بحيث توضح هَدْي الإسلام وتكون رداً مقنعاً على التساؤلات التي تطرح نفسها في تلك المجالات ..

وفي مجال الترجمة يتركز النشاط على إحياء التراث الإسلامي ، باختيار أهم مكوناته المناسبة لحاجة العصر ونقله إلى اللغة الأوردية واللغات الحية الأخرى ، وإخراجه في أسلوب تستسيغه العقلية المعاصرة ، وكذلك نقل الإنتاج الفكري الإسلامي الصحيح ، الذي يكتبه المفكرون المسلمون المعاصرون باللغة العربية ..

● **من الضروري جداً أن يُحدد الموقع الصحيح للعمل الإسلامي وحساب نتائجه من خلال الإمكانات المتوفرة والظروف المتاحة حتى لا تُبدَّد الطاقات .**

■■ **هل هناك استفادة من الجهود والإمكانات ـ التي تعمل في الحقل نفسه ـ الموجودة في العالم الإسلامي ، على مستوى المؤسسات والأفراد ؟**

ـ نحن ننشىء علاقات ـ بالفعل ـ مع الأكاديميات والمؤسسات العلمية والعلماء في البلاد العربية والإسلامية لتنسيق المشروعات في مجال العمل ، وللتعاون في نشر الفكر الإسلامي وإحياء التراث وتبادل الأفكار والخبرات عن طريق البعثات والوفود .. ولعل أهمية مثل هذه العلاقات تبرز في مجال دراسة المشكلات التي أوجدتها الحضارة الغربية المعاصرة ، والبحث عن الحلول لها في ضوء الإسلام ، وأيضاً في مجال تبادل الدراسات والوثائق التي تصدر عن الأنظمة الديمقراطية الغربية والشيوعية والاشتراكية ، والفلسفات والحركات الإلحادية الأخرى ... ولعلكم تعرفون أن هذا المجمع عضو في المجمع الملكي الأردني وفي مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة ، ويتبادل معهما الدراسات ، كما يجري اتصالات مع العلماء الذين لديهم دراسات جيدة .. وعلى العموم نحن نتقدم خطوة خطوة حسب الإمكانات ...

■■ **هل هناك دور لمجمع المعارف الإسلامية في مجال التدريس أو تخصيص المنح الدراسية ؟**

ـ في الحقيقة من أهداف هذا المجمع ـ الأساسية ـ إقامة دورات تدريبية لتأهيل رجال يتقنون لغات عديدة تناط بهم مهمة نقل الفكر الإسلامي إلى تلك اللغات ، وتوكل إليهم أعمال النقد والبحث في مختلف المجالات ، ويكونون بذلك عناصر مفيدة للقيادات الفكرية .

وهناك منح دراسية باسم الأستاذ **المودودي** ، تخصص للذين يعدون دراسات إسلامية في مجالات الاقتصاد والتاريخ والتربية وجوانب الفقه الإسلامي ، ويجري لذلك انتخاب شباب يصلحون لذلك في مستواهم العلمي ، مع توفر العقيدة الصحيحة والسلوك المستقيم .

أصول فكرية . . .

■■ **ما هي المشروعات التي يباشر المجمع عمله فيها الآن .. والتي ترون أنها تأخذ طريقها للاكتمال ، أو يمكن أن تؤتي ثمارها في وقت قريب ؟**

ـ بدأ المجمع العمل بالفعل في عدة مشروعات .. منها : **وضع تاريخ شامل عن أنظمة التعليم والتربية** التي سادت شبه القارة الهندية ، ورصد **الجهود التي بُذلت لإحياء نظام التعليم والتربية الإسلامي** ، بدءاً من الإمام ولي الله **الدهلوي** حتى الإمام **أبي الأعلى المودودي** ـ رحمهما الله ـ وهناك لجنة تضم مجموعة كبيرة من أساتذة الجامعات وخبراء التعليم تقوم بهذه المهمة .. وهناك لجنة أخرى من رجال العلم والبحث تعكف على إعداد دراسات مطولة عن التاريخ الإسلامي ، والمراحل التي مرت بها الدعوة طوال أربعة عشر قرناً ، وعن الحركات الإسلامية

● مركز العلوم الإسلامية ، يضم الخريجين من المعاهد الدينية لتلقي الدراسات المكثفة في الفقه الإسلامي وعلوم القرآن والحديث ، واللغة العربية ـ بمستوى رفيع ـ من اجل تأهيلهم للقيام بمسؤولية الدعوة .. ●

الجماعة الإسلامية
في شبه القارة الهندية

استطلاع

المعاصرة ، للوصول إلى الأسباب التي تؤثر في ازدهار الأمة الإسلامية وانهيارها ..

■■ **لا بد أن هناك أصولاً فكرية تعتمدها اللجنة في تحليلاتها للوصول إلى هذه الأسباب ؟**

ـ تعتمد اللجنة الفلسفة القرآنية ـ بالدرجة الأولى ـ في هذا الباب .

■■ **لعل قضية إحياء التراث الإسلامي باختيار الضروري منه لحاجة الحياة المعاصرة وترجمته ، وكذلك نقل الفكر الإسلامي إلى اللغات المختلفة ، يعتبر من الأمور الجديرة بالمناقشة ، والتي تلقي الضوء على خطة عمل المجمع .. فهل يمكن أن نتعرف على نماذج من الكتب التي تعملون على إخراجها في هذا المجال ؟**

ـ اختار المجمع مجموعة من الكتب الإسلامية المعاصرة وكذلك مجموعة من كتب التراث الإسلامي القديم لنقلها إلى اللغة الأوردية والعربية والفارسية والانجليزية .. منها : كتاب « **الخراج** » ليحيى بن آدم في النظام المالي للإسلام ، و « **القانون المدني** » ـ الذي أعدته لجنة المحامين بالأردن ـ و « **منهاج القاصدين** » للمقدسي ، و « **نيل الأوطار** » للإمام الشوكاني ، و « **فقه الزكاة** » للدكتور يوسف القرضاوي ، و « **أقضية الرسول** » للإمام القرطبي ، و « **تفهيم الحديث** » للأستاذ المودودي ... وغيرها ..

■■ **أصبحت مراكز المعلومات ضرورة لا غنى عنها في مجالات العمل التي يباشرها المجمع لإنجاز مهامه وتحقيق أهدافه بأسلوب علمي عصري سليم ، فما هو موقع مركز المعلومات في وسائلكم للعمل ؟**

ـ **أولاً** : هناك مواد يجري إعدادها لتكون مراجع للمعلومات حول أحكام الشريعة الإسلامية ، الجنائية والمدنية ، والمالية ، ونظام القضاء في الإسلام ، ومهنة المحاماة بشكلها الحاضر في النظام الإسلامي .. كما وُضع مشروع لتدوين الأحكام والمسائل التي اتفقت عليها المذاهب الإسلامية والفتاوى المتفق عليها .. هذا من ناحية ، **ومن ناحية أخرى هناك بالفعل** قسم للمحفوظات أو « **أرشيف** » يحتوي على ما يدور في العالم من أخبار وأحداث في المجالات المختلفة ، ليستفيد منه الباحثون ...

آفاق جديدة ..

●● **مطبعة دار العروبة** .. قدمت الكتاب الإسلامي باللغة العربية ، وتقدم ثماراً طيبة لخدمة الآفاق الجديدة التي فتحها الجهاد الإسلامي في أفغانستان ،

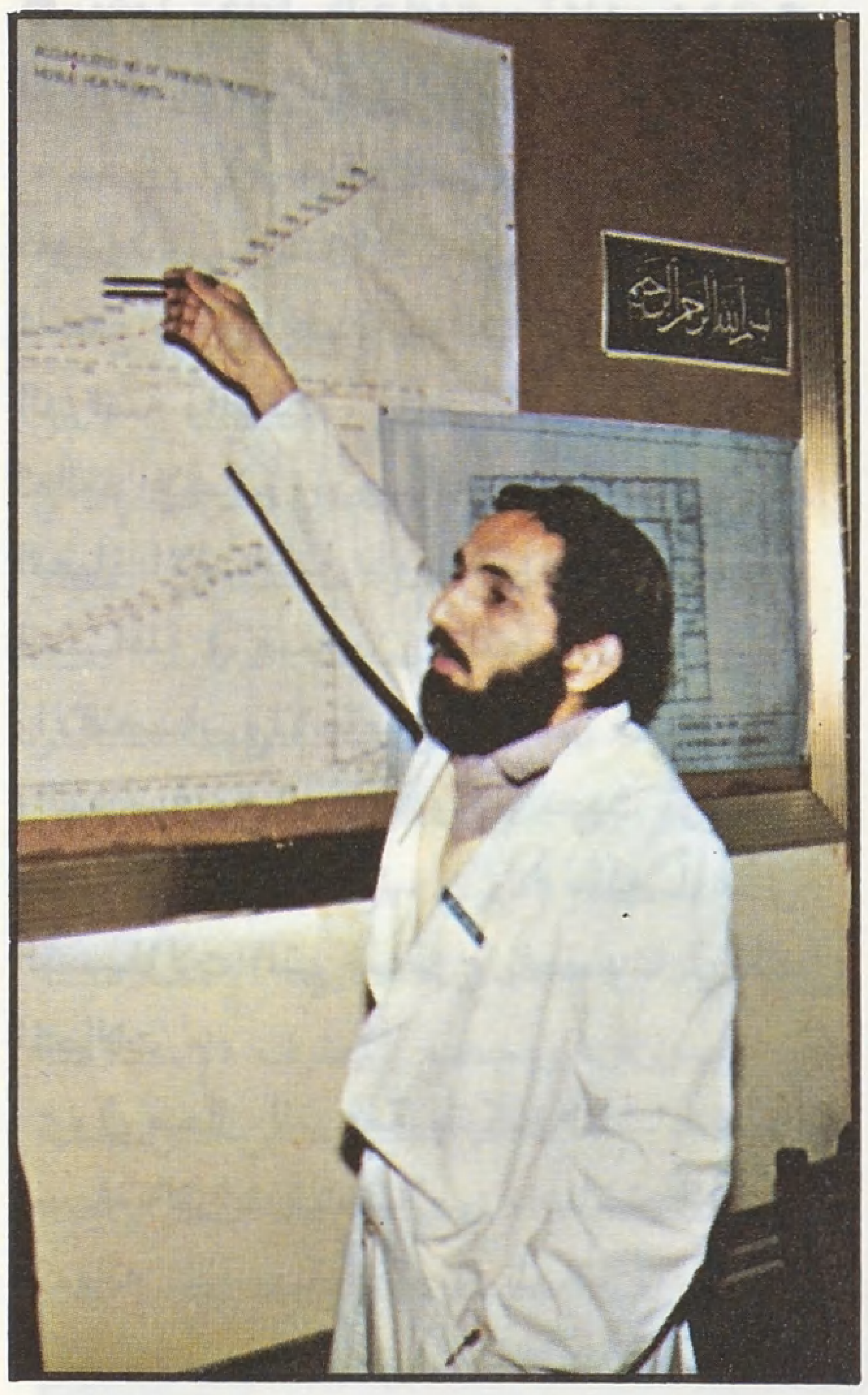

● المستشفى الإسلامي .. بلغت حالات الإصابة بين المجاهدين الأفغان الذين نالوا العلاج فيه وفي المستشفيات الأخرى التابعة للجماعة في بيشاور وبلوجستان (١٢٨٨٧٩) حالة ●

● الصعوبة الكبيرة التي تواجه العاملين في المستشفى ، ان المجاهد الجريح لا يتم إسعافه في الميدان بصورة كاملة ، ويستغرق نقله اكثر من اسبوع .. وفي الحالات الخطيرة يكون الجرح قد فسد وتسبب في اعراض اخرى ●

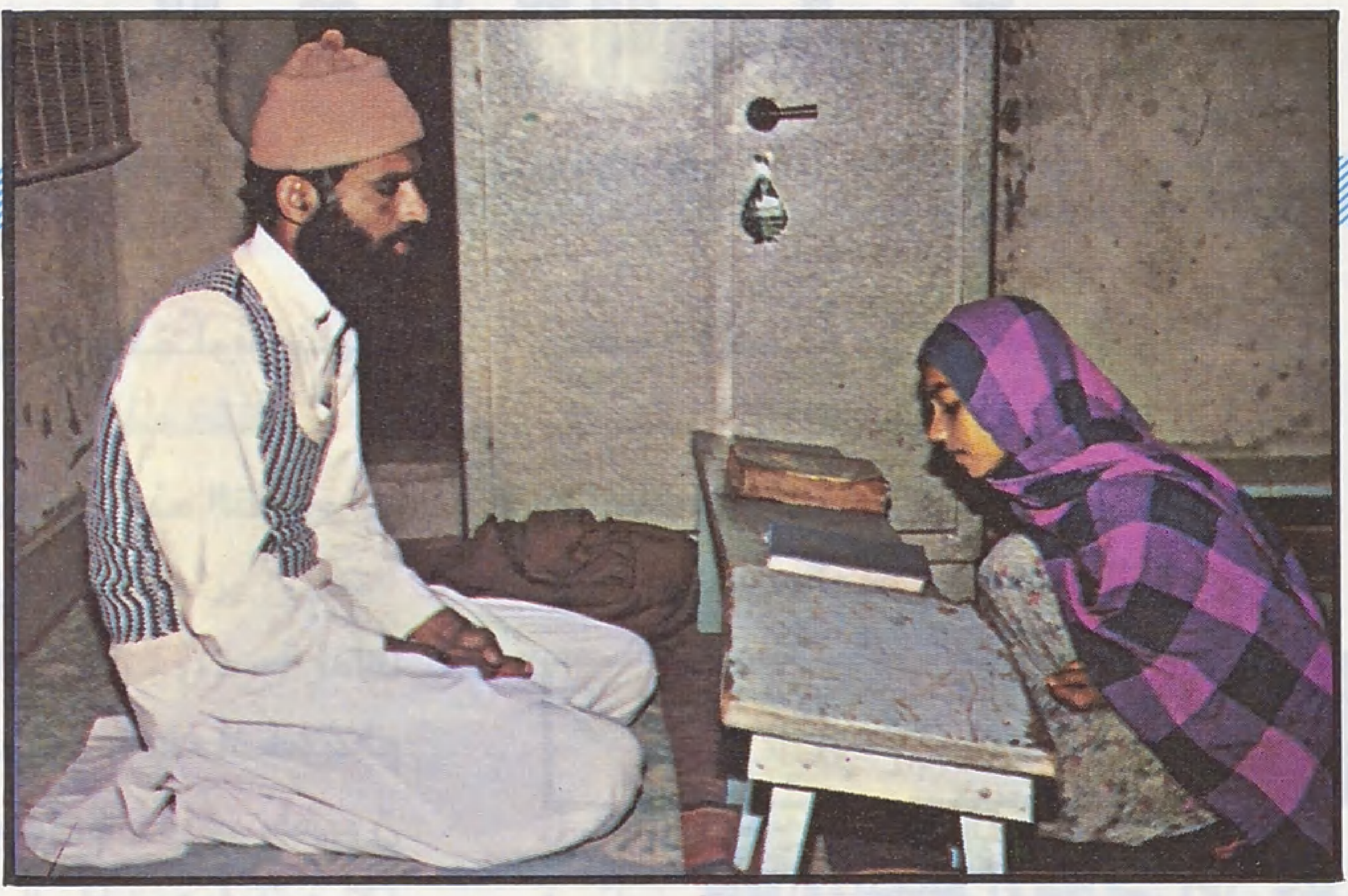

● دروس تحفيظ القرآن الكريم للنشء .. ●

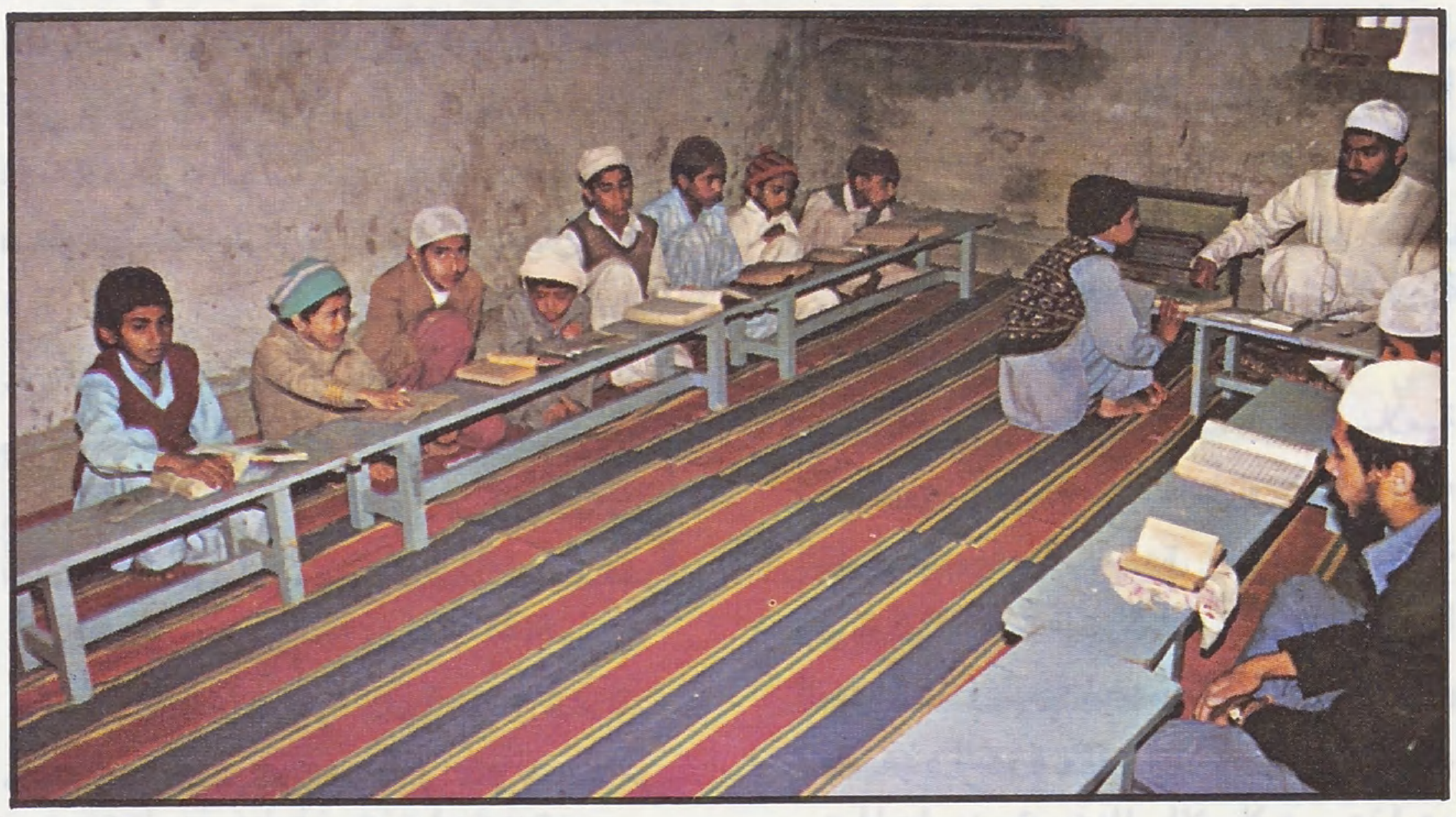

حيث أصبح المجاهدون يعايشون المسلمين في داخل روسيا ، ويحتكون بهم ، وبهذه الطريقة أمكن إيصال الكتاب الإسلامي للجمهوريات الإسلامية المحتلة من الاتحاد السوفييتي ـ وقد أخرجت المطبعة حوالي عشرة كتب حتى الآن ـ في : مبادىء الإسلام ، وفي العقيدة ، والتاريخ الإسلامي ..

□ **يقول بعض المجاهدين الذين يعالجون من إصابات الحرب في المستشفى الذي أقامته الجماعة داخل المنصورة :**

إن المسلمين في الجمهوريات الإسلامية الخاضعة للحكم الشيوعي متعطشون للكتاب الإسلامي الذي يحمله إليهم المجاهدون الآن ـ سراً ـ عبر الحدود المشتركة .. وهذا أحد أوجه الخطورة لحركة الجهاد الإسلامي في أفغانستان .. وإن روسيا لا تهمها خسائرها في الأرواح أو في الماديات بقدر ما تخشى هذه الضربات التي تأتيها في عقيدتها الشيوعية ... وهناك تيار انبعاث جديد بين المسلمين في هذه الجمهوريات ـ والحمد لله ـ إن غزو روسيا لأفغانستان كان له آثار سلبية ، ولكن من آثاره الإيجابية : عملية التواصل بين المسلمين التي تتم في هذه المنطقة عبر الحدود ومع الجنود الذين أتوا من الجمهوريات الإسلامية ، قبل أن تتراجع روسيا وترسل بدلاً منهم جنوداً مرتزقة من كوبا وأثيوبيا وغيرها .

●● **المستشفى الإسلامي** .. ويشغل مبنى كانت قد أقامته الجماعة الإسلامية كبيت للشباب ، ثم خصصته لعلاج الحالات الخطيرة والمعقدة من إصابات الحرب ، وذلك لوجود الكفاءات الطبية المتخصصة والتجهيزات والمعدات المتطورة في مدينة كبيرة مثل لاهور .. وهذا رابع مستشفى تقيمه الجماعة ، بعد مستشفى الرياض ومستشفى السيدات ـ في بيشاور ـ ومستشفى الخدمة ـ في مقاطعة بلوجستان ـ ويضم مستشفى المنصورة غرفة عمليات حديثة و « بنكاً » للدم ومعمل تحاليل وغرفة ملاحظات وقسماً للأرشيف ..

● **يقول الدكتور الشاب عارف جميل وزميله عبد السميع علاّ :**

ــ [... نحن نقيم بالمستشفى بصفة دائمة للعمليات والإسعافات العاجلة ، وفي حالة وجود حالات الإصابات الخطيرة ، وعند اللزوم ، نستدعي أطباء متخصصين سبق التعاقد معهم لهذا الغرض ، كما أنه يمكن الاستعانة بالمستشفيات الحكومية ... أما الصعوبة الكبيرة التي تواجهنا فهي أن المجاهد الجريح لا يتم إسعافه في الميدان بصورة كاملة نظراً لظروف المعارك والإمكانات البسيطة هناك ، وحينما ينقل هذا الجريح إلى هنا فإن ذلك يستغرق أسبوعاً أو أكثر ، وفي الحالات الخطيرة يكون الجرح قد فسد ، وقد يتسبب في أعراض أخرى ، هذا رغم وجود ست عشرة سيارة إسعاف تتجول في معسكرات المجاهدين لنقل الجرحى ..] ...

وقبل خروجنا من المستشفى أطلعنا الطبيب الشاب على إحصائية بعدد المجاهدين الجرحى الذين نالوا العلاج بمستشفيات الجماعة : (١٢٨٨٧٩) مجاهداً ..

□ **[الجهاد في سبيل الله لا يزيد المسلمين إلا صبراً على المكاره وزهداً في متع الدنيا ، وفوق ذلك يكلفهم المشاق البالغة ويروضهم على بذل النفوس والنفائس ، والتجرد من مطامع الدنيا وشهواتها ، في سبيل الله وابتغاء مرضاته وحده]** (من رسالة المودودي « **الجهاد في سبيل الله** » .

وبعد هذا القدر من جولتنا في المنصورة ، نتوجه لجلسة حوار مع طفيل محمد ، مسؤول الجماعة الإسلامية ..

تصورات خاطئة . . .

■■ **تعاني الدعوة الإسلامية من مشكلات مختلفة وكثيرة .. بعضها ـ طبعاً ـ بسبب من الظروف الخارجية ، وبعضها الآخر يمكن أن يكون مشكلات من داخل العمل الإسلامي ، فما هي أهم المشكلات التي يرى الأستاذ طفيل محمد انها تواجه الدعوة الإسلامية ، من الداخل ومن الخارج في الظروف المعاصرة ؟**

ــ إن أكبر عقبة تواجه الدعوة الإسلامية اليوم هي جهل المسلمين بحقيقة الإسلام ، ونشأ عن ذلك تصورات خاطئة في أذهانهم

الجماعة الإسلامية في شبه القارة الهندية

استطلاع

وهم لا يستطيعون أن يتخلوا عنها بسهولة ..

كيف نجعلهم يتخلون عن هذه التصورات الخاطئة والمحدودة عن الإسلام ؟..

هذه أكبر عقبة نواجهها ، ونتيجة لذلك أصبحت قيادة المسلمين بيد أناس هم انفسهم يجهلون الإسلام ، والمسلمون ـ للأسف ـ هم الذين يسلمون لهم هذه القيادة .. ونحن في الواقع نعيش المرحلة التي يقول في شأنها الرسول ﷺ : « **بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء** » .. فنحن نعيش حالة الغربة هذه ، وحينما نقدم صورة صحيحة عن الإسلام للناس فإنهم يستغربونها .. ويحاربونها ، حتى هؤلاء الذين يسمونهم « رجال الدين » لا يقبلون هذه الفكرة الصحيحة عن الإسلام ، وكذلك ـ طبعاً ـ الوصوليون وغيرهم ..

وعلى هذا فنحن في حاجة إلى إيجاد أمة مسلمة من جديد تقوم على فكر إسلامي صحيح .. ونحن نحمد الله عز وجل أن قامت في العالم ما يمكن أن نسميها أمة مسلمة ، متمثلة في الحركات الإسلامية التي تولت هذا الفكر الصحيح وتشتغل به وتجاهد في سبيله .. ويرجع هذا البعث الجديد إلى ما قبل خمسين عاماً فقط ، فخلال نصف قرن استطاعت الحركات الإسلامية أن تفرض نفسها ، وتقدم للناس هذه الصورة الصحيحة ، حتى أصبحت بعض الحكومات المسلمة **تتبنى التصور ذاته وتأخذ في إجراء تعديلات لتوافق الإسلام الصحيح .. يعني تحاول أن تجعل من نفسها حكومات تلتزم الشريعة الإسلامية ..**

أما فيما يتعلق بالأسباب الخارجية ، فأنتم تعرفون كيف أن القوى الباطلة ـ سواء في دول الغرب الرأسمالي أو الشرق الشيوعي ـ كلها تحارب الإسلام وتتكتل ضده .. الناس يعتقدون أن هناك خلافاً بين أمريكا وروسيا ، وأن هذا الخلاف يجعل منهما معسكرين ، ولكن بالنسبة لموقفهم من الإسلام فهما معسكر واحد ويد واحدة ، يلتقون جميعاً على محاربته .. وهناك قضايا علينا أن ندرسها لنعرف هذه الحقيقة .. قضية فلسطين ، وقضية أفغانستان ، وقضية المسلمين في الهند ، الذين يذبحون ولا يتألم من ذلك جناح روسي أو أمريكي ..

هذا ، ولا يزال المسلمون ـ للأسف ـ تسود بينهم حالة من التفكك والتفرق ..

ثمرة نصف قرن ..

■■ في العالم الإسلامي الآن ـ بل في العالم كله ـ توجه نحو الإسلام ، بماذا تفسرون هذا التوجه ؟ هل هو ثمرة لأزمة الحضارة فقط كما يرى بعض الناس ام يمكن ان نقول بانه ثمرة لعمل الدعاة إلى الله ؟

ـ أقول **أولاً** : إن الصحوة الإسلامية التي قامت قبل خمسين عاماً أو أكثر في شبه القارة الهندية وفي الشرق في الدول العربية وفي تركيا ، هذه الحركات جاهدت في هذا السبيل ، ونتيجة لجهودها الجبارة نرى اليوم هذه الثمرة ، لقد أصبح الجيل الجديد من المسلمين يتوجه إلى الإسلام .. هذا هو السبب الأول ..

ولكن **السبب الثاني** ـ وهو أزمة الحضارة وانهيارها ـ جاء هو أيضاً ليدفع هذه الحركة ويقويها ويعززها .. إن الحضارة الغربية قد دخلت اليوم دور الانهيار والزوال ببلوغ عمرها الطبيعي .. ولكن لا ننسى أن الحركات الإسلامية قامت في الفترة التي كانت فيها حضارة الغرب في قمتها ـ الشيوعية والرأسمالية ـ وكانت تأخذ بألباب الناس ..

والمعروف أن عمل الدعاة لا يثمر في وقت قصير ، وهذه الثمار التي نراها الآن هي ثمار الجهود التي بدأت منذ وقت بعيد نسبياً .. والثمار تكون في البداية بذرة توضع في التربة الصالحة وتحتاج للري والتعهد والوقت حتى تصير ثمرة ، ومع ذلك لا نستطيع أن ننكر أن سقوط الحضارة في الغرب جاء عاملاً مشجعاً ودافعاً جديداً .

معارك في غير أوانها

■■ نقطة ثانية من السؤال نفسه نود طرحها : هل استطاعت القيادات الفكرية وقيادات العمل الإسلامي أن توجد الأوعية الشرعية لهذا التوجه لترشده وتستوعبه ؟

ـ فيما يتعلق بمنطقة شبه القارة الهندية التي نعمل بها ـ حيث لا أستطيع الحكم على مناطق أخرى ـ فقد بذلنا في هذا السبيل جهداً كبيراً ، ونعتقد أن التوجه الإسلامي يسير على خط سليم ، وقد استوعبناه ولا نزال نستوعبه ونُوجد له الأوعية الشرعية السليمة التي تجعله يأخذ مساره الصحيح ..

■■ وكيف ترون الصورة الإسلامية بصفة عامة ؟

ـ فيما يتعلق بالعالم الإسلامي ـ بصفة عامة ـ فنحن نحاول أن ندرس الأوضاع ، ونطلع على ما يجري من أمور وأحداث .. وفي ضوء ما نعرف أستطيع أن أقول : إن العمل الإسلامي في بعض المناطق ، لم ينل توجيهاً سليماً ، فقد فتح بعضهم حرباً قبل أوانها ، فتكبد خسائر فادحة ، حيث كان العدو قوياً وعنيفاً ، وهذا يدل على عدم الاستيعاب الكامل وعدم القدرة على تسيير التوجه ـ بالتوعية ـ في مساره الصحيح ..

■■ في الحقيقة .. هذا يستدعي سؤالاً آخر .. إلى اي مدى استفادت الجماعة الإسلامية هنا من تجارب الآخرين ـ سواء أكانت سلبية لتجنبها ، أو إيجابية لتمثلها ؟ وإلى اي مدى استفادت من تجربتها هي ، وهل توجد لجان متخصصة لتقييم المراحل وتحديد سلبياتها وإيجابياتها لتنتهي إلى نتائج مفيدة لمستقبل العمل الإسلامي ؟

ـ لقد درسنا سلبيات كثيرة لمراحل مختلفة من العمل الإسلامي في العالم .. وكذلك إيجابياتها .. وهذا الأمر يتم بصفة مستمرة ، ولكن من الناحية العملية ـ لا نستطيع ـ كما تعلمون أن نتدخل بظروف الآخرين .. وما نستطيع أن نذكره هنا هو ما يتعلق بالجماعة الإسلامية ، فهناك مجلس للشورى ينتخب على رأس كل ثلاث سنوات من أعضاء الجماعة ، وهذا

المجلس يقوم بصفة مستمرة بعملية تقييم كل المراحل التي نمر بها ـ ما لها وما عليها ـ وأنا أود أن يكون هذا النظام سائداً عند الجميع .. وأشير هنا إلى أن هذه العملية تتم عندنا بدون أي حرج أو مانع من تسجيل الأخطاء والاعتراف بها .

مناهج الاستمرارية . . .

■■ لا شك أن الجماعة الإسلامية في باكستان تعتبر من الجماعات المتقدمة الرائدة في العالم الإسلامي ـ إلى حد بعيد ـ بفضل دور الأستاذ المودودي وكتاباته في الجوانب الكثيرة من الفكر الإسلامي ، ومعالجاته لقضايا متعددة ، ليس على مستوى باكستان فحسب ، وإنما على مستوى العالم الإسلامي أيضاً ، وعطائه الذي لا يقتصر على شبه القارة الهندية ..

فهل بإمكاننا أن نطمئن بأن الجماعة الإسلامية ـ بعد وفاة الأستاذ المودودي ـ متابعة الطريق نفسه في العطاء الإسلامي وعدم الاقتصار على مشكلات شبه القارة الهندية ، وإن كانت هذه مشكلات كبيرة تستغرق الوقت والجهد .. أو بمعنى آخر : نحن نلاحظ أن الجماعات الإسلامية في عالمنا تقوم على أشخاص ـ مع احترامنا للإخوة جميعاً ـ فإذا ما انتهى الشخص انتهت الجماعة ..

فهل استطعنا أن نضع المناهج التي تضمن الاستمرارية بالقدرة نفسها ؟

ـ إن أعظم عمل قام به الأستاذ **المودودي** هو توجيه العاملين للإسلام إلى الالتزام بالهدف والغاية فقط دون التعلق بالأشخاص ، وضرب فكرة التعلق بالأشخاص ضربات قوية بحيث أصبح كل الذين تأثروا بفكره يرتبطون بالغاية ويتوجهون إليها ، ويمكن أن نقول : إن أي شخص ولو كان بسيطاً يستطيع أن يقود العمل في الجماعة بفضل هذا التصور ، وبفضل مناهج التربية التي جعلها **المودودي** مستقرة ، تجمع الناس على الهدف ، وتجعل من الأشخاص أمراً لا يذكر ..

وطبق هذا المبدأ على نفسه أولًا ، رغم أنه كان شخصية مرموقة في مجال العمل الإسلامي ، فكان أبسط الناس يأتيه ويتحدث معه ولا يكاد يشعر أنه يخاطب مسؤولًا كبيراً . كان الإسلام بينهما هو المقياس والرباط والصلة .. الناس هنا في الجماعة سواء .. والجماعة لم تقم على أي أشخاص ، فإذا ما ذهبوا بقيت الجماعة كما هي ..

■■ يؤخذ على بعض العاملين للإسلام أنهم لا يستطيعون تحديد الموقع المفيد للعمل الإسلامي بشكل دقيق ، لذلك قد يقومون بأعمال تبدد الجهد ولا تحصل الفائدة المرجوة منها ، يمتلكون الإخلاص ولكن قد لا يسلكون الطريق الصحيح ..

فما رأي الأستاذ طفيل في هذه القضية ؟

ـ هذا صحيح ، ولذلك أقول ؛ إنه من الضروري جداً أن يُحدد الموقع الصحيح للعمل وحساب نتائجه ، حتى لا نبدد طاقاتنا وإمكاناتنا هكذا ..

ونحن ندعو العاملين للإسلام أن يكونوا أكثر دقة في هذا المجال ، ولا ينبغي أن يخطو الإنسان خطوة قبل أن يدرسها ، وقد رأينا بعض الخطوات التي اتخذت في مناطق من العالم الإسلامي ، وما جاءت بنتائج .. فلا بد من التفكير كثيراً في الموقع الذي نستطيع أن نتصرف من خلاله .. هذه هي الحكمة ...

للشباب . . .

■■ ماذا يريد الأستاذ طفيل أن يوجه للشباب من خلال « الأمة » ؟

ـ نصيحة واحدة أود أن أوجهها للشباب ، هي أن يشعروا بأنهم أمة المستقبل .. إسلام المستقبل .. وعليهم المسؤوليات نفسها التي تركها لنا الرسول ﷺ ، والواجبات نفسها التي فرض علينا الإسلام أن نقوم بها .. على الشباب أن يشعروا بمسؤولياتهم وواجباتهم ، وأن يؤدوها حق الأداء .. وأن يستشعروا المسؤولية تجاه الإسلام .. وسوف نُسأل عن ذلك ـ الداعي يُسأل ، والذي وُجِّهت إليه الدعوة يُسأل ـ ونحن خلفاء رسول الله ﷺ : ﴿ وَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ..

وبعد .. ففي المرات القليلة التي تحدَّث فيها عن جماعته .. قال **المودودي** :

[... إن الجماعة الإسلامية في باكستان ، تهدف أول ما تهدف إليه من الغايات النبيلة إلى بناء مجتمع يؤمن بالمبادىء الإسلامية الأصيلة إيماناً عميقاً عن قناعة وإخلاص ، ويطبقها تطبيقاً صحيحاً في أقواله وأعماله وشؤون حياته ، يُعطي للعالم صورة نموذجية عن حبه للإسلام ، ويعيد سيرته الأولى] .

طفيل محمد في سطور ...

- طفيل محمد .
- من مواليد ١٩١٤م ـ في مدينة « كابور ثالا » مقاطعة بنجاب (القسم التابع للهند حالياً) .
- حاصل على درجة البكالوريوس في العلوم الطبيعية .
- نال شهادة الحقوق .
- وعمل محامياً .
- بدا اتصاله بالمودودي قبل تاسيس الجماعة الإسلامية [١٩٣٩م] .
- تفرغ للعمل الإسلامي ابتداءً من عام [١٩٤٢م] .
- عُيِّن أميناً عاماً للجماعة في عام [١٩٤٤م] .
- شغل منصب نائب امير الجماعة بين اعوام ١٩٦٨ ـ ١٩٧٢م بسبب مرض الأستاذ المودودي ، وانتخب اميرا بعد ذلك ، ويتجدد انتخابه كل خمس سنوات .

تصريحات وأقوال

● د . مصطفى السباعي ●

● المهندس حسن فتحي ●

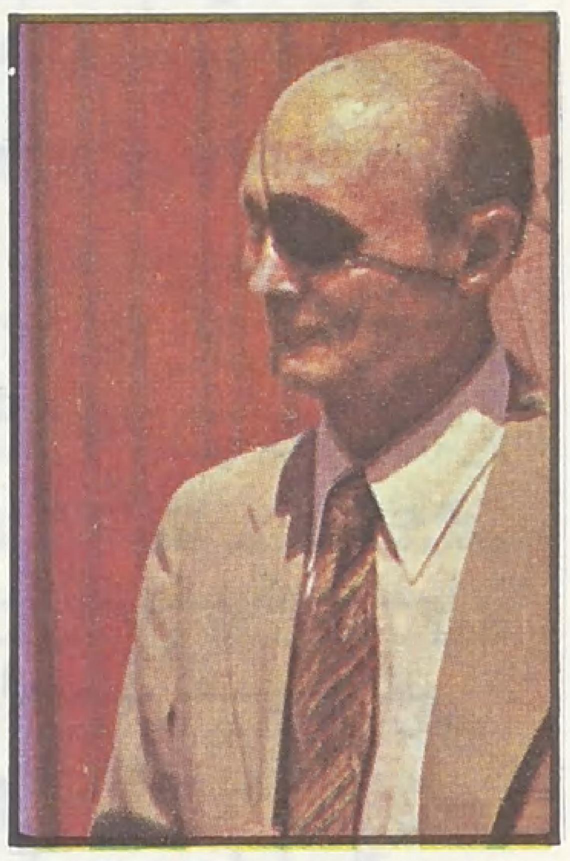

● موشى ديان ●

● جنكيز خان ●

● نابليون بونابرت ●

■ ترى لو استعمل المسلمون معايير النقد العلمي التي يستعملها المستشرقون في نقد القرآن والسنة ، في نقد كتبهم المقدسة ، وعلومهم الموروثة : ماذا كان يبقى لهذه الكتب المقدسة والعلوم التاريخية عندهم من قوة ، وماذا يكون فيها من ثبوت ؟

(الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله)

■ قديمـاً كان الاغتراب الثقافي والحضاري يُفرض من قِبل الحكام ، هذا ما قام به الامبراطور الإسكندر في روسيا ، ومصطفى كمال أتاتورك في تركيا ، أو يُفرض بقوة الاحتلال الأجنبي ، ولكن اليوم تحولت الظاهرة إلى ما يمكن تسميته بالاستعمار الذاتي عندما تبدأ أمة بتقليد أمة أخرى برغبتها ، وليس بقوة الحكام ولا بقوة الاحتلال ، وهو ما تشهده دول العالم الثالث ، والتي تسعى إلى تغيير لون جلودها معمارياً وحضارياً وثقافياً .

(المهندس المعماري « حسن فتحي » في حديث له نقلاً عن : « جوستاف بتول » رئيس إحدى لجان الأمم المتحدة)

■ عليكم وعلى جيلكم أن يمتد إلى حدود جديدة عبر الأردن ولبنان وسوريا الوسطى !

(من خطاب موشى دايان للطلبة الإسرائيليين في حفل تخريج طلاب المدرسة العسكرية ـ ١٧ يوليو [تموز] ١٩٦٨م)

■ من السـهل أن تؤسس إمبراطورية من على ظهر الحصان ، ولكن من الصعب إدارتها من على ظهر ذلك الحصان !

(توصية من أحد المستشارين لـ « جنكيز خان »)

■ من الضروري مراجعة البرامج التعليمية مراجعة شاملة واكتشاف ماذا يدرَّس في مدارس الدول العربية عن إسرائيل واليهود ، وأن أي تسوية تهدف إلى وضع حد للصراع يجب أن تتضمن خطة تفصيلية لتبديد هذه المفاهيم السلبية وتنمية مواقف إيجابية مكانها ..

(« د . هايفين » ـ أستاذ العلوم السياسية والمدير السابق لمعهد شيلوح)

■ لا أحـد سـواي مسؤول عن هزيمتي ، لقد كنت أنا أعظم عدو لنفسي !

(نابليـون بونـابرت)

نقد لقصة

رأس الشيطان

تأليف : د. نجيب الكيلاني

عرض : أحمد رضوان ناشد

ملخص عرض القصة

هذه القصة تتناول فترة من الفترات الحالكة التي مرت على مصر .. وربما كانت أشدها حلكة وسواداً .. تلك هي فترة الانتداب الانكليزي عليها .. وتمكينهم لزمرة من الإقطاع من استلام السلطة تحت ظل دستور مزيف ، لتكون تلك الزمرة أداة قهر وتسلط وسحق للشعب المصري بيد المستعمر الانكليزي ..

والقصة تدور ضمن قطبين :

الســالب .. وهو تلك العزبة المترامية الأطراف والتي تتناثر فيها ما يشبه البيوت ، تؤوي داخلها أناساً سلبوا إنسانيتهم ، مهمتهم أن يعملوا ، أما أن يجدوا أجر عملهم فهذا أمر ليس بالأهمية بمكان ... ونكتة بيضاء الظاهر ، سوداء الباطن ، تتوسط هذه الجنة الخضراء اسمها « **قصر الباشا** » .. هذا القصر الذي ضم بين جنبيه الظلم واللؤم ، والخيانة بكل أنواعها وبشتى معانيها ..

والقطب الموجب ... والذي تدور في رحاه القصة هو مدينة القاهرة ، وعلى الأخص ذاك البناء الذي يكتب عليه (**جريدة النهضة العربية**) والتي يديرها رجل نال من العلم قدراً لا بأس به وكان له في يوم من الأيام مبادىء آمن بها وعمل على تحقيقها أو التعبير عنها عبر جريدته تلك ومن منطلقه هذا ، اختار سكرتيراً للتحرير ، رجلاً ريفي الأصل ، إسلامي المنشأ ، فرنسي الثقافة ... وتشاء الأقدار أن يلتقي هذان القطبان عبر قناة اسمها « **ضياء الدين** » سكرتير التحرير ، وهنا يبرز صراع القصة بين السالب والموجب ، بين الظالم والمظلوم ، بين الفكر الأسير والفكر الحر .

عثمـان باشـا ، صاحب العزبة يرشح نفسه لكرسي الوزارة ، ويحتاج للمزيد من المؤيدين .. يوكل لناظر عزبته « **محروس افندي** » مهمة توزيع الرشاوىٰ المعنوية على أهل الكفور (من وعود كاذبة ومواثيق زائفة) لينتخبوا مرشح الشعب ، والداعي إلى الحرية والتقدم والرفاهية ..

وعثمـان لا يخاف منافساً ، ولا يخشى مزاحماً ، ولكنه يخاف مجهراً واحداً يعرف حقيقته ، ولا يسكت عنها ، هو **ضياء الدين** ، ابن القرية الذي درس الحقوق في فرنسة ، وله قلم يعمل بحرية في جريدة خاصة ، تصدر في القاهرة ..

ويستطيع **عثمان باشا** أن يتغلب على عقبته تلك ، وأن يجبر فلاحيه ، عن طريق الناظر ، على انتخابه وهكذا .. يصبح وزيراً للمواصلات ..

ضياء الدين ، شخصية محببة لدى الجميع .. لدى الفلاحين البسطاء المعدمين ، وهو مقرب من الشيخ الشاذلي ، ذلك المتصوف الذي التف حوله الكثير من الفلاحين ينشدون عنده الصفاء والطمأنينة .

وصفـاء .. تلك الكاتبة المبتدئة ، والتي اقتدى قلمها بقلم **ضياء الدين ، هي أيضاً تحمل مشاعر الود والحب أيضاً له .. وحتى زوجة الباشا** ، تلك الدمية الجميلة أبدت أيضاً إعجابها بذاك الريفي المتعلم في باريس ، وإن كانت قد دهشت من اجتماع العلم الفرنسي في رجل ريفي ، وأدهشها أكثر من يعيش في باريس ثم يعود ليخالط بؤس الفلاحين !!..

وتمضي الأيام تحمل المزيد من الشقاء لأهل القرية ، ولأهل الخير من كتّاب الجريدة .. فالباشا الوزير ، يزداد تسلطاً وجبروتاً .. **ويحاول أن يشتري قلم ضياء ، لكنه يفشل فيجد ضالته عند حاقد قديم على ضياء .. « بركات الزناري » .. صحفي مرتزق .. يريد « صفاء » زميلة**

■■ « **نجيب الكيلاني » ذلك الاسم الذي يذكر مع ذكر القصة الإسلامية والأدب الإسلامي .. إنه ذاك الروائي الذي انطلق في قصصه من مفهوم إسلامي ، ولازم الفكر الإسلامي ولم يشذ عنه قدر استطاعته ..**

وبين أيدينا الآن قصة للأستاذ الدكتور نجيب الكيلاني بعنوان « رأس الشيطان » صادرة عن مؤسسة الرسالة في بيروت لعام ١٩٧٩م .. ■■

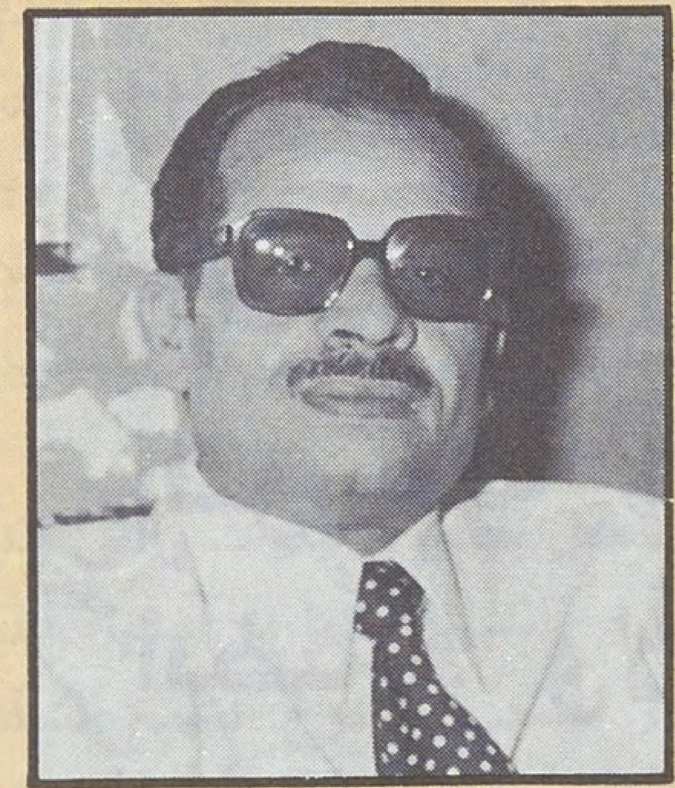

● د نجيب الكيلاني ●

□ نقد لقصة

رأس الشيطان

العمل ، يريدها حبيبة وزوجة ، ولكن صفاء لا تجد فيه أي مقوم من مقومات الحبيب الصادق ، والزوج الوفي .. فيحنق عليها وعلى ضياء الدين ، والذي تصوره أنه منافس له فيها .. وبالتالي يحنق على القيم المثلى التي جمعتهما وألّفت بينهما .. وبذلك يتحول لعميل لدى الباشا ، يُمجد شائن أفعاله ، ويسبح بقبح أقواله ، حتى أصبح سكرتيره الصحفي ..

ضياء الدين يرفض ذلك الواقع المظلم كغيره من أحرار مصر ، فيؤلفون التنظيمات السرية لمقاومة رؤوس الشياطين من الانكليز ومن في فلكهم ، من الخديوي وحتى أصغر إقطاعي ..

وفي القرية اضطرابات وتمرد وعصيان نتيجة تسلط الباشا ورجاله ، بزعامة ناظره الجديد « **سلطان** » الذي خان أباه « **محروس** » وأهانه في سبيل تسلم منصبه .. **فأصبح « سلطان » جبار القرية وظالمها ، وكيف لا وهو عصا الباشا الغليظة !!..**

وتزداد الأوضاع في القرية نتيجة ذلك سوءاً ، فسلطان يسرق أموال الفلاحين ، ويمنعهم أجورهم ، وينتهك عرض فتاة منهم ، وأخيراً يُحرّق عليهم بيوتهم .. **ويقع الصدام العنيف والذي يودي بحياة سلطان ، ويكون سبباً في ذهاب كرسي الوزارة من الباشا ، وفي دخول ضياء الدين ورئيس التحرير السجن بعد استغلالهم لهذه الأحداث بالتعرض للباشا الوزير ، وللدستور وللظلم والاستغلال ، عبر صفحات جريدتهم ..**

وخلال تلك الأحداث ، تنشأ علاقة بين **ضياء وصفاء** ، يجمعهما حب الوطن والتضحية بكل شيء في سبيله ، حتى إن صفاء تنضم للتنظيم السري الذي يرأسه ضياء ، وتقوم ببعض العمليات التي تستهدف اغتيال المزيد من جنود الانجليز ، وقبل اعتقال **ضياء الدين** يكون قد بلور حبه لصفاء ، وتوجه بإعلان خطوبتها ..

وتنتهي القصة بالإفراج عن ضياء ورئيس التحرير وبقية زملائهما ، ويُجرى بعض التعديل والتحسين في الدستور كإجراء مخدر وليس حلاً جذرياً ..

المهم .. أن النضال مستمر ما دام في الشعب حياة ، وفي الحياة أمل ..

○ **ومن الشخصيات البارزة في القصة شخصية ضياء الدين وصفاء** واللذين كانا أنموذج الإنسان المتعلم الذي يؤمن بقيمه ، وبمعنى الإنسانية وحقوقها ..

والشيخ الشاذلي ، ذاك الحر والذي أعطاه إيمانه القوي ، المزيد من العزة والشموخ فهو لا يحني رأسه لجبار غير الله ، ولذلك كان ملتقى القرية ومحط آمالها ..

ثم **عثمان باشا** الوزير الفاشل ، الذي انهزم أمام فلاحيه ، وأمام كرسي الوزارة ، وأمام زوجته التي خانته مع سكرتيره الصحفي ..

وبركات .. ذاك الحاقد الخائن .. حقد على **ضياء وصفاء** ولكنه لم يستطع أن يفرق بينهما ، وطمع في **الباشا** الذي أظهره كصحفي ناجح وأغدق عليه ، فكان شكره له أن خانه في زوجته !!..

نقد القصة ..

والرواية في مجملها جيدة كقصة حاول خلالها المؤلف أن يكشف ويفضح مساوىء الاستعمار وعورات المستغلين والمتسلطين ، ولكن فيها بعض الثغرات التي يمكن أن نجملها بثغرات فكرية وأخرى إنشائية ...

ثغرات فكرية !!!

فمن حيث الثغرات الفكرية : فقد اعتمد الكاتب على بعض الأفكار التي تتنافى مع منطق الدين الإسلامي الحنيف ، والتي تتنافى مع كون الأستاذ **نجيب الكيلاني** كاتباً وقاصاً إسلامياً ..

فأولاً : تشتم رائحة عصبية الجنس ، تلك الرائحة الكريهة التي عافها كل ذي بصيرة من المثقفين والعقلاء .. فالذي جمع السوري « **عدنان الأسطواني** » مع **ضياء الدين** وبقية زعماء الأحزاب هي « **العروبة** » ، حتى إن **عدنان الأسطواني** عندما اعتقل بتهمة توزيع المنشورات رفض أن يذكر لهم ارتباطه بأي شخص أو تنظيم ، إنما ذكر لهم أن الدافع لعمله هذا إنما هي غيرته العربية ..

كذلك تجد تلك الرائحة حتى في اسم الجريدة « **جريدة النهضة العربية** » والتي يعمل فيها بطل القصة **ضياء الدين** ..

ثانياً : ضياء الدين كرجل درس القانون في فرنسا ، يتخذ من زعامات الثورة الفرنسية قدوة له فهو يحلم بأن يقود الجماهير كما فعلت الثورة الفرنسية ، ويحطمون الباستيل ثم يضعون أفراد الأسرة الحاكمة في عربة مكشوفة حالقي الرؤوس ، ويقودونهم إلى المقصلة ..

وهذا الحلم يتردد في أكثر من موضع ، **وكان الأحرى بالأستاذ نجيب ككاتب إسلامي أن يجعل حلم ضياء الدين هو ما فعله رسول الله ﷺ وهو يقود كتائب المسلمين متوجهاً إلى مكة لفتحها ،**

■ **لا يصح شرعاً مبدأ : « الغاية تبرر الواسطة » ، لأن الإسلام يعطي للوسائل حكم الغايات ، فإن كانت الغاية شريفة ، فلابد أن تكون الوسيلة المؤدية إليها شريفة أيضاً ، ولا يجوز خلاف ذلك ..**

وليحطم رؤوس الشرك والضلال ، وأصنام الجاهلية ، ثم يعفو عمن عرف الحق واستسلم له .

كما تجد في القصة ذكر بعض أسماء على أنها هي المثل الأعلى مثل « قاسم أمين » الذي دعا إلى تحرير المرأة ، ودون أن يعلق الكاتب على ذلك بشيء .. وقاسم أمين معروف بدعوته النكراء تلك ، صحيح أنها لم تمثل في تلك الفترة تلك الخطورة ، ولكنها كانت إحدى الأدوات التي استخدمت للوصول بنا إلى واقعنا الحاضر ..

وكذلك تقديمه **تولستوي** كرجل عرف للفلاحين حقوقهم ، وتبرع بأرضه لهم ، لأنهم أحق منه بها ، وجاء ذكره قبل ذكر الخليفة **عمر بن عبدالعزيز** في الموضع نفسه !!..

ثالثاً : اعتمد على مبدأ الغاية تبرر الواسطة ، حيث تلجأ **صفاء** إلى القيام بدور **مومس** حتى يتم عن طريقها اغتيال جندي انكليزي ، وكلما استنكرت طريقة تزينها ، ولباسها الذي يُظهر من مفاتنها ، عادت وتذكرت الهدف النبيل الذي خرجت لأجله بهذا الشكل ، فتهدأ ثائرتها ... ومع أنه من المعروف أن طرق الاغتيال يمكن أن تتم بوسائل أخرى بعيداً عن إذلال شرف نسائنا !!!

رابعاً : اختيار **الشيخ الشاذلي** كشيخ صوفي هو اختيار غير موفق حيث له من المواقف السلبية الكثير مع أنه في نظر أهل القرية يمثل الدين ، فأهل القرية يشتكون إليه بحرقة المظلوم سرقة أراضيهم لشق ترعة لأرض الباشا ، ويطلبون منه أن يكلم الباشا ولكنه يجيبهم بكثير من السلبية حيث يجري الحوار بهذا الشكل :

ــ إنهم ينوون أخذ أرضنا ..

فيرد عليهم : **يأخذون العرض الزائل ، والدنيا فانية ..**

ــ لكننا في حاجة إليها ..

ــ اتعرفون القصة الخالدة ﴿ إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ (وهنا يقرن موقف النبي داود عليه السلام بموقف الباشا الطاغية) .

ــ إنها كارثة .. ونريدك أن تحادث الباشا في الأمر لعله يستجيب لك ..

ــ أنا أريد ، وأنت تريد ، والله يفعل ما يريد ..

وهكذا لبقية الحوار ، وبعد طول رجاء يوافق الشيخ على أن يرسل للباشا برسالة فقط دون أن يذهب إليه بنفسه ليقول له كلمة الحق مهما كلفه ثمنها !!!

وهكذا تجد الكثير من الحوار السلبي ...

ثغرات إنشائية !!

أما الثغرات الإنشائية فتتجلى ببعض الضعف أو بعدم تناسب المواقف وردود أفعالها مع أبطالها . فمثلاً : لا يعقل أن يتصرف مدير شركة تصرفاً أرعن مع فتاة تدخل إليه لأول مرة طالبة عملاً في شركته ، فهو إما أن يرفضها مباشرة لعدم الحاجة إليها .. وإما إن كان قد استلطفها فعلاً وطمع في جسدها ، أن يحاول الوصول إليها بوعدها بالعمل وجعلها تتردد عليه حتى يتمكن من الوصول إليها .. ولكن أن يحاول النيل منها من أول مرة تدخل فيها عليه كما تمثل في القصة فأعتقد أن هذا موقف مفتعل وغير طبيعي !!

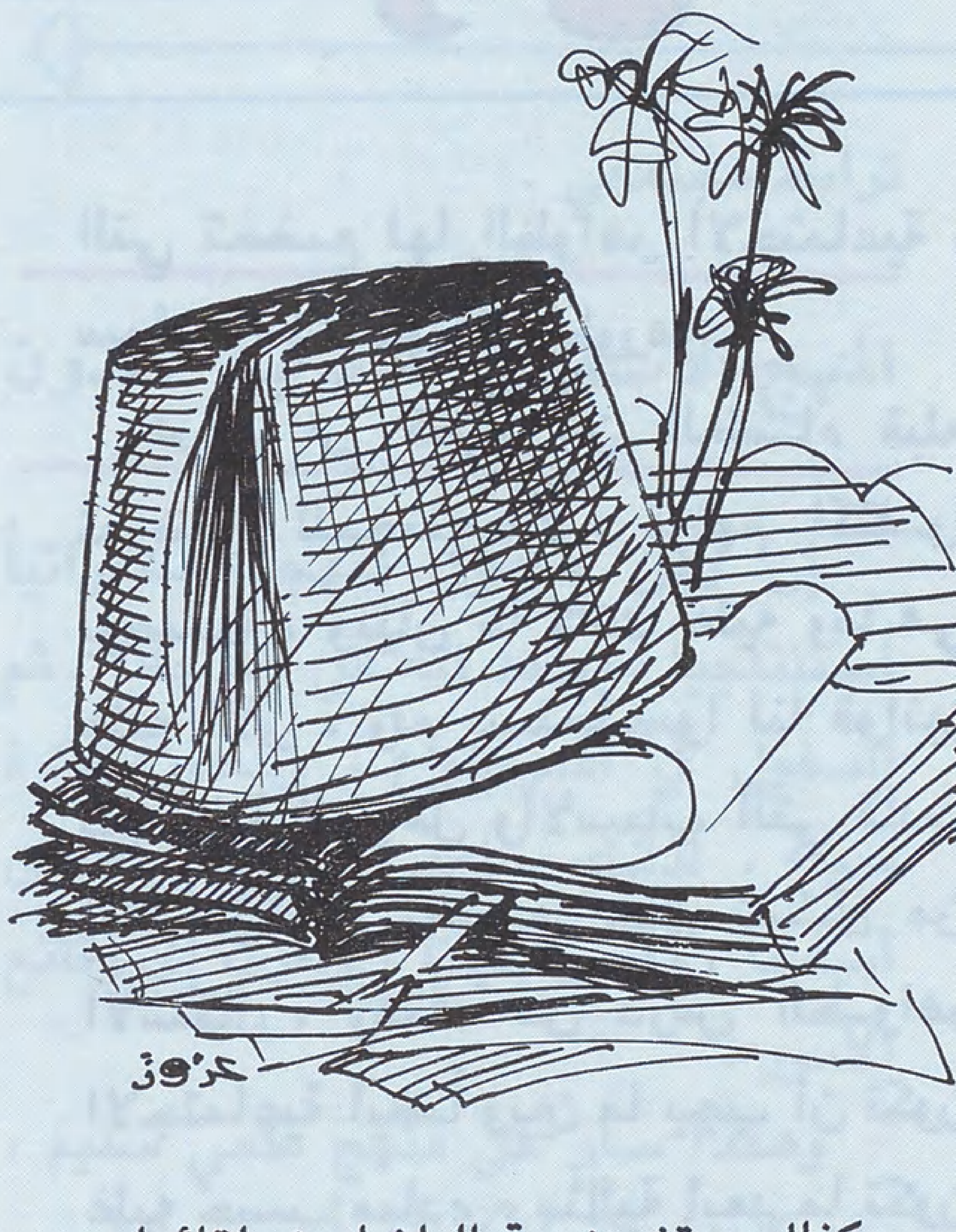

وكذلك موقف زوجة الباشا عند لقائها مع ضياء الدين .. فلو بدل الكاتب المواقف بين مدير الشركة وزوجة الباشا لأصبحت أكثر واقعية .. فزوجة الباشا ، كراقصة قديمة في **(كباريه)** وزوجة عجوز عقيم ، لا يخصص لها الجزء الأكبر من وقته .. ثم تجد شاباً وسيماً وقادماً من فرنسا بلاد الحرية والمتعة (**كما تصفها هي**) امرأة كتلك تطلب مقابلة ضياء الدين إما معجبة به كرجل وتريده لنفسها ، وتقدم له التسهيلات لذلك .. وإما أن تطلبه بغرض إذلاله واحتقاره لأنه ريفي ولا يحق له أن يشمخ بأنفه في وجوههم .. ولكن أن تطلبه لمجرد التحدث معه فأعتقد أن هذا أيضاً غير واقعي ..

● استعمل بعض العبارات والتي تتنافى مع مبادىء قائليها . فها هو ضياء الدين الثائر الحر المعجب بشموخ الشيخ الشاذلي يخاطب الباشا ، عند استدعائه له ، بعبارة : **أنا طوع أمرك سيدي**

وكذلك يخاطب صفاء بعبارة : **جان دارك ، قديستي العزيزة** .. وهي تتنافى مع كونه ريفياً وذا مبادىء إسلامية .. كذلك عندما يصف موقف بركات مع زوجة الباشا وهما في وضع خياني يذكر عبارة : « **فما كان من بركات إلا أن مثل دور الذئب في براعة صفيقة يحسد عليها** » وأظن أن عبارة ـ يحسد عليها ـ غير لائقة ، لأن الحسد لا يكون بالبراعات الخسيسة الضعيفة ..

● وهناك بعض المشاهد التي وصفها الكاتب بأسلوب يعتمد على الإثارة . كذلك الموقف الخياني بين بركات وزوجة الباشا . ولئن افترضنا أن تصوير هذا الموقف ضروري للنتائج التي ترتبت عليه ، ولكن ما ضرورة عبارة : « **استلقت صفاء على سريرها ، وغلالة رقيقة تستر جسدها** » ثم يتابع وصفها وهي تحلم **بضياء الدين** .. وأعتقد أن عبارة (**غلالة رقيقة تستر جسدها**) عبارة دخيلة لا لزوم لها .

وأخيراً .. وحتى دار النشر التي قامت بطباعة ونشر القصة ارتكبت خطأين :

الأول وضعها علامة نجمة داود (النجمة السداسية) كعلامة فاصلة بين الفقرات كما في الصفحات ١٧ ، ٦٥ ، ٦٩ .

ثم كتبت على الغلاف : « رأس الشيطان ... وقصص أخرى » مع أنه لا وجود لقصص أخرى فيها !!!

ختـــام . . .

أختم حديثي بالقول : إن القصة ككل تمثل فكرة الذين يتخذون الدين للعبادة ، ثم ينتهجون نهج الحضارة الغربية في معاملاتهم وتفكيرهم ، ورسم خطط حياتهم . وهذا ما يتضح من خلال ضياء الدين ، والثورة الفرنسية والتي هي قدوته ، والعروبة ، **والشيخ الشاذلي** الصوفي .. ولعل هذه الفكرة غير معهودة لدى قصص **نجيب الكيلاني الملتزمة** .. فلو كانت القصة لغير **الأستاذ نجيب** لقلنا إن لكاتب القصة ميولاً دينية ، أما وأنها **لنجيب الكيلاني** إذاً سنضطر لوصفها بالابتعاد عما التزم به كاتبها ..

ولذلك .. فنحن ننتظر بديلاً عن « **رأس الشيطان** » أو تعقيباً عليها ، أو حتى تراجعاً عنها .. حتى يبقى **الأستاذ نجيب الكيلاني** القاص الملتزم والذي تنتظر قصصه من بين المئات من القصص الفتاكة ..

وليس لنا إلا أن نحتفظ بتحية صادقة **للأستاذ الدكتور نجيب الكيلاني** سائلاً الله أن يهدينا سبل الرشاد .

٢

نظرات في الفكر المنهجي عند ابن خلدون

[١] المنهج الاقتصادي والاجتماعي من خلال المقدمة . .

اشتهر ابن خلدون بمقدمته التي هي جزء من كتابه الضخم الذي ألفه في التاريخ العام وسماه : « **كتاب العبر ، وديوان المبتدا والخبر ، في أيام العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر** » ، وهذا الكتاب يشمل المقدمة ومعها :

١ ـ **الكتاب الأول** : **في العمران وطبيعته** .

٢ ـ **الكتاب الثاني** : **ويشتمل على أخبار العرب وأجيالهم** .

٣ ـ **أما الكتاب الثالث** : **فيعرض لنا أخبار البربر ومن إليهم** .

وقد عالج ابن خلدون واقعات العمران البشري ، التي تشمل كل القواعد في الاتجاهات العامة التي يسلكها أفراد المجتمع ، في تنظيم شؤونهم الجمعية ، وضبط العلاقات وتنسيقها ، « **الظواهر الاجتماعية** » .

دراسة الظواهر الاجتماعية

وبذلك يكون ابن خلدون قد درَس الظواهر الاجتماعية ، وكشف القوانين التي تخضع لها الظواهر الاجتماعية ، سواء في نشأتها أو تطورها .

فرغم أن كثيراً من العلماء قبله تعرضوا للمجتمعات ، فإنهم اكتفوا بوصفها ، وبيان ما كانت عليه وما هي عليه الآن ، ولم يستخلصوا لنا قوانين تفسر لنا العوامل والأسباب التي قادت الظاهرة لأن تسير على شكل من الأشكال ، وهناك من درس الظواهر الاجتماعية أيضاً وبين ما يجب أن تكون عليه حسب مبادىء مثالية أبعد ما تكون عن الواقع :

أجل إن التفكير في المجتمع قديم قدم الإنسانية ، وقد تعرض كثير من الفلاسفة إلى دراسة مجتمعاتهم ، فرسموا لنا نماذج لمجتمعات فاضلة ارتضاها كل واحد منهم ، وبينوا ما ينبغي أن تكون عليه المجتمعات ، ولكن ابن خلدون درس الظواهر الاجتماعية وحللها ، وكشف القوانين التي تتحكم في مصيرها ، وبين أنها تسير حسب قوانين ثابتة .

وقد قرر ابن خلدون : بأن دراسة ظواهر الاجتماع على هذا النحو لم يسبقه إليها أحد فقال :

« واعلم أن الكلام في هذا الغرض مستحدث الصنعة غريب النزعة ، غزير الفائدة ، اعثر عليه البحث وادى إليه الغوص » .

● ابن خلدون ●

أخضع الظواهر الاجتماعية للقوانين

فابن خلدون إذ يخضع الظواهر الاجتماعية للقوانين ، فهو يبحث عن مدى الارتباط بين الأسباب والمسببات ، ولم يكتف بالوصف وعرض الوقائع وبيان ما هي عليه ، وإنما اتجه اتجاهاً جديداً في بحوثه الاجتماعية ، جعله يعلن بصراحة أن التطور هو سنة الحياة الاجتماعية ، وذلك لأن الظواهر الاجتماعية غير قابلة للركود والدوام على

بقلم: عـــلال البـــوزيـــدي

• قرَّر ابن خلدون أن دراسة الظواهر الاجتماعية على هذا النحو لم يسبق إليها « ... اعلم أن الكلام في هذا الغرض مستحدث الصنعة غريب النزعة ، غزير الفائدة ، أعثر عليه البحث وأدى إليه الغوص » ..

حالة واحدة ، ومن ثم كانت الأنظمة الاجتماعية متباينة حسب المكان والزمان :

« إن احوال العالم والأمم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر ، إنما هو اختلاف على الأيام والأزمنة ، وانتقال من حال إلى حال ، وكما يكون ذلك في الأشخاص والأوقات والأمصار ، فكذلك يقع في الآفاق والأقطار والأزمنة والدول » .

فإذا كانت العلوم الرياضية وما شابهها تعالج أموراً مستقرة ، فعلم الاجتماع يعالج مواضيع تختلف من جيل إلى جيل ، ومن منطقة إلى أخرى ، لذلك يرى ابن خلدون أنه يتحتم على الباحث الاجتماعي ، أن يبحث عن هذا الاختلاف ، متخذاً الحذر والحيطة حتى لا ينساق وراء الخيال والمغالطات .

وقد اعتمد ابن خلدون في بحوثه على ما لاحظه في الشعوب التي عاصرها ، واحتك بها ووازن بينها وبين سابقيها ، ودرس العلاقات الاجتماعية ، وذلك بأن جمع معلوماته من التاريخ ، ثم أخضعها للعقل ، ومن هنا تتجلى أصالته المنهجية ، ولا أدل على ذلك من كونه يقرر أن العصبية نوع خاص من القرابة داخل ترابط مجتمعي .

المنهج الاستقرائي عند ابن خلدون

إن لابن خلدون منهجاً استقرائياً استنتاجياً ، يعتمد فيه على الملاحظة ، ثم الدخول في الموضوع ، وبدون فكرة مبيتة ، لذلك جاءت قوانينه أقوى أساساً ، وأمتن بنياناً ، وأقرب إلى وقائع الأمور .

وهكذا سار على منهج علمي سليم ، وإن كان استقراؤه ناقصاً بعض الشيء ، لأن كثيراً من القوانين والأفكار التي وصل إليها لا تطبق إلا على أمم عاصرها في فترة معينة :

سبق مالتس إلى نظرية تزايد السكان

ومن العجيب أن هذا الباحث الاقتصادي الإسلامي قد تحدث في المقدمة عن القوانين التي يسير عليها التزايد في النوع الإنساني ، وبذلك سبق « مالتس » الانجليزي في نظريته التي اشتهر بها ، وهي نظرية « تزايد السكان » :

ومالتس من علماء الاقتصاد الانجليزي .. ولد سنة ١٧٦٦م وتوفي سنة ١٨٤٢م ، ويعد من المنشئين لعلم « الديموغرافيا » او علم إحصاء السكان ، وهو من العلوم الاقتصادية ، وقد وضع مالتس في ذلك كتاباً اسماه « تزايد السكان » وظهر هذا الكتاب سنة ١٨٠٣م .

واستخلص مالتس من دراساته لظاهرة التزايد في النوع الإنساني ، أن السكان يتزايدون كل خمس وعشرين سنة ، بنسبة متوالية هندسية (١ ، ٢ ، ٤ ، ٨ ، ١٦ ، ٣٢ ....) ، إذا لم يوقف تزايدهم عائق خارجي .

وابن خلدون الذي كان قبل مالتس بأكثر من اربعمائة سنة قد تعرض لهذه النظرية ، وإن لم يعن بتفصيل الحديث عن أجزائها ، ووضع قانون محدد بها ، كما فعل مالتس .

أبحاث في مواضيع اقتصادية ..

وتحدث في المقدمة أيضاً عن الفلاحة والبناء والنجارة والحياكة والخياطة والوراقة وغيرها ، وقد لخص كتاب تاريخ فلاسفة الإسلام المواضيع التي طرقها في مقدمته فقال عن الفصل الخامس :

« الفصل الخامس في المعاش ووجوهه من الكسب والصناعات ، وفيه مسائل في الرزق والكسب ، وفي المعاش وأصنافه ومذاهبه ، ونسبة ذلك إلى طبيعة العمران ، وفيه مباحث مسهبة في أبواب الرزق من التجارة والصناعة على اختلاف ضروبها وأنواعها ، ووصف أمهات الصناعات في أيامه ، كالزراعة والعمارة والنسيج والتوليد والطب والوراقة وغيره .

وباختصار فإن **عبد الرحمن بن خلدون الباحث الاجتماعي والاقتصادي والسياسي** ، سيظل في نظر الباحثين حجة في كل ما يتعلق بالحياة الاجتماعية والاقتصادية ، وستظل نظرياته الواردة في مقدمته صالحة للاستفادة منها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

نظرات في الفكر المنهجي عند ابن خلدون

● درس ابن خلدون الظواهر الاجتماعية وحلَّلها وكشف القوانين التي تتحكم في مصيرها وبيَّن أنها تسير حسب سنن ثابتة ..

مكانتـه العلميـة . . .

قام ابن خلدون بدراسة تحليلية لتاريخ العرب والدول الإسلامية، وعرض محتويات الأحداث التاريخية على معيار العقل حتى تسلم من الكذب والتزييف، فكان بذلك مجدداً في علم التاريخ.

تعـريف التاريخ . .

وقد عرف التاريخ بما يلي: إنه خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم، وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال: مثل التوجس، والتأنس، والعصبيات، وأصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض، وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول، ومراتبها، وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش، والعلم والصنائع، وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعة من الأحوال.

ما يؤخذ عليه . . .

ومما يؤخذ عليه مبالغته في إعطاء البيئة الجغرافية أهمية كبرى في شؤون الاجتماع، حتى جعلها حجر الزاوية في توجيه نشاط الشعوب ومدى تقدمهم وتأخرهم، حقاً إن المحيط الجغرافي له أثره في توجيه سلوكنا وتبايننا الحضاري، ولكن ليس هو الكل، وإنما هو عامل من عوامل عدة أهمها: العقيدة ثم الأحداث التاريخية والعوامل التكنولوجية والانسياق والانسياب الحضاري.

الواقع الأدبي في عصر ابن خلدون

لقد حاولت فيما سلف الإلماح إلى جوانب من الفكر المنهجي عند ابن خلدون، ولكن هناك جوانب أخرى لها ارتباطها الوثيق بحياة هذا المفكر، لكونه عاصرها وعايشها، وهي أحداث ووقائع لا يمكن إغفالها في هذا البحث المختصر، بل ينبغي الإشارة إليها ولو بلمحات:

عرف العصر الذي عاش فيه ابن خلدون الحروب والقلاقل والفتن، وكما قال أديب عربي:

«وكيف يزدهر الأدب والعلم في جو متقلب غير مأمون العاقبة، على أن الملوك والأمراء كانوا ينتهزون فرص السلام على قلتها، وقصرها فيقربون إليهم العلماء والأدباء، فكان بنو حفص وبنو مرين ملاذ رجال الفكر والأدب، يظلونهم برعايتهم ويحتفون بهم ويولونهم المناصب الرفيعة».

يقول ابن خلدون:

(... ولما استوى السلطان ابو الحسن على تلمسان، رفع من منزلة ابني الإمام: أبي زيد وأبي موسى، واختصهما بالشورى في بلدهما، وكان يستكثر من أهل العلم في دولته، ويجري عليهم الأرزاق، ويعمر بهم مجلسه، ثم أدنى ابن عبد النور، وقربه من مجلسه، وولاه قضاء عسكره.. وكانت غرناطة حافلة بكثير من العلماء والأدباء، فلما طغت مملكة قشتالة النصرانية على أطراف المملكة الإسلامية، واستولت على أكثر ثغورها ومدنها، رحل كثير من علماء الأندلس وأدبائه إلى المغرب فازدادت ثراء بالأدب والثقافة).

النثر في عصره . . .

أما عن النثر في عصر ابن خلدون فيجدر بمن يبحث النثر أو الشعر في المغرب، أو في الأندلس أن يتعرف حالهما في المشرق، وليس في هذا ما يثير العجب، لأن العرب نزحوا إلى الأندلس، وانبثوا في أرجائها، من كل قبيلة وعشيرة، من عدنانيين وقحطانيين، وابن خلدون نفسه يمني الأصل، كما يقرر ذلك عن نفسه.

ثم أن كثيراً من العلماء والأدباء وفدوا إلى الأندلس، فوجدوا ترحيباً وتكريماً وإغداقاً، ففاضت كتاباتهم، وقرضوا الشعر، وكتبوا النثر، مقيدين بطرائق التعبير التي جرى عليها أسلافهم، والتي يجرى عليها معاصروهم في الشرق.

وكان كثير من علماء المغرب وأدبائه يرحلون إلى المشرق، حتى ليخيل لمن يقتفي آثار هذه الرحلات أن الطريق كان حافلاً بالرحَّالة الذين يسعون في سبيل التعليم أو طلب العلم دائماً.

ويضاف إلى ذلك أن الملوك والخلفاء بالأندلس كانوا في المشرق مثلاً أعلى جديراً بالاحتذاء، ولهذا استقدموا بعض العلماء والفنانين وبعض المؤلفات.

أما العرب في الأندلس فلم يحفلوا أول الأمر بما كان في بلاد الأندلس من كتابة لاتينية، ولم ينشطوا إلى نقل شيء من فلسفة اليونان وعلومهم، إذ أرادوا أن تكون دولتهم عربية خالصة ينافسون بعروبتها، حتى لقد كان طلاب العلم الذين يقصدون المشرق يكتفون بالتلمذة على علماء اللغة والدين، مثل حيي بن يحيى الليثي، وأبي الخطاب عمر بن الحسن الأندلسي، وابن مالك.

كذلك كان العلماء الذين يقدمون إلى المغرب أدباء أو لغويين مثل أبي علي القالي.

الطريقة الشائعة للكتابة في عصر ابن خلدون

كانت الطريقة الشائعة في عصر ابن

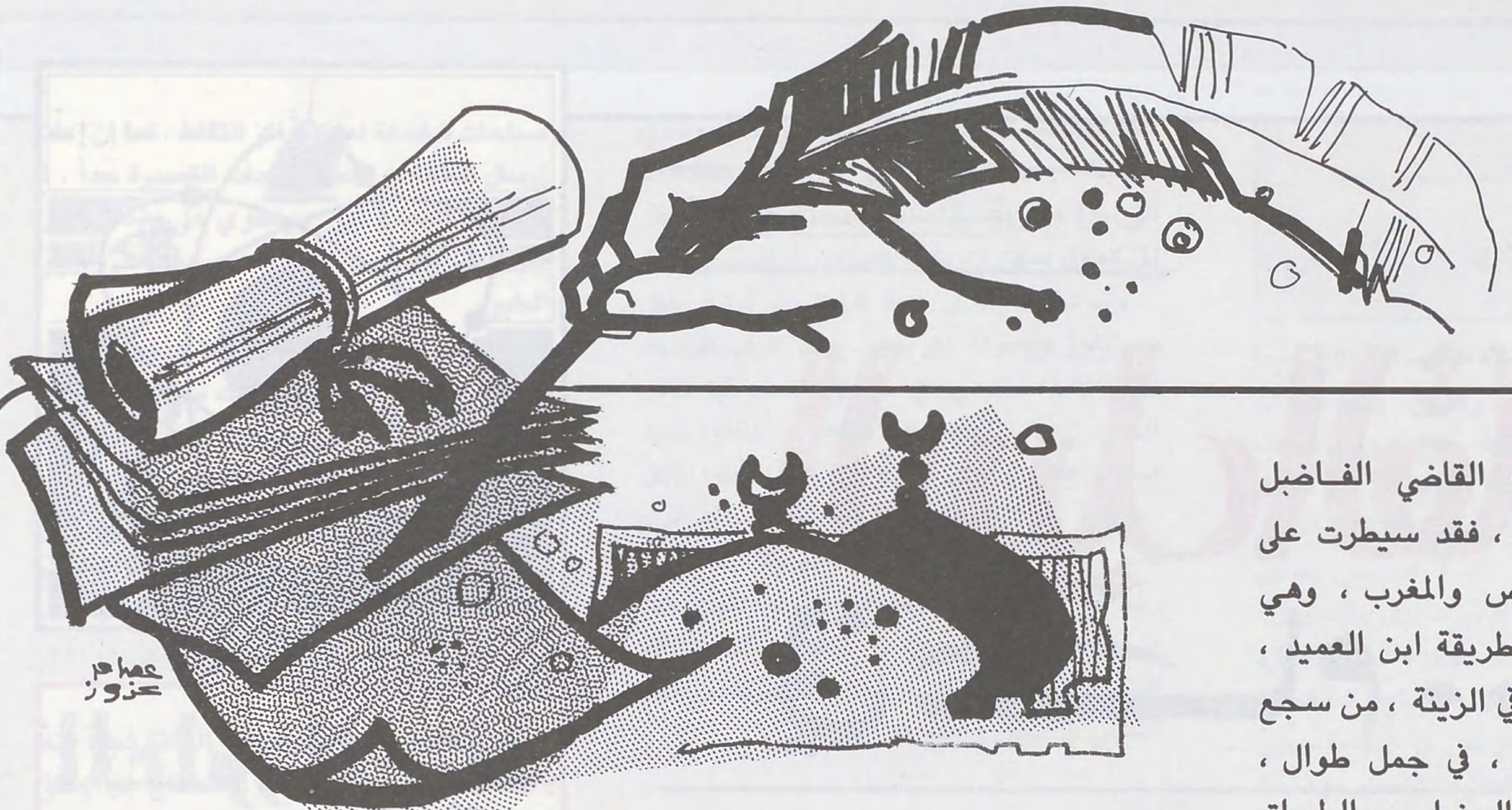

خلدون هي طريقة القاضي الفاضل المتوفى سنة ٥٩٦هـ ، فقد سيطرت على كتاب مصر والأندلس والمغرب ، وهي طريقة مؤسسة على طريقة ابن العميد ، وتزيد عليها المبالغة في الزينة ، من سجع ملتزم أكثره متكلف ، في جمل طوال ، وكلف بالتورية والجناس والطباق والتوجيه والاقتباس والتخمين .

وكان القاضي الفاضل يعتسف هذه المحسنات في نثره وفي شعره ، ثم كان تلاميذه المتأثرون بطريقته من بعده أقل منه اطلاعاً ، وأقصر باعاً ، فهبطوا بتكلفهم هبوطاً شنيعاً ، وربما سولت لبعضهم نفسه أن يبرز طريقة القاضي الفاضل بشحن البديع ، واستكراه الحلي اللفظية والمعنوية ، فحملوا نثرهم أثقالاً ظنوها لآلىء ، وهي في الحقيقة قواقع ، وكان من الطبيعي أن تلفظ الأفكار انفاسها تحت هذه الأثقال ، وأن تنوء الأساليب بالضعف من هذه الأحمال .

وكان الدافع إلى ذلك سيطرة غريزة التقليد على الكتاب ، وظنهم أن طريقة القاضي الفاضل أسمى ما انتهت إليه الأقلام ، وشيء آخر أنهم كانوا فقراء في الثقافة العامة ، فلا تختلج في نفوسهم معان سامية ، أو أفكار راقية ، فعمدوا إلى تمويه هذا الضعف بستار وطلاء من الزخارف ، على أن نقاد العصر كانوا كلفين بالطريقة الفاضلية ، فخضع الكتاب للنقاد وجاروهم في إعجابهم ، وانشأوا على الغرار الذي يرضيهم .

ولسنا ننتظر من كتاب ذلك العصر أن يخرجوا على نقاده ، ويثوروا على الطريقة العقيمة التي يكلفونهم احتذاءها ، لأن عصور الضعف لا تجود بعبقري إلا نادراً ، وقد كان هذا العبقري الجريء هو ابن خلدون . **فقد تحرر من قيود الطريقة التي وضعها معاصروه للكتابة ، فكان فذاً في عصره من حيث تفكيره الأدبي والمنهجي .**

خلدونيـــات :

فيما كتبناه لم نوف الموضوع حقه ، وهذا اعتراف منطقي لأن شخصية ابن خلدون تستحق البحث والتقصي أوسع مما تمت الإشارة إليه بهذا الخصوص ، والحقيقة أن إعطاء نظرة شمولية عن الفكر المنهجي عند صاحب المقدمة ، والعمل على تحليل جوانب العبقرية والنبوغ عند هذا المفكر ، عملية تستوجب الاستيعاب الكامل لعطاءاته ، في مجالات لها اتصالها بنشاطات الفرد والدولة والأسرة والمجتمع ، وبالتالي تحدد المعايير الأساسية لممارسة الحياة بشكل يتلاءم مع العمران البشري والاجتماع الإنساني في كل زمان ومكان مهما تطورت الممارسات .

إذن فالبناء لا بد له من قواعد وأسس ، وتلك هي المهمة الكبرى التي قام بها ابن خلدون رحمه الله .

وخلاصة القول أن هذا قليل جداً استخلصناه من كثير جداً لأن جلائل الأعمال وروائع الأفكار المنهجية الراسخة أعمق من أن تحشر في حديث قصير كهذا .. إلا أن لسان الحال يقول : **لا يدرك كله لا يترك جله .**

وفي الختـــام ...

إن الإلمام بدراسة جانب محدد من جوانب حياة زاخرة بالإبداع الفكري والعطاء الثقافي والعلمي ، كحياة فيلسوف العروبة والإسلام عبد الرحمن ابن خلدون ، مسألة تقتضي البحث المسهب في ذلك التراث الأصيل الذي تركه للأجيال هدية رائعة لا تقدر بثمن ، وهذا التراث هو حصيلة وثمرة جهاده طيلة حياته المليئة بجلائل الأعمال ، والتي عاش خلالها عمراً ناهز ٧٨ سنة إلى أن وافاه الأجل المحتوم سنة ١٤٠٦م .

والذي ينبغي التأكيد عليه هو أن هذا الرجل أمد الأجيال بذخيرة من ذخائر العلم والمعرفة ، تشكل في مجملها كنوزاً من المعارف التي فتحت أمام العلماء والباحثين آفاقاً متسعة النطاق في معرفة تاريخ الشعوب الإسلامية عموماً ، والمغربية والافريقية على الخصوص .

المـــراجع :

- فلاسفة الإسلام في المغرب العربي من منشورات جمعية نبراس الفكر ـ الطبعة الأولى ١٩٦١م .
- مجلة الفكر التونسية العدد [٦٦] السنة ٦ ١٩٦١م .
- مجلة المناهل المغربية العدد الاول نوفمبر ١٩٧٤م .
- افكار معاصرة الطبعة الثانية سلسلة كتاب الهلال .
- صفحات من امجادنا للأستاذ انور الجندي .
- مجلة التعاون الوطني المغربية ، انظر مقال لـ « منير الدكالي » رحمه الله .
- المصدر السابق نفسه ، انظر مقال للدكتور الحوفي .

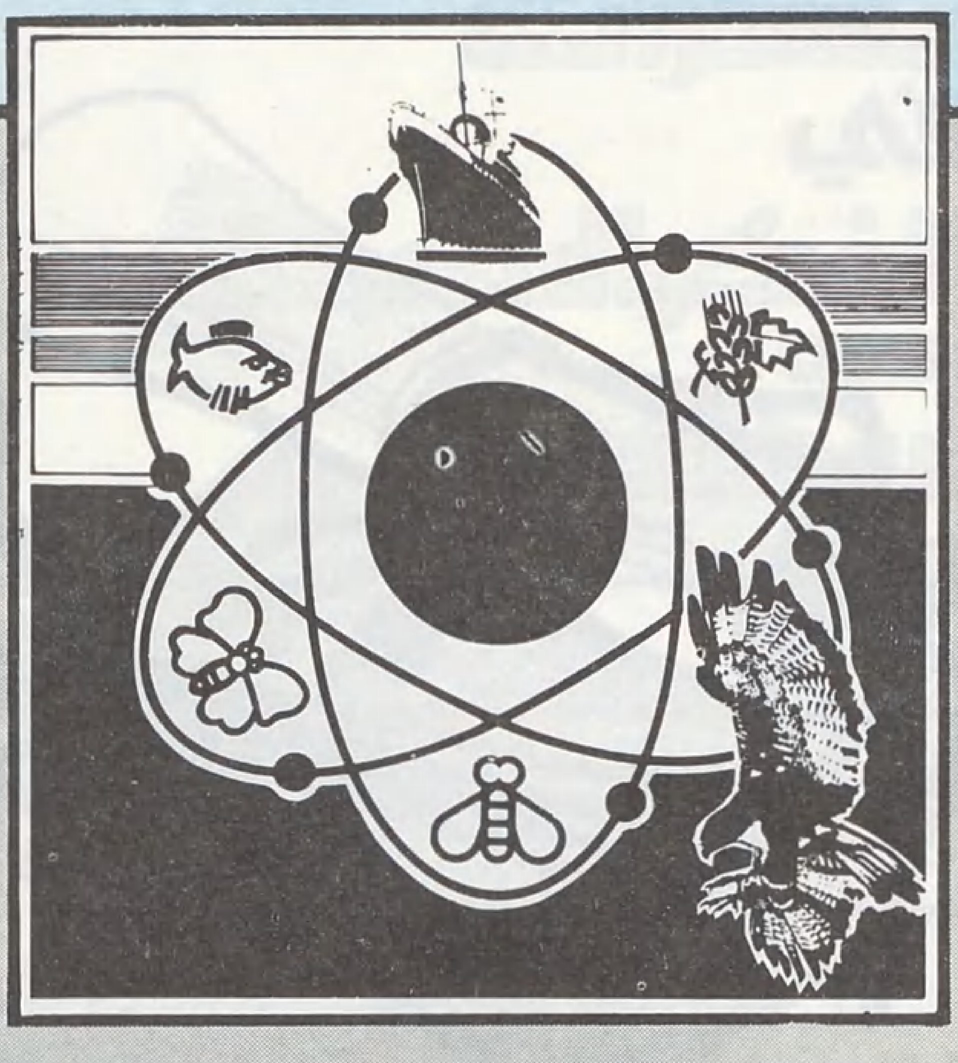

العلم والحياة

طاقـــة

البديل القادم في عــام ٢٠٠٠

بقلم د. نبيـل سليم

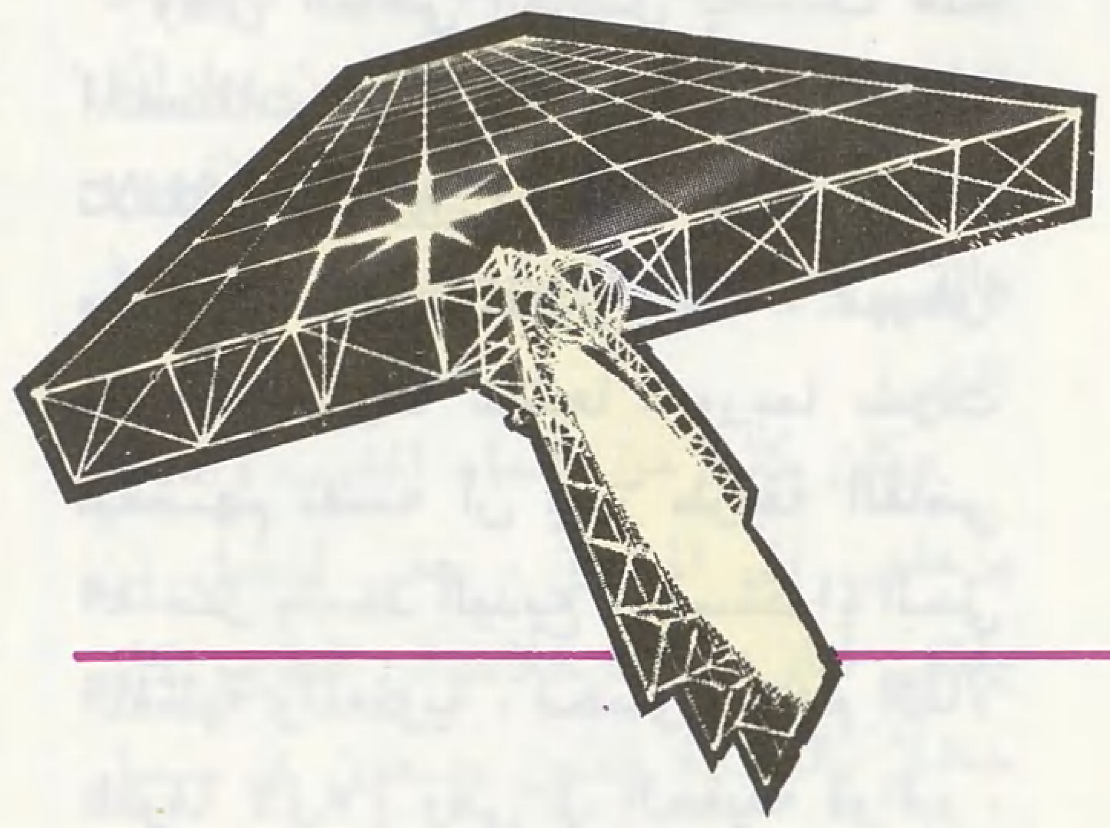

■■ تقول الآية الكريمة ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً ... ﴾ صدق الله العظيم .

إن الشمس التي خلقها الله لتكون ضياءً ومصدراً لإسعاد البشرية ، اصبحت اليوم الشغل الشاغل لعلماء العالم ، فقد اتفقوا جميعاً على أن الطاقة الشمسية حقيقة هامة لا يمكن تجاهلها ، ويؤكد العلماء أنه خلال العشر سنوات القادمة ، سيكون العصر هو عصر الشمس ■■

استخدام الطاقة الشمسية ..

ومن المؤكد انه بمرور الوقت سيكون استخدام الدول المتقدمة للطاقة في تزايد .. ولكن .. ولسوء الحظ ان معظم الدول النامية التي يقطنها اكثر من ثلث سكان العالم تفتقر إلى مخزون البترول او الفحم او اليورانيوم .. علماً بان هذه الدول تمتلك ضوء الشمس بوفرة ، والذي يمثل مصدراً جديداً للطاقة سوف تستخدمه الدول العربية حينما تبدا احتياطياتها من البترول في النفاد .

ويوجد حالياً نظامان يجري تطويرهما لتوليد الكهرباء من ضوء الشمس .. احدهما هو الفرن الشمسي الذي يماثل محطة القوى العادية ، ولكنه يختلف في انه يعتمد في تغذيته على الحرارة المركزة من الشمس بدلاً من البترول او الفحم ، اما النظام الآخر فهو البطارية او الخلية الشمسية (وتماثل العدسة المركبة كمقياس الضوء في الكاميرات الاتوماتيكية) لتحويل الشمس إلى كهرباء وهي الأكثر استخداماً وانتشاراً في دول أوروبا وامريكا .

التكاليـــف المطلوبـــة لأبحاث الطاقة واستغلالهـا ..

والحقيقة ان العقبة الكبرى في استغلال الطاقة الشمسية في البلاد النامية غير المصدرة للبترول رغم توفر الطاقة الشمسية لديها هي احتياجها لتكاليف كبيرة لاستغلالها ، لا تستطيعها هذه الدول ، ويقدر البروفيسور جورج لوف من جامعة ولاية كولورادو ـ وهو من المتحمسين الأوائل للطاقة الشمسية ـ احتياج الفرد منها بحوالي (٢٠) دولاراً ، وسيحتاج (٢٠) بليون فردٍ إلى (٤٠٠) بليون دولار .

ويثير هذا الموضوع سؤالاً هاماً في الدول النامية وهو : هل تعتمد هذه الدول على الدول الصناعية في تكنولوجيا الطاقة الشمسية ، مثلما اعتادت في تكنولوجيا طاقة الفحم النووية ام تعتمد على نفسها فقط ؟

لقد وقَّعت كثير من البلاد العربية والافريقية والآسيوية تعاقدات مع الدول المتقدمة التي انتجت محطات قوى صغيرة ومضخات تعمل بالطاقة الشمسية .

وتبلغ الميزانية المطلوبة لأبحاث الطاقة الشمسية جزءاً صغيراً مما يُصرف على ابحاث الطاقة النووية ، وشتان بين الطاقتين من حيث الأضرار .. فنحن نعلم المخاطر التي تترتب على إنتاج طاقة نووية على نطاق واسع خاصة الآثار البيئية . بل إن الضرر يتعدى ذلك إلى الأضرار الناشئة عن منتجات الانشطار المشعة ، والتلوث الحراري الناجم عن التبريد الشديد لمحطات القوى النووية .

ولعل هذه الصعوبات هي التي دفعت بالعديد من العلماء للتنويه منذ فترة بضرورة الاستفادة من مصدر او بديل متجدد ودائم على الأمد البعيد ليس له اي آثار جانبية ، واقصد بذلك الطاقة الشمسية .. النظيفة والاقتصادية

● شـكـل (١) ●

كمية الطاقـــة التي سنحصل عليها من الشمس

وتقدم لنا مصادر الطاقة الشمسية الآن ـ بما فيها ـ الطاقة الكهرومائية ، والريح ، والحطب ٦٪ من الطاقة التي نستهلكها ، اي حوالي ضعف ما نحصل عليه من الطاقة النووية . ولا نضلل انفسنا عندما نعتبر الريح وحرق الحطب جزءاً من الطاقة الشمسية ، لأن اشعة الشمس تسخن الهواء بدرجات متفاوتة فوق الجبال والسهول ، وفوق اليابسة والمحيطات ، فيقوم الهواء البارد بدفع الهواء الساخن مما يسبب الرياح ، اما الطاقة المختزنة في الحطب ، فلم تكن في البداية سوى اشعة الشمس التي التقطتها الأشجار بواسطة التمثيل الضوئي .

ومن العسير على العلماء التنبؤ بدقة بكمية الطاقة التي سنحصل عليها من الشمس مباشرة ، بالمقارنة مع المصادر غير المباشرة ، اما إذا كان ولا بد من التنبؤ ، فإنهم يتوقعون ان تكون القسمة مناصفة بين النوعين بحلول عام (٢٠٠٠م) .

وستستخدم معظم الطاقة الشمسية المباشرة في تدفئة المنازل والمباني ، وتسخين الماء وتجفيف الحبوب ، وتوفير الحرارة المنخفضة التي تحتاجها العمليات الصناعية ، اما معظم المصادر غير المباشرة فستوفر الكهرباء والوقود الكيميائي .

الاستثمار المباشر للطاقة الشمسية

وافضل استثمار مباشر اليوم في ميدان الطاقة الشمسية هو التصميم الشمسي السلبي ، اي ان يصمم المبنى بطريقة تتيح له استغلال اشعة الشمس التي تغمره افضل استغلال ، فتبنى المزيد من النوافذ الموجهة للجنوب ، ويركب فوق النوافذ من الخارج مظلات تقيها الشمس صيفاً ، ولكن وفق زاوية تتيح لأشعة الشمس ان تدخل شتاء ، وتركب ستائر ونوافذ عازلة ، وتصنع الهياكل والسقوف من مواد تعطي عزلاً حرارياً جيداً .

وتفتح تكنولوجيات الطاقة الشمسية امامنا العديد من الفرص الشيقة والمثيرة للبحث العلمي ، وتتركز الأنظار الآن على الخلايا الشمسية ، اي الخلايا الفلطية الضوئية التي تستطيع ان تركبها فوق سطح منزلك لتحول ضوء الشمس إلى كهرباء .

وتنخفض تكلفة هذه الخلايا بسرعة مذهلة ، فمنذ سبع سنوات كان الكيلواط الواحد المنتج خلال فترة الإنتاج القصوى يكلف مائتي دولار ، بينما يكلف اليوم حوالي خمسة دولارات ، ومن المتوقع ان تصبح الخلايا الشمسية منافساً اقتصادياً خطيراً لمصانع الكهرباء التقليدية المحدودة الإنتاج في غضون الخمس سنوات القادمة بصورة شبه اكيدة .

القمامة مصدر آخر للطاقة

وهناك تقدم آخر يبشر بالخير ، وينطوي على عمليات جديدة لتحويل مادة السليلوز الموجودة في القمامة ، وفضلات المنتجات الخشبية والفضلات الزراعية وسواها إلى سكر ، ومن ثم تحويل السكر إلى كحول يمكن ان يكمل البنزين او يحل محله .

وتستخدم إحدى هذه العمليات فطراً يأكل السليلوز ويحوله إلى سكر ، وقد عرف الجنود الذين كانوا يحاربون في المناطق الاستوائية خلال الحرب العالمية الثانية هذا الفطر ، واطلقوا عليه اسم « عفن الأدغال » .. وكان هذا العفن يأكل ثيابهم . اما الآن فقد اكتشف العلماء انه شيء ثمين .. إذ اصبحوا يتفاءلون بالوقود الكحولي ، رغم انه لم يتم تقدم علمي جديد ، او هام في هذا المجال . ولكنهم يؤكدون ان تكنولوجيات الطاقة الشمسية تستطيع الآن ان تنافس الكهرباء والنفط العالمي في مجال واسع من الأغراض .

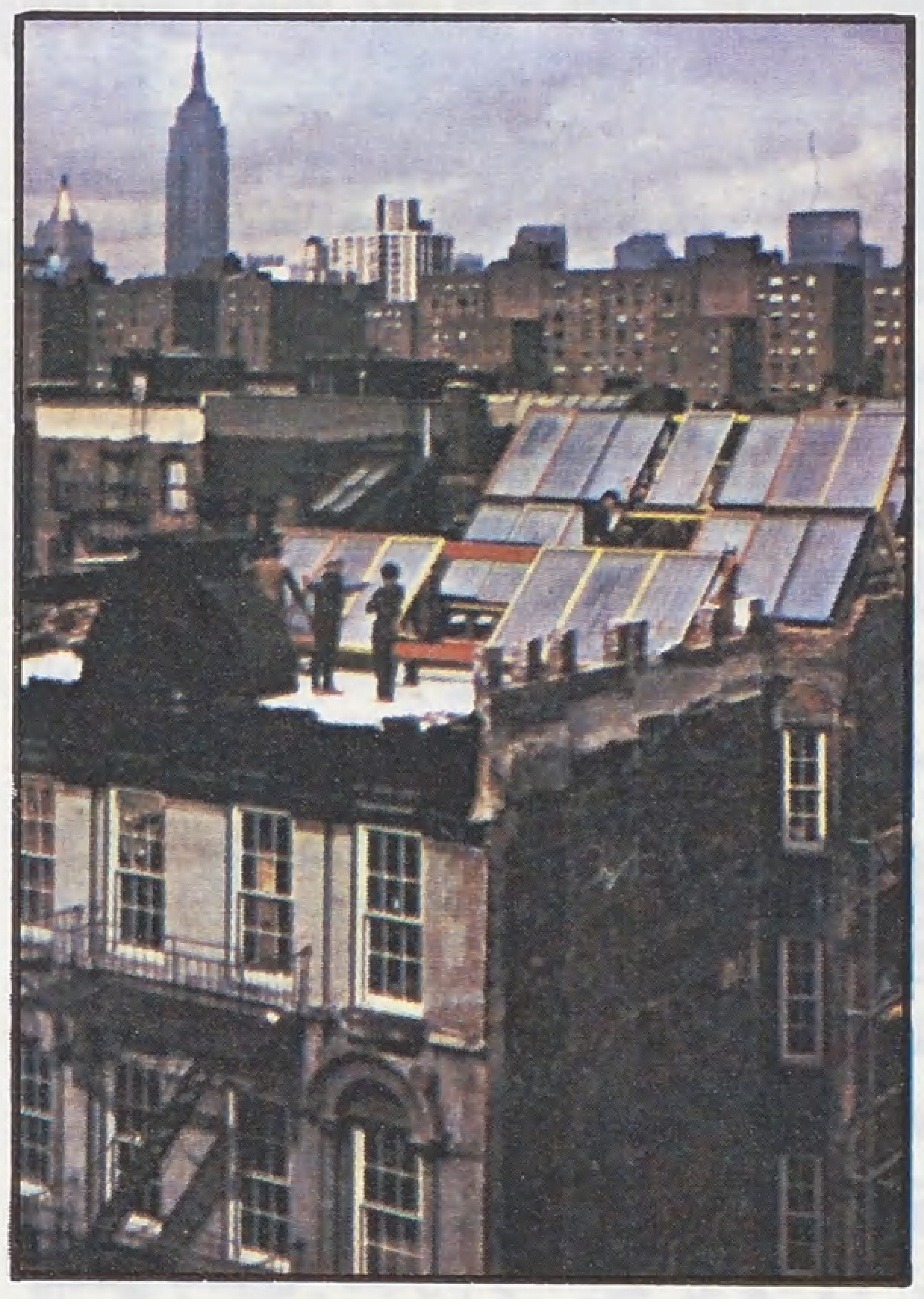

● شكل (٢) ●

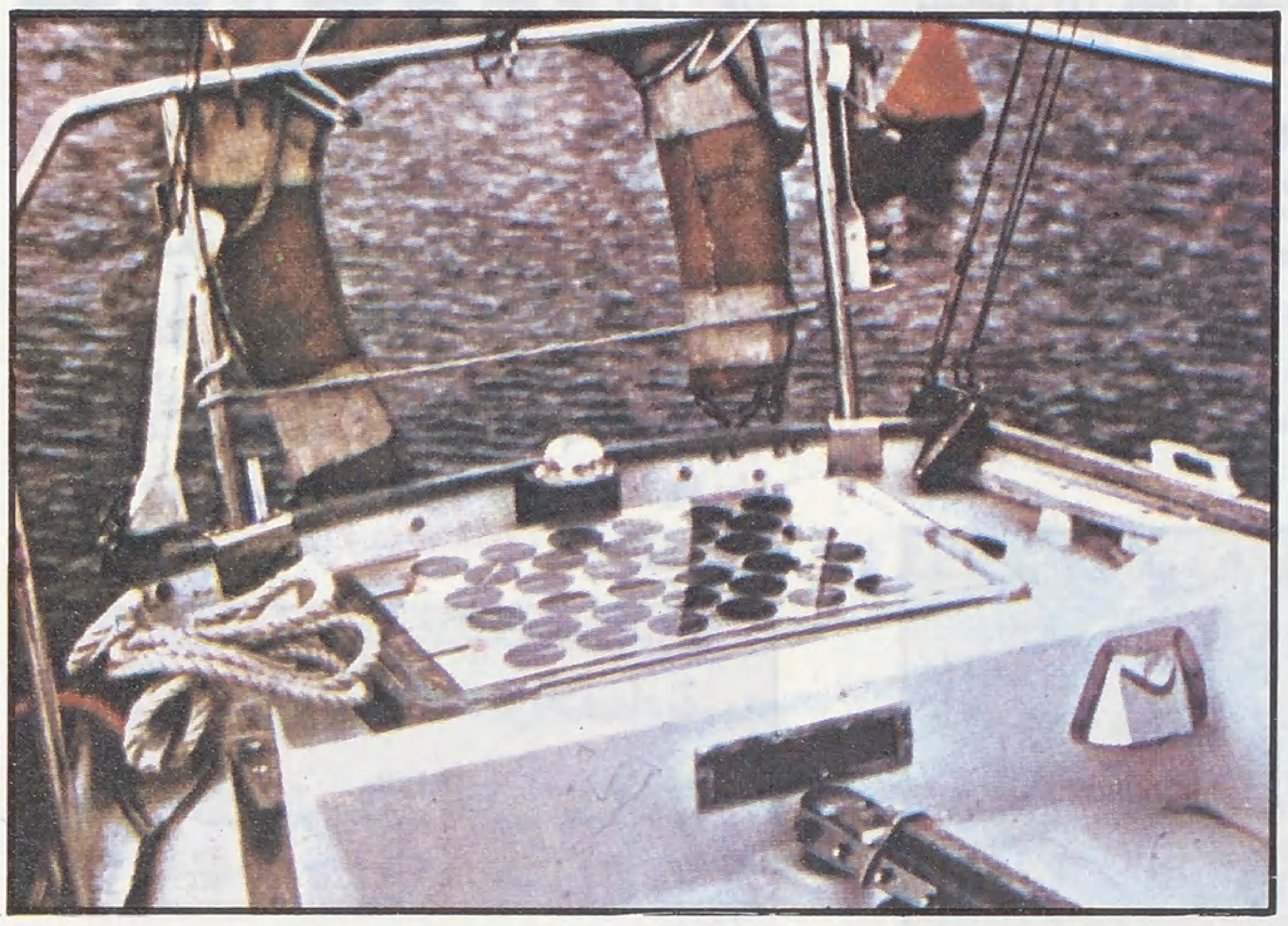

● شكل (٣) ●

المشامس الفضائية ..

ولا يجد العلماء في إطلاق مركبات فضائية مجهزة بأذرع عملاقة ـ تدور حول الأرض ، وتلتقط اشعة الشمس لتعيدها إلى الأرض على شكل كهرباء ـ اي داع لها ، إذ ان مثل هذه الأقمار الصناعية الشمسية ، او « المشامس الفضائية » لن تكون فعالة ؛ لأنها ستضطرنا إلى تخصيص مساحات شاسعة لبناء مراكز التقاط ، كما ان إعادة إرسال الطاقة بواسطة الموجات القصيرة جداً ، او بواسطة اشعة « ليزر » ، ينطوي على مشاكل كثيرة مثل اعتراض مسار الطائرات وربما حتى هجرة الطيور .

وما بالك لو اخطات تلك الأشعة هدفها ، وراحت تصيب مناطق اخرى ..؟ ثم إنك ستجد من الناس من يعترض على وجود حوالي (٢٠) جرماً مضيئاً كالقمر ، تسبح في الفضاء ، وتؤذي بصره كلما رفع عينيه إلى السماء . وفي هذا يقول دينيس هايس (مدير معهد ابحاث الطاقة الشمسية التابع للحكومة الأمريكية) : إن الميزة الهامة الوحيدة للمشمسة الفضائية هي انها تنتج الكهرباء (٢٤) ساعة في اليوم .

لكن الطلب على الكهرباء عند الثالثة فجراً مثلاً ينخفض كثيراً ، بحيث إننا لا نحتاج إلى إنفاق ثمانين الف مليون دولار ، لكي نحصل على الكهرباء من الفضاء .

الطاقة الشمسيـــة أفضل البدائل للبترول ..

لكن المشكلة ان معظم انواع الوقود التقليدية تتلقى دعماً كبيراً بشكل او بآخر ، ولكن اكبر عائق اقتصادي يقف في وجه الطاقة الشمسية هو ان المستهلك مضطر لدفع كامل تكاليف الانشاءات والمعدات اللازمة لإنتاج الطاقة الشمسية ، بينما يمكن توزيع تكاليف إنتاج الوقود التقليدي على فترة اطول بكثير .

وتستطيع الطاقة الشمسية ، رغم كل العوائق ان تنافس العديد من بدائل البترول ، ومن المتوقع ان تتراوح تكلفة إنتاج الوقود الصناعي من الفحم بين ٣٢ ـ ٤٠ دولاراً للبرميل الواحد ، بينما يتراوح سعر العديد من انواع الطاقة الشمسية بين ١٢ ـ ٢٥ دولاراً ، بما يعادل برميلاً واحداً .. وهكذا يتضح ان هذه البدائل ارخص انواع الوقود التقليدية .

ومن اكثر القضايا إثارة للجدل في حقل الطاقة الشمسية هو دخول شركات النفط الكبرى إلى ميدان الطاقة الشمسية ، فقد استحوذت عدة شركات نفطية على عدد من اسهم الشركات التي

العلم والحياة

تنتج الخلايا الفلطية الضوئية ، او على كامل تلك الأسهم ، خلال السنوات الماضية مما أثار الاعتراضات ، ويخشى الكثيرون ان تخفض شركات النفط من سرعة نمو استغلال الطاقة الشمسية لكي تحافظ على امتيازاتها في ميادين النفط والغاز والفحم الحجري واليورانيوم .

ولكن ذلك لا يقلق العلماء كثيراً حتى الآن ، لأن صناعة الخلايا الفلطية الضوئية تعتمد على عدد من الشركات الكبرى غير النفطية .

بدائل أخرى للطاقة . .

ويحتمل ان نحصل بتكاليف ارخص كثيراً على حاجتنا من الطاقة من السدود الهيدروليكية ، والمعامل التي تحول حرارة جوف الأرض إلى كهرباء ، ومعامل الوقود البيولوجي ، والأجهزة التي تحول حرارة المحيطات وحركة امواجها وتياراتها إلى كهرباء .

وهناك تغييرات سوف تطرا على الصناعة والزراعة ، فلقد قامت الصناعة تقليدياً إلى جانب مصادر الطاقة الارخص ثمناً ، ولهذا السبب ستزحف الصناعة إلى المناطق الجرداء كالصحراء الغنية بالطاقة الشمسية لأن هذه المناطق ستتيح اكثر من غيرها استخدام الطاقة الشمسية استخداماً مباشراً ، وسوف تصبح الزراعة شبه مكتفية ذاتياً من الطاقة بعد عقد من الآن ، لأن المزارعين سيستخدمون بقايا محاصيلهم لإنتاج ما يكفي من الكحول لتسيير آلاتهم ومعداتهم .

كما يحتمل ان يستخدموا المشامس - اي اجهزة التقاط اشعة الشمس - لتدفئة منازلهم وتجفيف حبوبهم ، وستستخدم الريح لضخ المياه ، تماماً كما كانت عليه الحال قبل ان تتوفر الكهرباء الرخيصة ، لذلك ستصبح المزرعة مكاناً مختلفاً في غضون العشر سنوات القادمة .

تغيرات اجتماعية واقتصادية نتيجة تغير مصادر الطاقة

وسوف تشيد المباني التجارية والمنازل الجديدة ، وفقاً لتصميمات مشمسية ، لأن المنطق الاقتصادي يقضي بذلك ، بل إن الأنظمة الحكومية قد تنص عليها مستقبلاً .

وسوف يزداد عدد المنازل التي تركب اللاقطات الشمسية للتدفئة ، وتركب الخلايا الفلطية الضوئية لإنتاج الكهرباء ، وبدلاً من ان نلقي قمامتنا في البحر او ننقلها مائة ميل لنلقي بها في احد المناجم المكشوفة المهجورة ، سنستخلص منها المعادن والمواد البلاستيكية لنعيد استخدامها ، ونحرق السليلوز الذي تحتويه ، او نحوله إلى كحول ، اي اننا سنحول مزابلنا إلى نوع جديد من المناجم .

وسوف يقتني الناس سيارات صغيرة اقتصادية ، لكي يتنقلوا إلى اماكن عملهم ، ومع ارتفاع اسعار وقود المحركات يحتمل ان تبدأ الضواحي في الانكماش ، بدلاً من الاستمرار في التوسع وفق دوائر تتمركز حول المدن ، وستتوسع ضواحي المستقبل وفق دوائر تتمركز حول شبكات النقل الجماهيرية ، كما حدث في العديد من دول اوروبا .

إن حدوث مثل هذه التغييرات يتطلب بالضرورة حدوث تغيير في تفكير الناس ، فلا شك ان الطاقة تؤثر على المواقف وتسهل حدوث تغييرات اجتماعية كبرى ، فلو لم ينتقل العالم من الحطب والريح إلى الفحم الحجري ، لما حدثت الثورة الصناعية ، وعندما تحولنا من الفحم الحجري إلى البترول استطعنا ان نركب الطائرات والسيارات ونسكن الضواحي ، وهذا ما اعاد تشكيل الضواحي وفق انماط جديدة .

ويبدو الآن ان الطاقة تعيد تشكيل المجتمع وتغيير المواقف والسلوك ، ففي الخمسينيات كانت العائلة الأكثر احتراماً هي التي تملك اضخم سيارة ، اما اليوم ، ففي معظم انحاء امريكا واوروبا ، إذا كنت تملك اصغر سيارة ، فانت تحظى بافضل الاحترام والتقدير ، وترى الناس يتباهون الآن بطول المسافة التي تقطعها سياراتهم باللبتر الواحد .

وبدأ الناس يستيقظون ويفيقون ويدركون ان برميل النفط الذي بلغ ثمنه دولارين او اكثر قد اصبح من حكايات الأمس ، فينبغي لنا ان نتكيف مع الحقائق الجديدة . ولحسن الحظ ان الطاقة الشمسية قد اصبحت تقف على ساقيها وتثبت نجاحها على عتبة حقبة جديدة وفترة جديدة من الزعامة التكنولوجية العالمية .

أبحاث الطاقة الشمسية في البلاد العربية

وتوجد حالياً برامج لأبحاث الطاقة الشمسية في كل من السعودية ، الجزائر ، الكويت ، البحرين ، إيران ، العراق ، الأردن ، عمان ، مصر ، وفي اغلب هذه البلاد شبه الجرداء والتي تغمرها الشمس ، هناك اولوية لتطبيق هذه الأبحاث « لتعذيب » مياه البحر وتبريد المنازل مثلما فعلت الأردن بالتعاون مع المانيا الغربية في إقامة مشروع ضخم لتعذيب مياه البحر في العقبة ، وقد بدات المملكة العربية السعودية اهتمامها بهذا المشروع فانشات معهداً لأبحاث الطاقة الشمسية بالظهران تبلغ تكاليفه (٨٥) مليون دولار ، كما يجري المعهد الكويتي للأبحاث العلمية عمل دراسات تفصيلية عن إمكانية التطبيق العلمي للطاقة الشمسية ، وقد صرح مدير برنامج الطاقة الشمسية بالمعهد الكويتي بان الهدف الرئيس هو استغلال الطاقة الشمسية في التبريد والتدفئة على مستوى تجاري خلال ستة اعوام مع الاعتماد باقل قدر ممكن على المستلزمات المستوردة .

وجدير بالذكر انه في عام ١٩٥٥م وقعت مصر والهند اتفاقاً لأبحاث الطاقة الشمسية في وقت كان فيه بقية العالم ماخوذاً بالطاقة البترولية والنووية ، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل حقاً على بعد نظر الدولتين ، ولكن لم يكتب او يقدر النجاح لأول التصميمات التي تعمل لاستغلال الطاقة الشمسية فكانت سخرية المواطنين من العلماء العاملين في هذا المجال سبباً في توقف الدعوة لأبحاث الطاقة الشمسية في الدولتين .

لهذا فإن الطاقة الشمسية التي ينعم بها الوطن العربي كنز جديد يجب دراسته والاستفادة منه ، وهو ما يسعى إليه العالم اليوم بكل إصرار وتركيز شديدين للدخول في عصر الشمس ، وسننتظر حتى نرى إذا كان هذا سيؤدي إلى ما تتطلع إليه شعوب العالم حالياً من الاستقلال في الحصول على مصادر الطاقة أم لا ؟

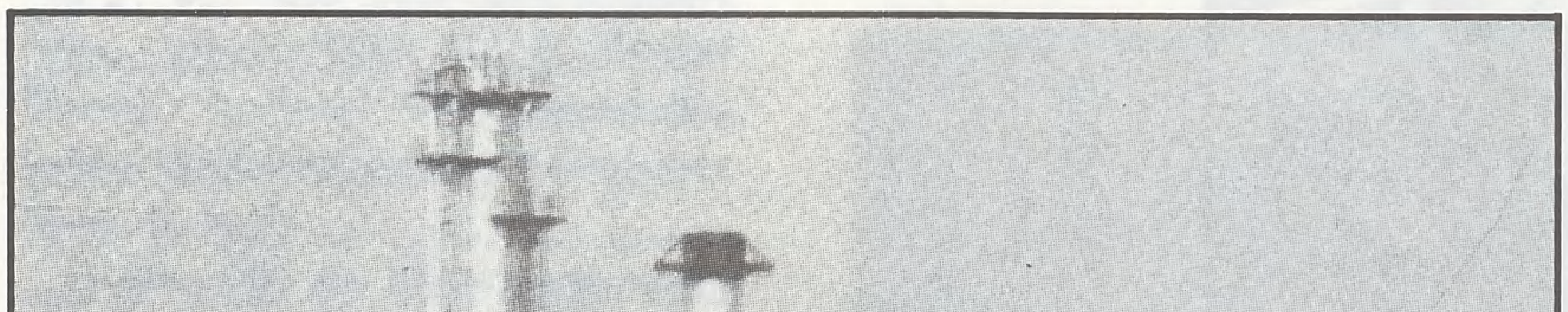

● من المنتظر ان يعتمد علاج بعض الأمراض الخطيرة على تطور هام حدث مؤخراً في تكنولوجيا الطب ، يتمثل في بالونات دقيقة جداً من البلاستيك يقوم استخدامها على أساس دفعها في الأوردة والشرايين حتى تصل إلى الموضع الذي يحتاج إلى العلاج ، حيث يمكن التحكم في موضعها بدقة بالغة عن طريق ملئها بمركب يبدو معتماً عند تعرضه للأشعة السينية ، وبذلك يسهل متابعة مسار البالونة على شاشة التلفزيون ..

وهناك الآن اتجاه متزايد لاستخدام هذه البالونات في إزالة انسدادات الشرايين التاجية ، ومعروف أن هذه الشرايين هي التي تمد عضلة القلب بالأوكسجين ، ويؤدي انسدادها إلى مرض القلب الذي يترتب عليه موت العضلة ...

ومن الاستخدامات الحديثة لهذا الأسلوب ايضاً إزالة انسدادات الأوعية الدموية في أسفل الساق ، حيث تحدث غالباً الجلطات الدموية ، مؤدية إلى مشكلات صحية خطيرة ...

وقد بدأ بالفعل استخدام البالونات الدقيقة في توسيع الشرايين التي تحمل الدم إلى الكليتين وغيرهما من الأعضاء كما يتزايد استخدام البالونات في

وسيلة جديدة

لنقل العقاقير إلى الخلايا مباشرة ...

العمليات التي تتطلب إغلاق الأوعية الدموية .. مثل العمليات التي تجرى لعلاج حالات اندفاع الدم خلال الرأس بسرعة كبيرة نتيجة وجود بعض وصلات غير طبيعية بين الشرايين والأوردة ، وبالإضافة إلى المشكلات الصحية التي تنتج عن هذه الحالة ، فإنها تسبب ضيقاً لصاحبها ـ الذي قد يسمع صوت اندفاع الدم في رأسه بصورة مستمرة ، وعلاج هذه الجراحة صعب وخطير ، بينما يمكن إدخال البالونات بصورة دقيقة ومأمونة إلى الموضع الذي حدث فيه اتصال غير طبيعي بين الوريد والشريان ..

ويفيد هذا الأسلوب في عمليات علاج بعض انواع السرطان حيث يمكن سد الأوعية الدموية المؤدية إلى الورم وإدخال العقاقير شديدة الفعالية إلى خلايا الأورام السرطانية على وجه التحديد دون غيرها من الخلايا السليمة ، الأمر الذي يعني تحسناً كبيراً في معالجة بعض انواع السرطان ..

ومن الأسباب التي ترجح اعتقاد الدوائر الطبية المتخصصة بزيادة الإقبال على العلاج بهذه البالونات الدقيقة ، أن استخدامها لا يتطلب تخديراً كلياً للمرضى .

الـدواء .. والأخـلاق !

تتعرض منظمة الصحة العالمية لضغوط مختلفة من اجل وضع ميثاق اخلاقي دولي لصناعة الدواء . الدول النامية تضغط لوضع هذا الميثاق الذي ينظم عمليات شركات الدواء العالمية . ولكن منظمة الصحة العالمية تتحاشى الضغط على هذه الشركات لحاجتها إلى تعاونها في مجالات أخرى ، كما ان عدداً من الدول الأعضاء تعارض اي ميثاق إجباري ، وتهدد في حالة فرض مثل هذا الميثاق بسحب مساهمتها في ميزانية منظمة الصحة العالمية .

الدول النامية قلقة من ممارسات شركات الأدوية في الدول المتقدمة مثل الولايات المتحدة . وتشمل هذه الممارسات :

* إنتاج وتطوير ادوية غير مناسبة وغير مرغوب فيها .
* تشجيع وصف عدد كبير من الأدوية للمرضى .
* زيادة اسعار الدواء في الدول النامية عدة مرات عن سعره في الدول المتقدمة .

وكانت الرابطة الدولية لشركات الأدوية قد اقترحت ميثاقاً طوعياً ، وذلك لتجنب الأزمة التي يمكن ان يحدثها إقرار ميثاق إجباري . وبموجب الميثاق الطوعي تلتزم الشركات بعدم ترويج اي دواء قبل الموافقة على استعماله ، وكذلك التعريف بالآثار الجانبية او المضادة التي يمكن أن تنتج عن استخدامه . كما تلتزم بان يكون الممثلون الطبيون للشركات مدربون تدريباً جيداً وعلى معرفة علمية مناسبة .

ولكن هذا الميثاق تعرض لانتقادات من الدول المستهلكة للدواء لأن بنوده عامة قابلة لأكثر من تفسير ، ولأنه غير ملزم للشركات ، ولا يتضمن عقوبات على منتهكيه .

الولايات المتحدة وست دول غربية ، تسيطر على ٧٥٪ من صناعة الدواء في العالم ، هددت بسحب مساهمتها في ميزانية منظمة الصحة العالمية إذا تم التوصل إلى إقرار ميثاق إجباري .

وفي المقابل عرضت الرابطة الدولية لشركات الأدوية توفير الأدوية الأساسية للعالم الثالث باسعار « غير تجارية » .

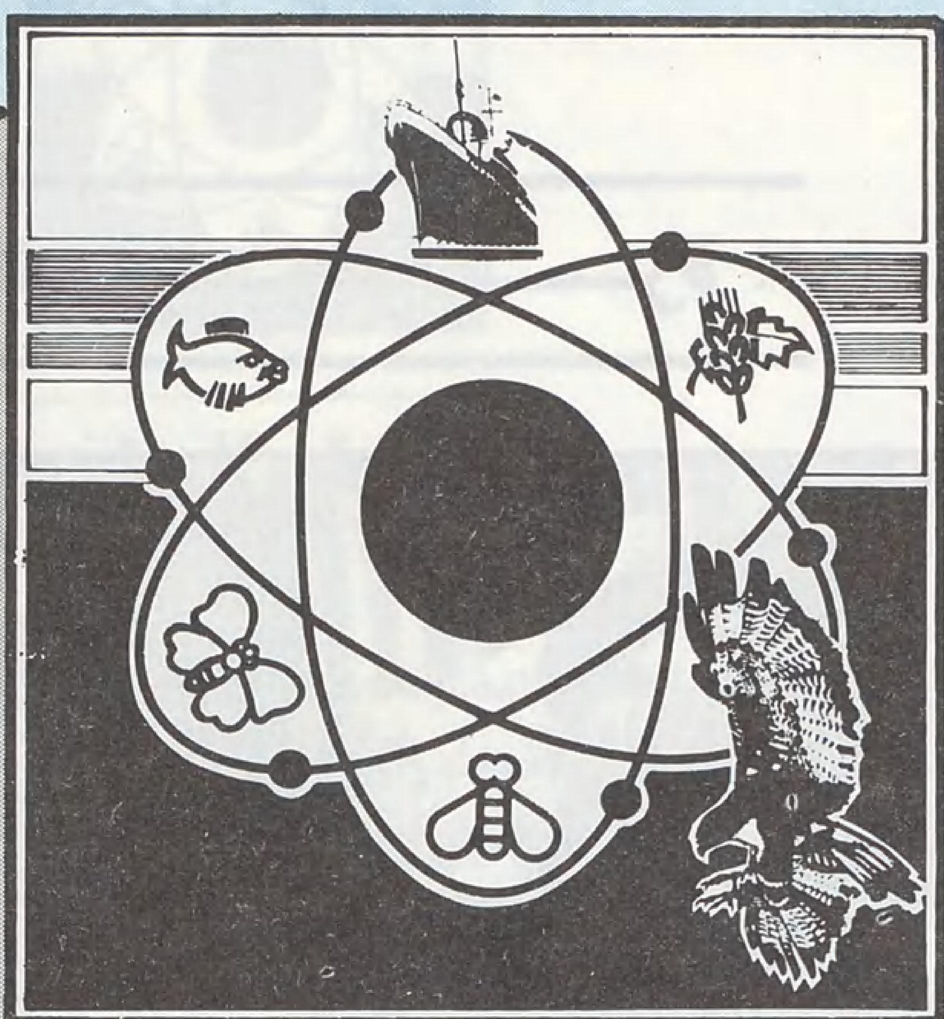

العلم والحياة

عجائب المخلوقات

الصحراء نباتاتها

■■ رغم الجفاف إلا أن المناطق الصحراوية وما يجاورها تتيح الفرصة لنمو أنواع من النباتات ؛ وأقل الصحارىٰ نباتاً هي الصحراء الحجرية والفخارية ، إما الصحراء الرملية ففيها عادة عدة أنواع من النباتات ، ويستثنى من ذلك الكثبان المتحركة ، وحيث يكثر النبات يكثر الحيوان ، والحقيقة أنه بإمكان الحيوان الذي يعيش في الصحارىٰ القاحلة أن يتغذى على العشب الجاف والأوراق التي نقلتها الرياح من مناطق بعيدة ■■

نبات الصحراء قصير الأجل

يعتمد نوع النبات على المطر والتربة ، ونوع التربة يعتمد على الصخرة الأم التي تفتَّتت إلى تراب ، لذلك هناك عدة أنواع من النباتات حتى في الصحارىٰ ذات المناخ الواحد ...

طبعاً **موسم الإزهار في الصحراء قصير ،** خلال أيام من نزول المطر تخضرّ الرمال وتنبت الأعشاب والنباتات الصغيرة التي لا تزيد دورة حياتها على أسابيع قليلة ؛ **خلال هذه المدة القصيرة تتحول البذور إلى نباتات تزهر وتنتج بذوراً جديدة قبل ان تجف الأرض ثانية** ويموت النبات .

تشهد صحراء أمريكا الشمالية فترة من الجمال الوحشي خلال فصل الإزهار القصير ، تكتسي الصحراء في ذلك الموسم ألواناً رائعة : بيضاء ، وخضراء ، وصفراء ، وأرجوانية .

وفي تونس تكتسي الصحراء لون اللبلاب الأزرق ولون الهندباء الأصفر والبيقة الحمراء . بينما في صحراء استراليا لا نجد غير الأعشاب .

في صحراء « كولورادو » و « موجافي » في أمريكا الشمالية ينزل المطر عادة مرتين خلال العام : في الصيف والشتاء . وفي كل مرة تظهر نباتات تختلف عن نباتات المرة السالفة ، نباتات مطر الصيف أقصر عمراً من نباتات مطر الشتاء ، وبذور النباتات الصيفية لا تتكاثر أثناء فصل الشتاء بل تبقى هامدة حتى الصيف القادم ، وقد دلَّت التجارب على أن هذه البذور لا تتكاثر إلا في درجة حرارة فوق (٢٠ درجة مئوية) بينما بذور نباتات الشتاء تتكاثر في ظل درجة حرارة أقل .

في صحراء النقب الفلسطينية نوعان من النباتات الحولية :

نباتات شتوية تكمل دورة حياتها في فصل الشتاء . ونباتات صيفية تمتد دورة حياة بعضها حتي الخريف .

بذور بعض النّباتات تحمل ملحاً يمنع التكاثر حتى يغسل بماء المطر .

هناك نباتات قصيرة العمر لا تتحمل الجفاف ، وتنتج بذوراً سريعة الانتشار ، بعضها له شوك يجعله يلتصق بالحيوانات التي

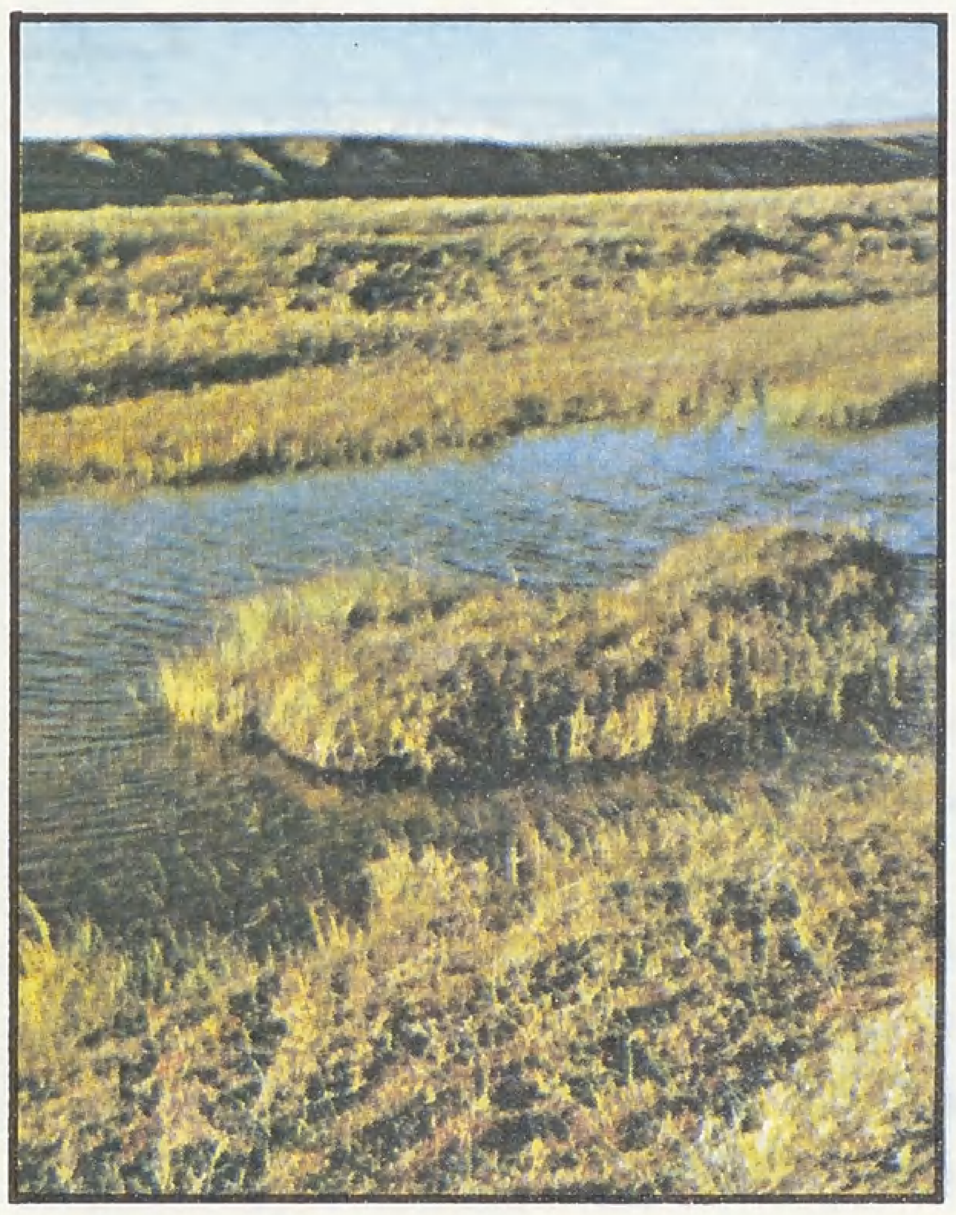

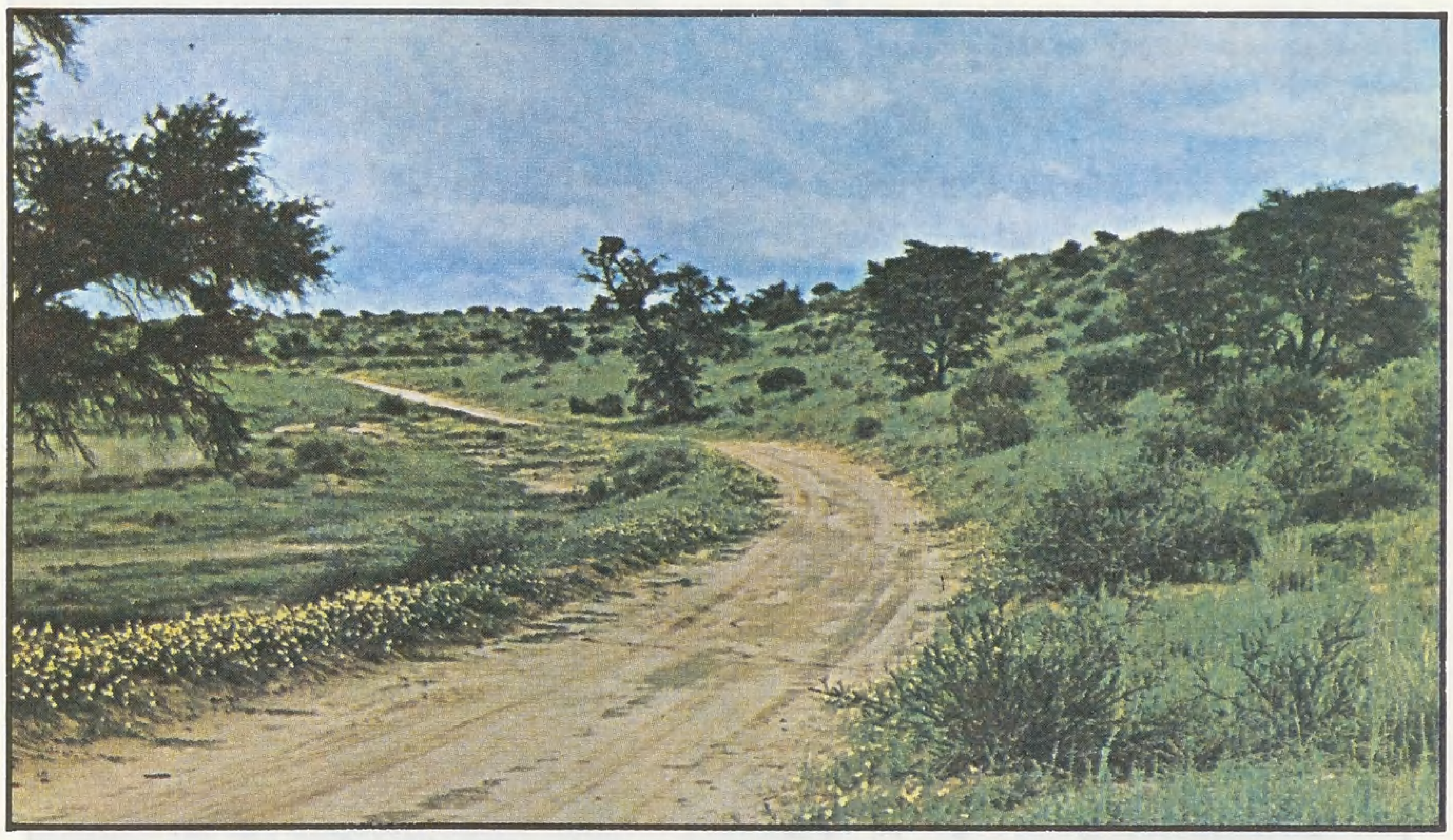

● بعد موسم امطار غير عادي ... اخضرَّت الصحراء باعشاب كثيرة ونبتت خضراوات ●

تنقله إلى مناطق بعيدة ؛ وبعض تلك البذور تتجمع مكونة شكلاً كروياً تذروه الرياح .

كذلك فإن ثمر بعض النباتات الصحراوية ينتقل مسافات بعيدة ، إلى أن يلتصق بمكان صلب ، وما يلبث أن يدفن بالرمال التي تذروها الرياح ، فإذا هطل المطر وتجمع حيث دفن ذلك الثمر تكون هناك فرصة مناسبة للتكاثر .

من النباتات الصحراوية المعروفة ، **زهرة اريحا** ، في بداية الصيف الحار تنضج ثمارها ، وتسقط أوراقها ، بينما تتضام اغصانها الجافة مشكلة سلة كروية الشكل تحمي أكياس البذور إلى أن ينتهي فصل الصيف وتعود الأغصان إلى شكلها السابق ؛ ويبدأ عندئذ تطاير البذور وتكاثرها .

نبات صحراوي معمِّر . . .

النباتات المعمِّرة في الصحراء خاصة الشجيرات الصحراوية ، تستطيع اجتياز اشهر الجفاف دون ان تموت ، بعضها تجف أوراقه تماماً في فصل الصيف ولكنه يستعيد الحياة وينمو مع هطول المطر .

ولكن كثيراً من نباتات الصحراء لا تستطيع ذلك ، وبدلاً منه فإنها تقاوم الجفاف بحماية نفسها من التبخر فتبقى رطبة ، وعادة ما تكون اوراقها مغطاة بالشمع الذي يمنع الماء من التبخر عبرها ؛ وبعضها مكسو بأهداب وأشواك لا تخفف من معدل التبخر فحسب بل تعكس أشعة الشمس ايضاً فتخفف من وقع الحرارة .

كثيرة هي الأشجار التي تسقط أوراقها مع بداية فصل الجفاف ، بينما هناك نباتات ، مثل : الصبَّار بلا أوراق أصلاً ، وهناك نباتات أخرى ذات أوراق صغيرة ؛ أما أوراق الأعشاب فعادة ما تكون اسطوانية الشكل كثيرة المسام التي تسمح بمرور الهواء .

أوراق شجر الأقاقيا (السنط والصمغ العربي) تنطوي ليلاً مما يقلل تبخر الماء في وقت لا يحتاج فيه النبات إلى ترطيب نفسه .

معظم النباتات الصحراوية لها جذور تضرب بعيداً في الأرض ؛ نبات السنط والمسكيت له جذور على عمق (١٥) متراً أو يزيد ، وهذا يتيح للنبات أن يصل إلى رطوبة بعيدة عن سطح التربة ، وفي المقابل هناك شبكات من الجذور القصيرة تلتقط الماء عندما يسقط من السماء .

في الصحارى الشاطئية الباردة يفيد النبات من الضباب والندى الذي يتجمع ليلاً على الأوراق والسيقان ، كما تلتقطه الجذور القصيرة عندما يتحول إلى ماء يسقط على الأرض .

نبات السوسن والرفيف والزنبق يحافظ على نفسه بالتحول إلى بصيلات وجذور هامدة اثناء فصل الجفاف ، ما تلبث ان تنشط سيقانها وأوراقها وازهارها مع نزول المطر ، ولذلك فهي لا تحتاج إلى تخزين الماء ، لأنها لا تنشط إلا في فصل الشتاء .

على الرغم من ان الصبَّار واليَفْرْبيون (اليتوع) ذوا جذور قصيرة إلا ان باستطاعتهما تخزين كميات جيدة من الماء لاستخدامها اثناء فصل الجفاف ، وبسبب حجمهما الكبير وشكلهما المتضام فإن مساحة سطحيهما صغيرة مقارنة بحجميهما ...

والمعروف انه كلما كانت مساحة السطح صغيرة بالنسبة للحجم كان فقدان الماء بالتبخر اقل . ولو كان للصبار أوراق كثيرة وكانت المسافة بين أجزائه كبيرة لخسر من الماء مئات المرات اكثر مما يخسر الآن .

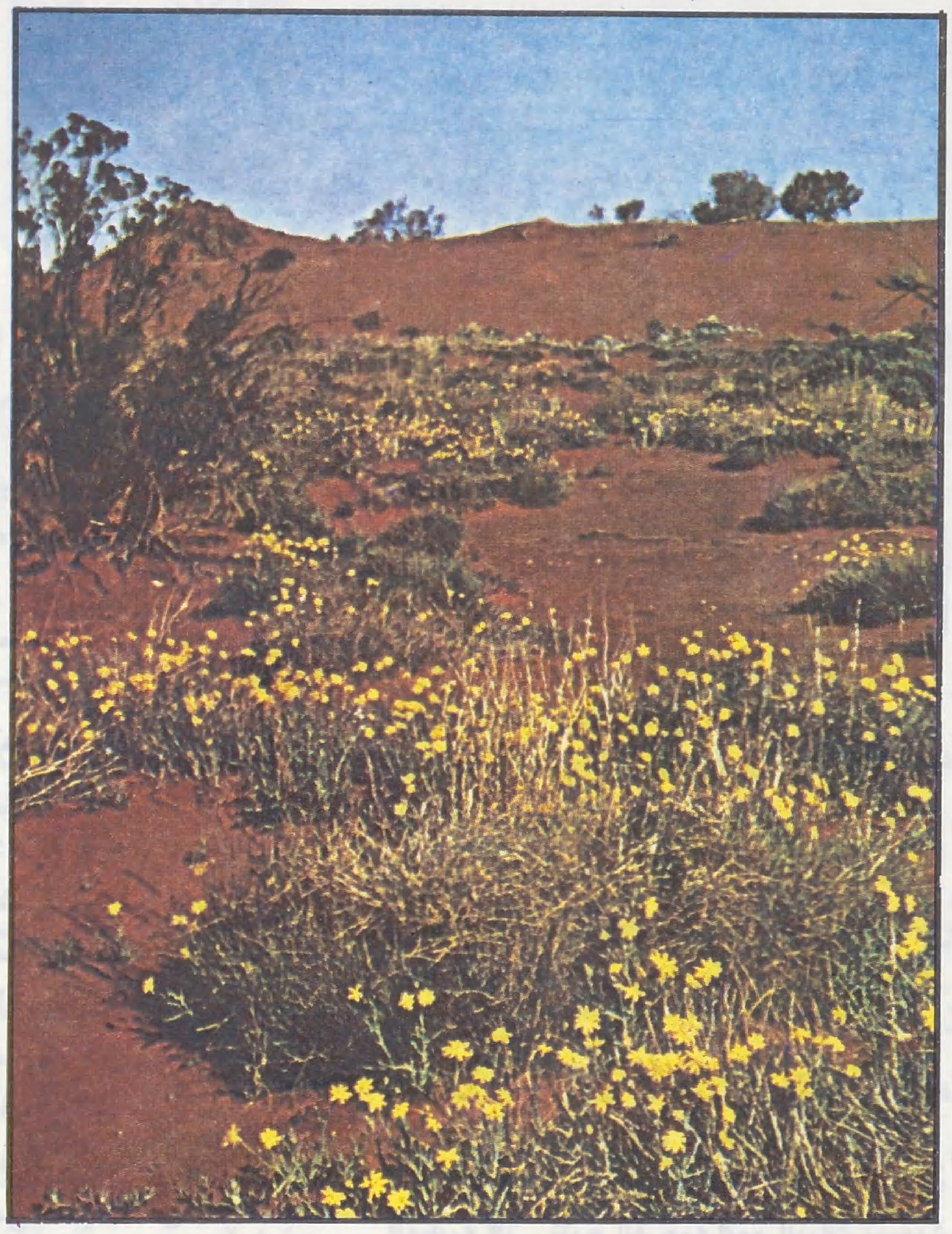

● ازهار في موسم الامطار ●

● شجيرات زينة انتعشت بعد نزول المطر ●

● ورد الصبَّار جميل جداً ●

في المكسيك واريزونا يتمدد شجر « الساجوارو » وصبار « كاندليرا » الضخم ذو الأغصان المثلمة ، والارتفاع الذي يصل إلى (١٨) متراً فوق سطح الأرض ، يتمدد ويتقلص مثل آلة « الاكورديون » حسب الفصول : صيفاً وشتاء .

النبات . . . والملح . .

النباتات الريانة (**كثيرة العصارة**) أو العصارية لا توجد فقط في الصحراء بل في المناطق ذات التربة المالحة مثل : الشواطىء ، وعلى الرغم من وجود كميات من المياه في هذه المناطق إلا ان تلك النباتات لا تستطيع

امتصاصها بسهولة بسبب ما تحتويه من كميات كبيرة من كلوريد الصوديوم (الملح) .

هناك نبات مثل « **الطرفاء** » يستطيع امتصاص الماء المالح عبر الجذور وتقليص الزائد من الملح عن طريق غدد خاصة على سطح الأوراق .

إن القدرة على النمو في المناطق المالحة لا يعتمد على مدى تركز الملح وحسب ، بل على نوع الملح أيضاً ؛ هناك أراض صحراوية تحتوي على « **كلورات الصوديوم** » التي تستخدم كمبيدات للأعشاب الضارة ، وفي مثل هذه التربة لا يمكن أن يعيش نبات ، بينما يستطيع الإنسان والحيوان شرب الماء الذي يحتوي على مثل هذا الملح دون ضرر .

من ناحية أخرى يستطيع النبات امتصاص الماء الذي يحتوي على كميات من سلفات المغنسيوم . أما « **الصودا** » فرغم أنها لا تؤذي النبات أكثر مما تفعل الأملاح الأخرى ، إلا أنها تخثر التربة التي تحتويها بحيث يتعذر وصول الماء والهواء إلى الجذور .

النبات يحافظ على نفسه !

معظم نباتات الصحراء وأشجارها ذات شوك حاد ، وهذا الشوك يحميها من الحيوانات التي تبحث عن الطعام ، هناك نباتات أخرى ذات نسغ مر المذاق مثل نبات « **السنامكي** » أو سام ، أو ذات رائحة كريهة تقتل الشهية .

كل تلك المنفرات هي بمثابة إجراءات لحماية ذاتها في بيئة تتميز بندرة الموارد .

هناك أشجار صحراوية مثل المر واللبان (البخور) تحتوي على مادة عطرية يستمتع بها البشر ولكنها منفرة للحشرات آكلة الأوراق ، وعادة ما تكون المادة العطرية غزيرة في بداية فصل الشتاء ، الحشرة الوحيدة التي تستمتع بهذه المادة هي **الجراد** حيث يصل به الاستمتاع درجة الإثارة الجنسية ، يضع **الجراد** بيضه مع نزول المطر ، وما يلبث أن يفقس ويتغذى على الأعشاب التي تظهر في فصل الشتاء وتختفي سريعاً .

النبات ... والماء ..

نباتات الصحراء ثلاثة أنواع بالنسبة لعلاقتها بالماء .

منها : نوع يكتفي بما ينزل من مطر أو حتى حبات الندى .

ومنها : نبات لا يستطيع العيش إلا حيث يتجمع المطر النازل في فصل الشتاء ، أو على حواف الأنهار ، وفي مثل هذه المناطق يمكن زراعة المحاصيل دون حاجة إلى نظام ري .

وهناك نوع ثالث ربما يعتمد على الماء الذي يأتي من خارج الصحراء ، كما هو الحال مع نباتات الواحات .

النبات القطبي ...

اما في الصحارى القطبية حيث الجليد الدائم فيكاد يكون نمو النبات مستحيلاً ، وتضطر الحيوانات للاعتماد على الأسماك للغذاء ، ولكن عندما يتفتت الجليد قليلاً في الصيف تنمو بعض النباتات ، أما الأشجار فلا تنمو إلا عند حواف الأنهار ، ومن النباتات القطبية : الطحالب والأشنة والخلنج والبتولا والصفصاف .

إن فترة الجليد الطويلة التي يعقبها موسم نمو قصير جداً لا يتيح الفرصة إلا لقليل من النباتات لتبقى على قيد الحياة ؛ وهذه المناطق القطبية التي تتيح الفرصة لنمو النبات تسمى « **التندرة** » وهي كلمة فنلندية تعني : **تل لا تغطيه الثلوج** ، وهي قليلة في القطب الجنوبي .

في صحراء القطب الجنوبي يوجد نوعان فقط من النباتات المزهرة .

معظم مناطق **التندرة** تخفي في باطنها كميات من الطحالب الميتة التي لا تتفتت بسبب تجمدها ، وحتى في فصل الصيف فإن الجليد هو فقط الذي يذوب وتبقى الطحالب متجمدة .

معظم النباتات القطبية تنتشر بشكل هائل في فصل الصيف القصير ، ولدى بذور النباتات القطبية قدرة هائلة على مقاومة الجليد ، كذلك فإنها تعمر طويلاً ، وبعضها يعيش آلاف السنين .

ومن الأشجار القطبية المعمرة شجر العرعر والراتينج (وكلاهما من الفصيلة الصنوبرية) ، وكذلك بعض الطحالب .

من ناحية أخرى فإن معظم النباتات القطبية تنمو بشكل كتل ، وتكون البراعم داخل ما يشبه الوردة لحمايتها من الرياح العاتية التي تعقب ذوبان الجليد ، وبعض هذه النباتات تجتاز فصل الجليد بأن تتحول إلى بصيلات أو جذور تحت الأرض .

وهناك عدد قليل من النباتات المثمرة التي تتغذى على ثمرها الطيور والثدييات القطبية مثل : **الدب** . وأوراق هذه النباتات ذات سطح شمعي يقلص التبخر مثل شبيهاتها في مناطق الصحراء الحارة .

● الأشنة نبات قطبي ينمو في الصيف القطبي ●

● حيوان الرنَّة يرعى على ضفاف الانهار خلال هجرته عبر آلاسكا الوسطى ●

فراق .. وأشواق

كَانُوا .. وكَانَ الْحُبُّ وَالأَمَلُ ... وتَفَرَّقُوا .. فَالدَّمْعُ يَنْهَمِلُ
بِالأَمْسِ وَلَّوْا عَنْ مَرَابِعِهِمْ ... وتشعَّبَتْ فِي الغُرْبَةِ السُّبُلُ
كُلُّ الأَحِبَّةِ هَاجَرُوا .. وَأَنَا ... وَحْدِي هُنَا .. تَنْتَابُنِي العِلَلُ
غُصَصُ التَّنَائِي حَرَّقَتْ كَبِدِي ... وَكَأَنَّهَا فِي مُهْجَتِي شُعَلُ
وَاحَرَّ قَلْبِي بَعْدَ غَيْبَتِهِمْ ... فِي أَيِّ أَرْضٍ يَا تُرَى نَزَلُوا ؟!
أَحْلَامِي الْخَضْرَاءُ قَدْ ذَبُلَتْ ... وَالرَّوْضُ يَلْوِي زَهْرَهُ الأَجَلُ
وَيَدَايَ تَرْتَعِشَانِ مِنْ وَهَنٍ ... وَشَبَابِيَ الْمَحْزُونُ يَكْتَهِلُ
أَطْيَافُهُمْ فِي الْبَيْتِ تَصْحَبُنِي ... وَتَحُفُّنِي النَّظَرَاتُ وَالْمُقَلُ
وَأُحِسُّهُمْ فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ ... ضَمَّتْ خَيَالَاتِ الأُلَى رَحَلُوا
وَأَشُمُّ أَثْوَاباً لَهُمْ تُرِكَتْ ... مِنْ أَدْمُعِي فِي طَيِّهَا بَلَلُ
الْمَوْقِدُ الْوَسْنَانُ سَهَّدَهُ ... طُولُ الفِرَاقِ .. وَآدَهُ المَلَلُ
وَشُجَيْرَةُ الزَّيْتُونِ مُطْرِقَةٌ ... وَالْمَقْعَدُ المَهْجُورُ .. يَبْتَهِلُ
وَمَلَاعِبُ الأَطْفَالِ مُوحِشَةٌ ... مِنْ بَعْدِهِمْ .. وَالسَّفْحُ وَالْجَبَلُ
الشَّوْقُ فِي الأَعْمَاقِ مُلْتَهِبٌ ... وَالْقَلْبُ يَنْكَأُ جُرْحَهُ الْوَجَلُ
فَمَتَى سَيَلْتَئِمُ الشَّتَاتُ .. مَتَى ... يَا رَبِّ جُرْحُ الْقَلْبِ يَنْدَمِلُ ؟!
وَيَؤُوبُ بَعْدَ الْبَيْنِ غَائِبُهُمْ ... وَبِعَوْدَةِ الأَحْبَابِ نَحْتَفِلُ !!
وَيَضُمُّنَا عِشٌّ نَهِيمُ بِهِ ... حُبّاً .. بِهِ الأَفْرَاحُ تَتَّصِلُ !!
فِيهِ الطُّفُولَةُ والصِّبَا دَرَجَا ... وَالْعَيْنُ بِالأَنْوَارِ تَكْتَحِلُ
الحُرُّ لَا يَنْسَى وَشَائِجَهُ ... أَبَداً .. إِذَا مَا النَّاسُ قَدْ غَفَلُوا
وَطَنُ الفَتَى أَغْلَى .. وَإِنْ عَذُبَتْ ... فِي غَيْرِهِ الأَمْوَاهُ وَالظُّلَلُ
وَإِذَا دَعَا الدَّاعِي لِنُصْرَتِهِ ... أَلْفَيْتَنَا كَالْبَرْقِ نَمْتَثِلُ

شعر : أحمد محمد الصديق

العالم الثالث

إلى أين؟!!

■■ عالمنا الذي نعيشه تتقاسمه تسميات واصطلاحات مختلفة .. فهذا العالم المتقدم الراقي ، وذاك العالم المتخلف .. النامي بتعبير أدق .. وهذه التقسيمات أسفرت عنها حقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية ..

ورغم التقدم العلمي الذي بلغته البشرية ، ورغم تقدم سبل الاتصال والتواصل بين الشعوب ، ونشوء المنظمات الدولية ، إلاّ أن الهوة تزداد بين العالمين المتقدم والمتأخر ، في جميع النواحي .. ومشاكل الدول النامية تتفاقم .. ولا يلوح في الأفق بريق أمل بانتعاشة شاملة ؛ فالفقر يزداد وبالتالي تزداد الأمراض وتتفشى الأمية والجهل ، والتقهقر الاجتماعي يرجع به إلى الخلف ..

« معظم البلدان النامية التي تستورد النفط والتي تضم الغالبية من فقراء العالم . تدهور اقتصادها إلى أدنى الدركات خلال العقد الماضي ، فالعجز في الحسابات الجارية المشتركة تضاعف إلى ثمانين مليار دولار خلال الفترة ما بين ١٩٧٨/ ١٩٧٩م . وتراكمت القروض الخارجية حتى تجاوزت أربعمائة مليار دولار .. وهبطت زيادة الإنتاج إلى أقل من أربعة بالمائة في السنة ، وساءت العلاقات التجارية بنسبة سبعة ونصف بالمائة بين ١٩٧٩/ ١٩٨٠م . كما تضاءلت قدرات التصدير والاستيراد لدى هذه الأمم »[1] ■■

بقلم : حمود عليمات

إنسان العالم الثالث ...

إن كل هذه الأمور تنعكس سلباً على إنسان العالم الثالث ، والمواطن هو الأساس في عملية التنمية ، وكما يقول الخبير الدولي (**فردريك هاريزون**) في دراسته للقوى العاملة في خمسة وسبعين بلداً : « **إن تقدمَ أي بلد يتعلق أساساً بتقدم سكانه فإذا لم يقدم هذا البلد الظروف الثقافية والبشرية الملائمة لسكانه فإنه لا يمكنه أن ينمو مادياً واقتصادياً وثقافياً وسياسياً** »[2] .

ورغم ما يقدم من مساعدات لدول العالم الثالث إلا أنها لا تؤدي ثمارها لأنها لم تعط لغاية نبيلة أو لأهداف سامية ، فهي مساعدات مغرضة هادفة ، وقد ثبت أنها تعطى لأهداف صريحة أو خفية تضر بالعالم الثالث أكثر مما تفيده ، فهي إما تمنح لأسباب سياسية كيما تدور الدولة الفقيرة في فلك الدولة الغنية ، أو لربط اقتصاد الدولة المستفيدة نهائياً باقتصاد الدولة المانحة ، أو تقدم بشكل معدات عسكرية ، ويشترط شراؤها من البلد نفسه ، **ويمكن القول إن هذه المساعدات المشبوهة تزيد من بؤس الشعوب بدلاً من أن ترفع مستواها والدول الغنية كما تقول صحيفة « تربيون » البريطانية في أحد أعدادها ليست مستعدة لأن ترفع حجم مساعداتها التنموية بل هي تتجه إلى حماية أسواقها من السلع المستوردة بأثمان بخسة من بلدان العالم الثالث** .

وكما ذكر **تقرير برانت** المنشور في **لوموند الفرنسية** بتاريخ ١٧ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٠م أنه « **رغم ستة آلاف اجتماع دولي من كل نوع يجرى كل سنة في مدينتي جنيف ونيويورك فإن الحماية (مبدأ الحماية في التجارة الدولية) تتزايد ، ومساعدة العالم الثالث تتناقص** .. إلا أن الغرب لن يعمل أبداً للعالم الثالث أكثر مما فعله لتركيا .. ثبت رأسها خارج الماء .. بل انه سوف يعمل بالتأكيد ما هو أقل »[3] ولنر نظرتهم لإنسان العالم الثالث وكيف يقومونه ويصنفونه وفي أي درجة يضعونه ، حتى نستطيع فهم المعاملة التي يلقاها هذا الإنسان ، ونستطيع أن نجد مبرراً لما يصدرونه من منتجات خطرة وأدوية ممنوعة وضارة للعالم الثالث ، وما يخططونه من مستقبل مظلم وواقع أليم لهذا العالم . يذكر **الدكتور حسان حتحوت** في مقالة في مجلة « **العربي** » ... انه كان في مؤتمر طبي في أمريكا .. وكان الأطباء الأمريكيون يشكون من ارتفاع قيمة أقساط التأمين ضد مخاطر المهنة .. حيث ان الطبيب معرّض للمقاضاة لأي خطأ يرتكبه .. وإذا حكم عليه فسيدفع التعويض بقيمة كبيرة للمريض .. هذه صورة ..

والأخرى أنه في إحدى جلسات المؤتمر تحدث طبيب آسيوي عن تجربة بلاده في تعقيم النساء ، وقد كانت التجربة ناجحة إلى درجة أن الأطباء كانوا أقل من المطلوب ، فإذا هم يدربون الممرضين للقيام بعملية التعقيم وهي ربط الأنابيب خلال فتحة صغيرة بالبطن .. ولشدة ضغط العمل كانوا لا يعقمون الأدوات .. وإنما يكتفون بغسلها بالماء والصابون[4] .

والمدهش كما يقول **الدكتور حسان** .. أن الأطباء الأمريكيين والأوروبيين .. قابلوا هذا الطبيب الآسيوي بعاصفة من التصفيق .. وتأمل قيمة الإنسان عندهم ورخصه في العالم الثالث بنظرهم .. هكذا

● تنبّهت السلطات الأمريكية إلى نوع من « بيجامات » الأطفال .. نزلت إلى الأسواق وثبت أن فيها مواد مسببة للسرطان تتسرب من الجلد ، فمنع تداولها فوراً .. وبعد هذا المنع قامت الشركة المنتجة بتصديرها إلى دول آسيا وأفريقيا ..

إذن .. أي خطأ بسيط يرتكبه الطبيب هناك يعاقب عليه ، أما أن **تجرى عمليات فتح بطن وتعقيم النساء على أيدي غير الأطباء وبأدوات ملوثة فهذا نَصْرٌ قومي يستحق التصفيق !!** ، وهذا ما لاحظه أحد عقلائهم روجيه جارودي : (أسلم وتسمى رجاء جارودي) حيث قال : « **لسنا في العالم السعيد بل في عالم الغاب حيث لا تسود في العلاقات إلا موازين القوى ... يطالبون بالحرية لبولونيا ، ويتغاضون عنها في فلسطين .. أقاموا الدنيا وأقعدوها ضد الجنرال ياروزلنسكي .. وهو لم يقدم على قتل شخص ، فيما لا يتورع بيغن عن قتل وجرح الآلاف من الفلسطينيين واللبنانيين .. هناك خبث ومكر في الموقف الغربي** »(٥) .

إنهم ينظرون إلى إنسان العالم الثالث وأغلبه من المسلمين نظرة الدون ، التخلف والاستغلال .. ينهبون خيرات بلاده ويمتصون مواردها الأولية ويعيدونها إليه مصنعة بأثمان باهظة ، ترهق كاهله وتعيق تقدمه ، وحتى المواد الأولية التي تشكل عماد اقتصاد الكثير من دول العالم الثالث انخفضت اسعارها وقل الطلب عليها ، وتزلزل اقتصاد هذه الدول خصوصاً التي تعتمد على عامل واحد في دخلها .

وبعد أن ألقينا نظرة سريعة على أحوال العالم الثالث ونظرة الغربيين لسكانه فإننا نقدم بعض التفصيل عما يصدرونه لنا من أدوية ممنوعة أو في طور التجارب أو مبيدات حشرية ضارة بالإنسان ، ومواد صناعية قليلة الجودة ، وسجائر ذات نسبة عالية من النيكوتين والقطران وغيره من المواد ذات الصلة بصحة الإنسان وحياته .. وبالله التوفيق .

الـــــدواء ...

جاء في الحديث الشريف : « **تَدَاوَوْا عِبَادَ الله فإن الله تعالى لم يضع داءً إلّا وضع له دواءً غير داء واحد ، الهرم** .. » .

هذا الحديث الشريف يحث على طلب العلاج واستعمال الدواء للتخلص بإذن الله من الأمراض ، ولا شك أن فيه دعوة للبحث عن دواء

● ينهبون خيرات العالم الثالث .. ويعيدونها إليه مصنعة بأثمان باهظة ●

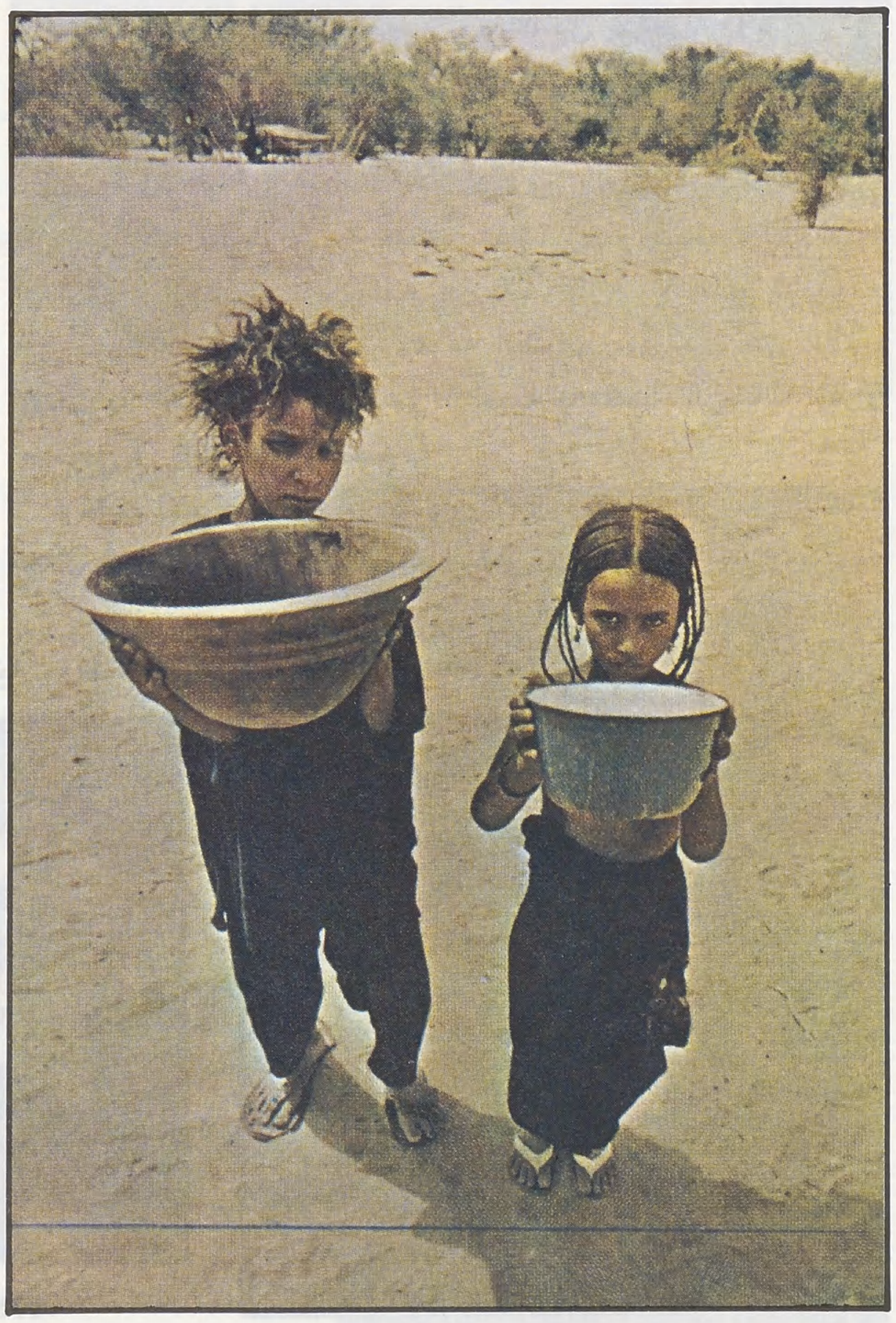

● المسكن الملائم غير المتوفر بمواصفاته الصحية يؤثر على صحة أطفال العالم الثالث .. ●

العالم الثالث
إلى أين؟!!

لكل داء باستثناء الهرم .

وفي دول العالم الثالث حيث الجهل والفقر وبالتالي المرض . تصبح الحاجة إلى الدواء ماسة جداً ، ولكن الواقع المؤلم أن معظم دول العالم الثالث تعتمد في شراء الدواء على استيراده من الدول الغربية ، حيث لا توجد صناعة للدواء بمعنى الكلمة .

« **ولقد كشفت الدراسات الميدانية أن أغلب ما يباع من دواء وغذاء صناعي لأطفال العالم الثالث هو من المستحضرات التافهة والمصنوعات غير المفيدة** »[٦] ، وهذا الموضوع أصبح مقلقاً إلى درجة أن منظمة الصحة العالمية باتت تحذر دول العالم الثالث من خطورة ذلك . وتحثها على وضع التشريعات اللازمة لتفادي تغرير الشركات الغربية وجشعها ، ولقد نشرت مجلة (**نيو افريكا**) مقالاً حول هذا الموضوع ، قالت[٧] .. **إن شركات الأدوية الدولية تصدر الأدوية المضرة الممنوعة إلى دول العالم الثالث ، وقد تم اكتشاف ذلك من حادثة وقعت في موزمبيق .. واختصار الحادثة ان سيدة تناولت دواء (سيبالجين) لآلام وصداع كانت تشكو منها ولم ينفعها ذلك ، فتناولت دواء آخر هو (كلوروكوين) لكن ذلك لم يساعدها وتطورت حالتها من سيء إلى أسوأ ، وتعفنت شفتاها وسقطت لثة أسنانها كلها ، وبدأت أسنانها بالسقوط .**

ثم نقلت إلى جوهانسبرغ في جنوب أفريقيا .. ووجد أن هناك بكتيريا غريبة وراء الالتهابات التي أدت إلى هبوط كريات الدم البيضاء ، وبعد أن تحسنت حالتها قليلاً بعد العلاج سألها الأطباء عن الأدوية التي استعملتها .. ولما وصلت إلى (سيبالجين) ... توقف الأطباء عن استجوابها .. **فإحدى المواد المكونة لهذا المهدىء (اميدوبيرن) ثبت أنها تسبب التهاباً قبل ٥٨ سنة** ، وكيف حصلت المرأة على الأدوية .. الحقيقة أن هذه الأدوية مخصصة للبيع في دول أمريكا اللاتينية مثل **السلفادور ونيكاراجوا ودول أخرى في العالم الثالث ، وفي أمريكا منع إعطاء مثل هذا المهدىء دون وصفة طبية سنة ١٩٣٨م ، ومنع في استراليا سنة ١٩٦٤م** ، وحذرت منه المجلة الطبية البريطانية في عددها الصادر في حزيران سنة ١٩٥٢م ، ومنع استعماله حيث إن أحد محتوياته (**اميروبيرن**) قد يؤدي إلى الموت كما ذكرت المجلة .

وتعتمد الشركات العالمية للأدوية في تصريف إنتاجها إلى استغلال الثغرات الموجودة في قوانين دول العالم الثالث الفقيرة . **فمثلاً في بنجلادش حيث قانون الدواء غير فعال وغير كافٍ وقد وضع منذ أكثر من أربعين سنة فقد قامت الشركات بإغراق السوق بادوية غير ضرورية بل مضرة ، وقامت بحملة دعائية شرسة ومركزة وهي تعلم أن السلطات لا تمنع ذلك .. والنتيجة الإقبال الشديد على استعمال الأدوية وتعاطيها دون مشورة الطبيب إن وجد .. وثبت مؤخراً أن أكثر من ثلث ما يدفع ثمناً للدواء يذهب هباءً ، فالأدوية ليست مفيدة فقط ، بل ضارة أحياناً ولم تقم الشركات بالتحذير من مخاطر أي دواء**[٨] .

ومنذ فترة قليلة قامت الحكومة في **بنجلادش** بوضع قانون جديد حول الأدوية ، وتكونت لجنة من الخبراء الوطنيين لتقييم الأدوية ، ومنع الضار منها ، وغير المفيد ، وتقييم الأسعار وما إلى ذلك ، وكما يقول المراقبون : إن نجحت **بنجلادش** في ذلك فستكون الدولة النامية الأولى التي تشرع في حماية شعبها من الهجمة الشرسة للاحتكارات العالمية ، وما تخافه الشركات أن تكون هذه الدولة قدوة ومثالاً يحتذى في هذا الإجراء لبقية الدول الفقيرة ..

والذي حصل بعد ذلك أن تعرضت الحكومة هناك إلى ضغوط من الحكومة الأمريكية ، وهي حامية شركاتها خارج بلدها كما تقول ، ونتج عن ذلك تخفيف الكثير من مواد القانون وتطويعه ، وإعطاء الشركات الفرصة لتصريف إنتاجها والتأقلم مع القانون الجديد ، ولولا ما نخشاه من إطالة الموضوع أكثر ، لذكرنا بعضاً من الملابسات حول هذا القانون ، ونكتفي بهذه الإشارة خوف الإطالة ، **وبالمناسبة فقد حاولت الشركات الأوروبية والبريطانية تصدير الأدوية التي منعت في بنجلادش إلى افريقيا**[٩] .

أغذيـة الأطفـال وبدائل حليب الأم ..

إن حليب الأم نعمة كبيرة من الله تعالى ، وفوائده الكبيرة سواء على الأم أو الطفل أو الزوج والعائلة لا تنكر ، وإن تجاهل الوظيفة الطبيعية للثديين يحدث اضطرابات في الصدر ، كما أن عدم استخدام الأم ثديها في إرضاع الطفل قد يؤدي للإصابة بالسرطان .. ويساعد الإرضاع على سرعة عودة الرحم إلى وضعه الطبيعي ، وتقويم ظهر الأم ، ونضجها الفسيولوجي والنفسي ، حيث يصاحب الرضاعة إفراز هرموني في كل أجزاء الجسم .

وحليب الأم غذاء كامل في الشهور الأولى ، وقد ثبت أن سوء التغذية خلال العام الأول للطفل ينتج عنه نقص الذكاء ، ولا يمكن معالجته

● الغربيون يطالبون بالحرية لبولونيا .. ويتغاضون عنها في فلسطين ...!!! ●

د . حسان حتحوت

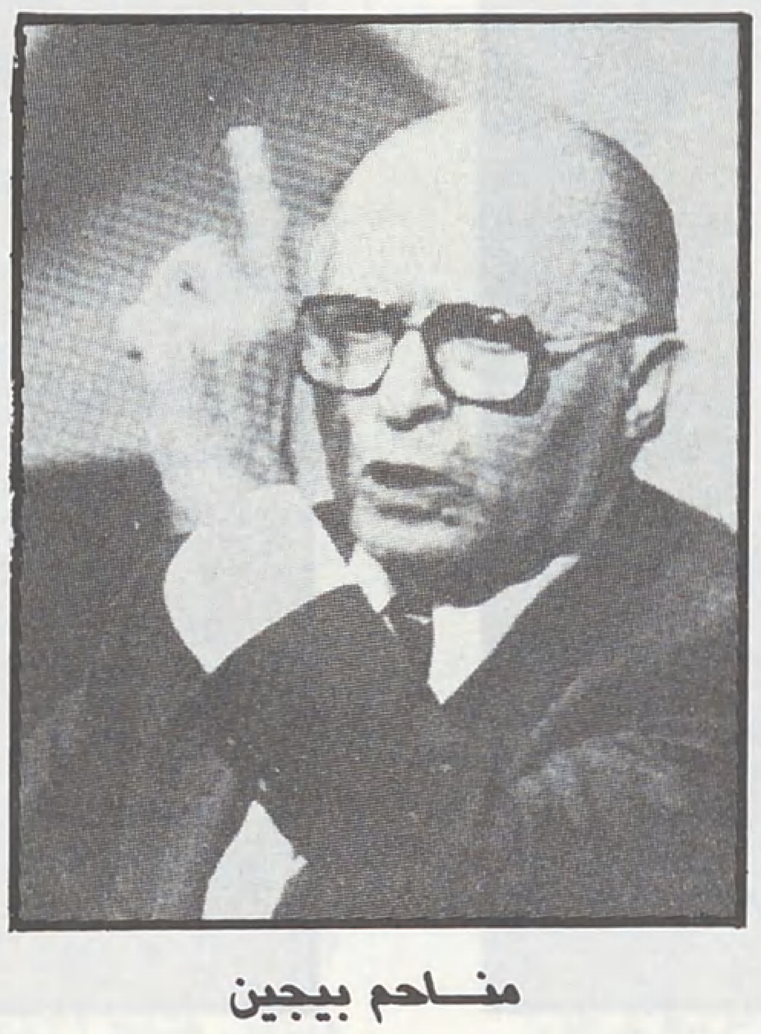

مناحم بيجين

ياروزليسكي

● **إن حوالي أربعمائة ألف شخص يتسممون سنوياً في البلدان النامية نتيجة الرش بالمبيدات في بيئتهم الطبيعية ، ويموت منهم ما لا يقل عن ألف شخص**

بالرغم من تحسن ظروف البيئة والتغذية فيما بعد .

وحليب الأم معقم تلقائياً ، ويحمي الطفل من الكثير من الأمراض والالتهابات ، ويعطيه المناعة ضد الأمراض المختلفة في بداية حياته ، وقد ثبت أن صدر الأم معمل وقائي ينتج المضادات الحيوية والعضوية بقدر حاجة الطفل ، **وقد ثبت أن الأم في فترة الرضاع والحمل وعندما تصاب بأمراض فإنها تبني المضادات الحيوية وتنقل بواسطة الأوعية إلى غدد الحليب وتمتزج به ، ويأخذها الطفل فتكون عنده المناعة دون الإصابة بالأمراض** ..

وقدم اكتشف الأطباء أن حليب الأم ليس نوعاً واحداً طوال مدة الرضاعة ، **فهو يتغير باختلاف حاجة الطفل ؛ فتزداد مواده حسب الحاجة وتنقص أخرى** ، فمثلاً : إذا كان بحاجة إلى تقوية العظام في الشهر الأول فإن نسبة الكلس تزداد تلقائياً وهكذا ، وسبحان الذي خلق كل شيء ثم هدى .

... ولكن للأسف ان أعداد الأمهات في دول العالم الثالث واللاتي لا يرضعن أطفالهن بحجج واهية وجهل مطبق تتزايد ، وكما يقول خبراء الصحة العالمية **فإن حوالي ٩٥ بالمائة من الأمهات قادرات على الإرضاع** .

وكما في الأدوية وسائر المنتجات الصناعية هناك هجمة أخرى من الشركات التي تصنع أغذية الأطفال والحليب ؛ وذلك لدفع الأمهات خصوصاً في العالم الثالث للاعتماد على إنتاجهم ، ويزينون ذلك بصور الأطفال الأصحاء والهدايا والعينات المجانية للأطباء ، والعمولات للبائعين ، والإعلانات الضخمة ... إلخ من وسائل الدعاية الرهيبة التي توجه الناس كيفما تشاء ؛ فيرضخون بكل سرور لما تمليه عليهم الاحتكارات العالمية .

وفي السنتين[1] الأخيرتين تقوم كل من **منظمة الصحة العالمية ، ومنظمة اليونسيف** بمحاولة إقناع دول العالم الثالث لوضع لوائح وقوانين صارمة تنظم عمليات تسويق منتجات الحليب ، وأغذية الأطفال وبدائل حليب الأم ، وقد وضعت منظمة الصحة العالمية نظاماً عالمياً لتحتذيه دول العالم الثالث ، ويكون قاعدة لأنظمة محلية مناسبة .

وقد أجازت منظمة الصحة العالمية القانون المذكور ، **وصوت إلى جانبه ١١٨ دولة ورفضته الولايات المتحدة** (وغابت ثلاث دول) .

وتعتقد منظمة **اليونسيف** أن أكثر من مليون طفل يتعرضون لمخاطر نتيجة سوء استعمال بدائل الحليب مثل خلطة بالماء الملوث ، واستعمال آنية وسخة ، والمهم تحضيره بأيدي أمهات جاهلات بأصول الصحة .

ومن المؤسف أن القليل من دول العالم الثالث قد وضعت تشريعات حازمة . فمن ١٥٧ دولة أعضاء في منظمة الصحة العالمية عشرون عندها تشريعات وقوانين منظمة .. وبضع دول فقط عندها إجراءات حازمة .

ومن المحزن والمضحك أن إحدى الدول الافريقية يعتمد قانونها الدوائي على ما وضعته الشركات بالدرجة الأولى ، وارتباطه هش بالمقاييس والشروط التي وضعتها منظمة الصحة العالمية .

وحبذا لو تقوم الدول المعنية بالاهتمام بهذا الأمر لتضع حداً لما تمارسه شركات الأدوية من دعايات جبارة ، مضللة ، وما تقدمه في السوق من إنتاج رديء يضر بالأطفال ، ولا يمنحهم الصحة كما يدعون ، وتثقل أعباء الأسر بتكاليف إضافية باهظة كبديل لحليب الأم ، وما يتطلبه ذلك من علاج للأمراض الكثيرة الناتجة ، وما يعنيه ذلك من إرهاق لخزينة الدول الفقيرة ، وكان من الممكن تفادي هذه المشكلة

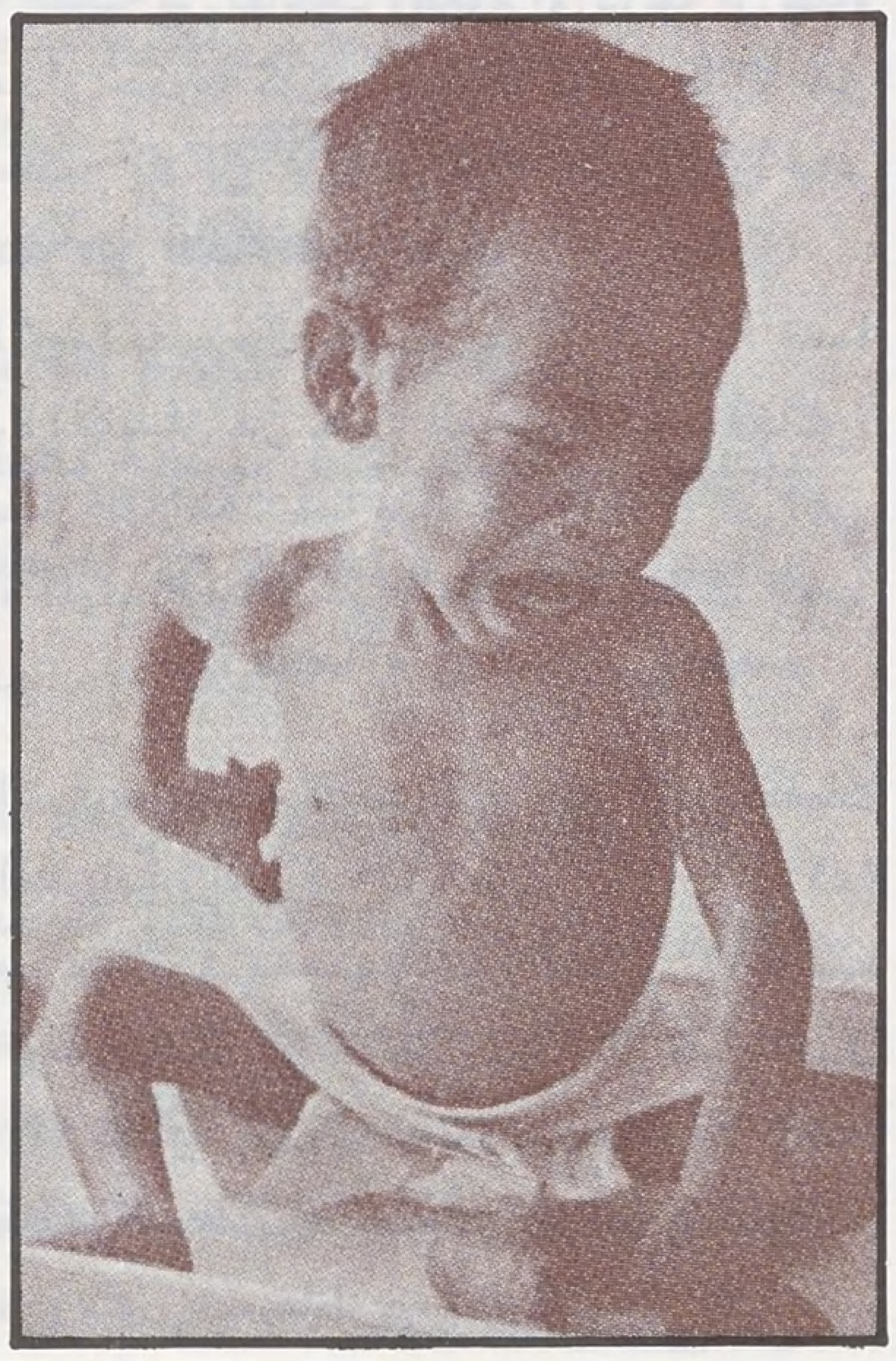

● **الغذاء والدواء المصدر للعالم الثالث من المستحضرات التافهة غير المفيدة** ●

بتشجيع الأمهات على الإرضاع الطبيعي .

السجــــائر ..

يبدو أن البشر لم يتفقوا في الحكم على شيء مثل اتفاقهم على أضرار التدخين . فالجميع من مختلف الدول والملل والنحل ، سواء أكانوا مؤمنين أو ملحدين ، شيوعيين أو رأسماليين ، جهلاء أو متعلمين ، كلهم يعتبرون التدخين من أكثر الأشياء خطورة على صحة الإنسان ، لما يسببه من أمراض صعبة العلاج بل مميتة كأمراض القلب والسرطان ... ناهيك عن أضراره الخلقية والاجتماعية والاقتصادية . رغم ذلك فالمدخنون بازدياد عددي وخصوصاً في الدول الفقيرة ، ولا ترى من يتعظ أو يعتبر إلا من رحم الله .

وتنبع مضار التدخين من المواد التي تشكل محتوياته ، أو بالأحرى من السموم الموجودة في تركيبه ، مثل القطران والنيكوتين ، وهذه المواد لو أخذ القليل منها مباشرة في الوريد لسببت الموت السريع ؛ لكن يكتفي المدخنون بالموت البطيء ، وهناك اعتقاد قوي تدعمه الحقائق المتوفرة إلى أن **أنواع السجائر المباعة في أسواق دول العالم الثالث تحتوي على كميات عالية من النيكوتين والقطران والمواد السامة الأخرى .. بالمقارنة مع الأنواع نفسها المباعة من السجائر في الدول الغربية**[١١] .

ويتم الآن إجراء مسح بمساعدة منظمة الصحة العالمية ، بهدف إجراء اختبارات معملية على السجائر المباعة في أسواق العالم الثالث ... وتجرى اختبارات على خمسين نوعاً من السجائر المستوردة والمصنوعة محلياً ، وتقوم بتنفيذ البحث **مؤسسة أبحاث الإدمان في تورنتو/كندا** تحت إشراف منظمة الصحة العالمية ، ونشرت النتائج في نهاية عام ١٩٨٢م .

لكن لماذا هذا الموقف من الشركات الغربية صانعة السجائر ؟ ولماذا تصدر هذه الأنواع من السجائر بكميات أعلى من السموم ؟ .. أوليس هذا نابعاً من نظرتهم الدون لإنسان العالم الثالث كما أسلفنا ، وربما كانت الأسباب التالية هي الأسباب المباشرة لترويج هذه الأصناف الرديئة :

١ ـ خلق الإدمان لدى مدخني العالم الثالث .

٢ ـ قد يكون أرخص إنتاجاً .

٣ ـ قد يكون لدى الشركات مخزون فائض من أسواق الدول المتقدمة نتيجة للقواعد الصارمة المطبقة هناك ، والتي تحكم نسبة النيكوتين والقطران في السجائر ، ومن ثم تصرف هذه الشركات إنتاجها في العالم الثالث حيث تنعدم مثل هذه القواعد والاجراءات الصارمة .

ويقول تحليل لوكالة « **إيرث اسكان** »[١٢] وعلى سبيل التمثيل : هناك أربعة أنواع من السجائر هي : (**كنت ، كوول ، مارلبورو ، كسترفيلد**) ، أجرى عليها المركز القومي لمحاربة السرطان في الفيليبين أبحاثاً تحليلية كشفت حقائق مذهلة ، فمثلاً :

الأنواع نفسها المباعة في الفيليبين تحتوي على ما يزيد عن ٣١ملغم من القطران ، على حين يحتوي المباع في أمريكا ١٧ر٥ملغم من النيكوتين ، وفي بريطانيا ١٥ملغم .

وشركات التبغ تحتل المركز الثاني بعد صناعة السيارات في أمريكا مباشرة من حيث المبيعات ، ولذا فهي ذات نفوذ كبير وقوة تأثير إلى درجة أنه يقال **إنها استطاعت إخراج وزير من حكومة كارتر لحملته المتشددة على صناعة التبغ ، وكذلك حصل في بريطانيا مع السير جورج يونج .**

وهناك قلق لدى الشركات العالمية لانخفاض الاستهلاك في الغرب ، لكنه آخذ في الازدياد في العالم الثالث بسبب الحملة الدعائية الضخمة التي تقوم بها الشركات ، والهدايا الكثيرة والمسابقات ، وما تبرزه الشركات من أن تدخين السجائر دليل على النجاح والمستوى المالي والاجتماعي الراقي ، وأنه دليل رقي تحرير المرأة وهذا ما يفسر لنا ازدياد نسبة المدخنات أكثر من نسبة الرجال[١٣] ، والذي يخشاه العقلاء وما تنبهت إليه منظمة الضحة العالمية هو : أن لا تستطيع دول العالم الثالث السيطرة على الأمراض المحلية ؛ حيث إن التدخين يزيد من تفاقم هذه الأمراض ، وأيضاً ليس لدى هذه الدول إمكانيات محاربة الأمراض الناجمة عن التدخين . من مثل أمراض القلب والسرطان وخلافه .

والمؤسف أيضاً تحول الكثير من المزارعين في العالم الثالث إلى زراعة التبغ واعتماد كثير من الدول في مداخيلها على عائدات بيع السجائر (الفيليبين مثلاً ٤٧ بالمائة من الدخل)[١٤] .

المبيـــدات الحشرية والنباتية ومنتوجات أخـرى ..

قبل خمسة أيام من نهاية حكم **كارتر** تيقظ ضميره فجأة ؛ وأصدر أمره القاضي بعدم تصدير المواد السامة والأغذية الملوثة والمواد المتسببة في السرطان إلى دول العالم الثالث ...

وإليك مثالاً مما كان يصدر في سنة (١٩٧٧م) : تنبهت السلطات الأمريكية إلى نوع من بيجامات الأطفال نزلت إلى الأسواق الأمريكية ، وثبت أنها مواد مسببة للسرطان ، تتسرب من الجلد ، فمنع تداول هذه البيجامات فوراً ، وبعد هذا المنع قامت الشركة المنتجة بتصدير البيجامات إلى دول آسيا وأفريقيا ، واستطاعت خلال تسعة عشر شهراً بعد المنع أن تصدر (٢ر٤٠٠ر٠٠٠) بيجامة إلى أطفال العالم[١٥] الثالث .

وكأن أطفال العالم الثالث بحاجة إلى ما يسبب لهم السرطان .. ، وكأنه لا يكفي أن يموت الملايين كل عام بسبب الأمراض والجوع ونقص أبسط سبل الوقاية الطبية من لقاحات وطعوم إلى درجة أن حياة الطفل لا تقدر بثمن ، ورغم أن حكومة كارتر لم يتيقظ ضميرها إلا قبل خمسة أيام من انتهاء حكمه **إلا أن أول شيء فعله ريجان بعد وصوله إلى كرسي الرئاسة هو إلغاء قرار كارتر** .

وبالنسبة للمبيدات الكيميائية سواء الحشرية أو النباتية فمما لا شك فيه أنها ذات فائدة للإنسان من حيث السيطرة على الآفات ، ومكافحة الأمراض في مضمار الزراعة ؛ مما يزيد من الإنتاج الزراعي والغذائي إلا أن تأثير هذه المواد السامة على الطعام قد أحدث أيضاً مشاكل صحية لا حصر لها ...

وقد عانت الكثير من الدول من هذه الأضرار وأدخل المستشفيات أكثر من ٦٠٠ شخص في أحد بلدان الشرق الأوسط (١٩٧١/١٩٧٢م) خلال موجة تسمم الطعام ، وقد توفى بعضهم أثناء العلاج[١٦] ... هذه المخاطر تحصل حتى في الوضع الطبيعي نتيجة لاستعمال المبيدات في الزراعة ، وتسرب المواد الكيميائية إلى المحاصيل ومن ثم إلى غذاء الإنسان .. فما بالك إذا كانت المبيدات الحشرية والنباتية المرسلة إلى دول العالم الثالث ذات سمية أكثر ، ومخاطر صحية أكثر من التسمم ،

وتصل إلى التسبب في السرطان وأمراض أخرى خطيرة.

وقد نشرت مجلة نيوزويك في ١٧ أغسطس (آب) ١٩٨١م مقالاً عن أخطار المبيدات الحشرية المرسلة إلى العالم الثالث والمستعملة في الزراعة، ونشرت قوائم بالمواد السامة التي ترسل إلى العالم الثالث،

قائمة توضح المواد السامة والخطيرة المرسلة إلى دول العالم الثالث .. والمستعملة في الزراعة

اسم المبيد الحشري	الأخطار الصحية التي يسببها	الكميـــة القاتلة منه
١ ـ الدرين	السرطان، قتل الأجنة في بطون امهاتها	ملعقة شاي
٢ ـ ب ـ هـ ـ س	انواع من الشـــلل	ملعقة شاي
٣ ـ كلوروان	الســـرطان	ملعقة شاي ـ ملعقة شوربة
٤ ـ د ـ د ـ ب ـ س ـ ب	السرطان ـ عقم الرجال	ملعقة شاي ـ ملعقة شوربة
٥ ـ د ـ د ـ د ـ ت	السرطان ـ انواع من الشلل	ملعقة شاي ـ ملعقة شوربة
٦ ـ بارثيـــون	قتل الأجنة ـ انواع من الشلل	بضع نقط فقط
٧ ـ توكاسـفين	الســـرطان	ملعقة شاي
٨ ـ باراكـــوات	تحطيم الرئتين والجهاز التنفسي، قتل الأجنة	ملعقة شاي ـ ملعقة شوربة
٩ ـ كيبـــون	السرطان ـ أنواع من الشلل	ملعقة شاي ـ ملعقة شوربة
١٠ ـ ٢ و ٤ و ٥ و ت	السرطان ـ عيوب خلقية في الأجنة	اونصة واحدة

ودونما تحذير من الشركات المنتجة إلى الأخطار، وإليك بعض ما جاء فيها[١٧].

وهذه القائمة تكفي للدلالة على ما يرسلونه من مواد سامة وخطيرة دون أن تعلم دول العالم الثالث خطورة هذه المواد المستوردة، **(إن حوالي أربعمائة ألف شخص يتسممون سنوياً في البلدان النامية نتيجة الرش بالمبيدات في بيئتهم الطبيعية، ويموت منهم ما لا يقل عن ألف شخص)**.

وهكذا نرى: أن كثيراً من البضائع والمنتجات التي تصدر إلى بلدان العالم الثالث لا تخضع للشروط والمقاييس الموجودة في أوروبا وأمريكا .. بدءاً من أكثر المنتجات ضرورة لحياة الإنسان وصحته كالأدوية والعقاقير ... وانتهاءً بالأدوات التي يستعملها الإنسان من مواد استهلاكية وملابس وسيارات وغير ذلك ...

إنها صورة بشعة للعالم الغربي الحر .. المتحضر كما يدَّعون .. العالم الذي يتبجح بالدفاع عن حقوق الإنسان، والذي تحوي أراضيه كل المنظمات الدولية التي تهتم بحقوق الإنسان والحيوان.

إنها بشاعة وجشع الشركات الرأسمالية، فالمادة أولاً وقبل كل شيء، والغاية تبرر الوسيلة.

وبعــــــــد ...

هل هي حرب صليبية بثوب جديد ... وخطوة تالية للغزو الفكري أو متزامنة معه تهدف لإنهاك إنسان العالم الثالث الفقير وغالبيته مسلمة، وتزويده بالمشاكل والمآسي التي لا تدع له مجالاً للتفكير والاهتمام خارج ذاته .. مما يطيل من فترة رقاده وبعده عن قيادة البشرية وتبليغ رسالة الإسلام للعالمين، وليبقى تابعاً وذيلاً في نهاية القافلة.

هــــوامش:

(١)، (٢)، (٣) من اعداد مختلفة من جريدة الشرق الأوسط، وعرب نيوز، وجريدة المدينة، ومجلة المجلة، ومجلة الامان اللبنانية.

(٤) مقال: الغالي والرخيص. للدكتور حسان حتحوت، منشور في مجلة العربي، [عدد ٢٨٢] تاريخ مايو (ايار) ١٩٨٢م.

(٥) لقاء مع رجاء جارودي، المفكر الفرنسي، مجلة كل العرب، السنة الاولى، عدد ٤، باريس، سبتمبر ١٩٨٢م.

(٦) مجلة الامة، مقال: ازمة الدواء في العالم الإسلامي للدكتور نبيل صبحي، العدد الاول/ السنة الثانية، نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨١م.

(٧) جريدة الشرق الأوسط، ص٦، الاحد ١١ يوليو (تموز) ١٩٨٢م.

(٨) انظر تقرير وكالة «ديثنيوز» منشور في جريدة «عرب نيوز» الانجليزية، جدة في ٣٠ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٢م، وكذلك انظر مجلة الامة، هامش (٦) السابق الذكر.

(٩) جريدة «عرب نيوز» عدد ٣٠ اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٨٢م.

(١٠) جريدة «عرب نيوز» ٢٥ سبتمبر (ايلول) ١٩٨٢م، مقال: تصاعد حرب اغذية الأطفال في العالم الثالث.

(١١)، (١٢) جريدة المدينة المنورة [عدد ٥٦٠٩]، جدة في ١٣ شوال سنة ١٤٠٢هـ.

(١٣) انظر مجلة الامة [عدد ١٥ ـ ١٦] مقال: التدخين والصحة للدكتور نبيل صبحي، لشهري كانون الثاني، شباط (يناير، فبراير) سنة ١٩٨٢م

(١٤) انظر جريدة المدينة مصدر سابق [عدد ٥٦٠٩].

(١٥) انظر جريدة المدينة المنورة [العدد ٥٥٨٠] ٧ رمضان سنة ١٤٠٢هـ.

(١٦) انظر للاستزادة عرب نيوز في ١٨ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٨٢م.

(١٧) نشر في جريدة المدينة [العدد ٥٥٨٠] السابق الذكر.

قاضي قضاة المسلمين في العصر المملوكي

« ابن دقيق العيد »

بقلم : محمد عبده الحجاجي

مولده ونشأته ...

بينما كان العالم الفقيه علي بن وهب المعروف بمجد الدين القشيري يأخذ طريقه لأداء فريضة الحج في يوم السبت الخامس والعشرين من شهر شعبان سنة ٦٢٥هـ على ظهر إحدى السفن ، وبصحبته زوجته كريمة الشيخ الزاهد الورع مُفَرِّح الدماميني أحد كبار متعبدة الصعيد في القرن السابع الهجري ، وذلك عن طريق البحر الأحمر الذي كانوا يسمونه في العصر الاسلامي ببحر القلزم ، وما أن قاربت السفينة ساحل الينبع حتى حمل البشير إليه نبأ أدخل السرور والبشر على قلبه ، وهو أن زوجته قد وضعت غلاماً ، فرفع العالم الفقيه مجد الدين القشيري يده إلى السماء شاكراً حامداً نعمة الله عليه سبحانه وتعالى على هذه المنة العظيمة ، ولما قدم مكة حمل رضيعه المبارك بين يديه ، وطاف به البيت وهو يدعو الله سائلاً أن يجعله عالماً ، وقد استجاب الله لدعائه ، ووصل الفتى بجده وذكائه ومثابرته في الدرس وتحصيل العلوم إلى مرتبة قاضي قضاة المسلمين في العصر المملوكي .

وقد كان يدعى محمد بن عبد الله بن وهب إلا أن اللقب الذي غلب عليه هو ابن دقيق العيد ، وهو لقب جده الأعلى الذي كان ذا صيت بعيد ، ومكانة مرموقة بين أهل الصعيد ، وقد لقب كذلك لأن هذا الجد كان يضع على رأسه يوم العيد طيلساناً أبيض شديد البياض ، فشبهه العامة من أبناء الصعيد لبياضه الشديد هذا « بدقيق العيد » .

نشأ ابن دقيق العيد في مدينة قوص التي كانت تشتهر في ذلك الوقت بمدارسها العديدة ، ونهضتها الثقافية الواسعة ، تحت رعاية والده مجد الدين القشيري الذي تخرج على يديه الآلاف من أبناء الصعيد ، كما يشير إلى ذلك الأدفوي في طالعه السعيد في تراجم متفرقة .

وقد عاش شبابه تقياً نقياً ورعاً طاهر الظاهر والباطن ، يتحرى الطهارة في كل أمر من أمور دينه ودنياه ، فحفظ القرآن الكريم حفظاً تاماً ، وتفقه على مذهب الإمام مالك على يد أبيه ، ثم رجع وتفقه على مذهب الإمام الشافعي على يد تلميذ أبيه البهاء القفطي ، كما درس النحو وعلوم اللغة على يد الشيخ محمد أبي الفضل المرسي ، وشمس الدين محمود الأصفهاني ، ثم ارتحل إلى القاهرة التي كانت في ذلك الوقت مركز إشعاع فكري وثقافي يفوق كل وصف ، تكتظ بالعلماء والفقهاء في كل علم وفن ، فانتهز ابن دقيق العيد هذه النهضة العلمية الواسعة التي شهدتها القاهرة في ذلك الوقت ، والتف حول العديد من العلماء ، وأخذ على أيديهم في كل علم وفن في نهم بالغ ، ولازم سلطان العلماء الشيخ عز الدين بن عبد السلام حتى وفاته ، وأخذ على يديه الأصول وفقه الإمام الشافعي ، وسمع الحافظ عبد العظيم المنذري ، وعبد الرحمن البغدادي البقال ، ثم سافر بعد ذلك إلى دمشق وسمع بها من الشيخ أحمد عبد الدايم وغيره ، ثم اتجه إلى الحجاز ومنه إلى الاسكندرية فحضر مجالس الشيوخ فيهما ، وتفقه .. وبلغ غايته في شتى أنواع العلوم والمعرفة الاسلامية ، وقد جمع بين فقهي الإمامين مالك والشافعي ، ومكث بالقاهرة فترة يسيرة ، اتجه على أثرها إلى مسقط رأسه قوص ، حيث تقلد منصب التدريس بالمدرسة النجيبية ، وهي إحدى المدارس الشهيرة في قوص ، وهو لم يتجاوز السابعة والثلاثين من عمره ، فالتف حوله المريدون يأخذون على يديه في مختلف الفنون والمعرفة الاسلامية ، وقد عرف بغزارة علمه وسعة أفقه ، فذاع صيته بين النّاس حتى إن والي قوص أسند إليه منصب القضاء على مذهب الإمام مالك ، ثم اتجه بعد ذلك إلى القاهرة ، وقام فيها بالتدريس بالمدرسة الفاضلية ، والكاملية ، والصالحية ، والناصرية ، وكان ثقة في كل ما يقول أو يشرح حتى بلغ في النفوس مكانة سامية مرموقة .

وقد وصفه كثير من المؤرخين وكتاب التراجم والطبقات كالسبكي وابن فضل الله العمري والأدفوي وغيرهم : بأنه لم يزل حافظاً للسانه ، مقبلاً على شأنه .. وقف نفسه على العلوم وقصدها ، فأوقاته كلها معمورة بالدرس والمطالعة ، أو التحصيل والاملاء .

قال الأدفوي في طالعه السعيد : **كان له قدرة على المطالعة ، رأيت خزانة المدرسة النجيبية بقوص فيها جملة كتب من جملتها (عيون الأدلة لابن القمار في نحو ثلاثين مجلدة وعليها علامات له ، وكذلك رأيت في المدرسة السابقية السنن الكبير للبيهقي على كل مجلدة علامة له أيضاً ، ويقال إنه طالع كتب المدرسة الفاضلية بالقاهرة عن آخرها ، وقد كان دأبه أن يقضي الليل في المطالعة والعبادة ، فكان يطالع في الليلة الواحدة المجلد أو المجلدين ، وربما تلا آية واحدة من القرآن الكريم فكررها حتى مطلع الفجر ، استمع له بعض أصحابه ليلة وهو يقرأ فوصل إلى قوله تعالى : « فَإذَا نُفِخَ فِي**

قال عنه أبو الفتح بن سيد النّاس اليعمري الحافظ :

« لم أر مثله فيمن رأيت ، ولا حملت عن أجل منه فيما رأيت ورويت ، وكان للعلوم جامعاً ، وفي فنونها بارعاً ، مقدماً في معرفة علل الحديث على أقرانه ، منفرداً بهذا الفن النفيس في زمانه ، بصيراً بذلك شديد النظر في تلك المسالك .. وكان حسن الاستنباط للأحكام والمعاني من السنة والكتاب ، مبرزاً في العلوم النقلية والعقلية .. » طبقات الشافعية للسبكي ج٦ ص٢ - ٣

الصُّـورِ فَلَا أَنْسَـابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَـاءَلُونَ » ، قال : فما زال يكررها إلى طلوع الفجر .

وكان يقول : ما تعلمت كلمة ولا فعلت فعلاً إلّا وأعددت له جواباً بين يدي الله عز وجل .

كان مغرماً بالقراءة إلى هذا الحد ، كثير النقد والتحري والتدقيق فيما يقرأ ، لا يقبل الشيء من غير أن يعمل فيه فكره فيقبله أو يرفضه .

ابن دقيـق العيـد قاضي القضـاة ...

حينما توفي قاضي القضاة في مصر وهو التقي عبد الرحمن بن بنت الأعز في ثامن عشر جمادى الأولى سنة ٦٩٥هـ ، وخلا بموته هذا المنصب ، وذلك في عهد السلطان منصور بن لاجين ، أشار أحد المقربين إلى هذا السلطان قائلاً : « هل أدلك على محمد بن ادريس الشافعي ، وسفيان الثوري وإبراهيم بن أدهم فعليك بابن دقيق العيد ، فكان أن تقلد ابن دقيق العيد هذا المنصب الذي ظل شاغلاً له مدة سبع سنوات ، بلغت فيها شخصيته مكانة مرموقة في الديار المصرية ، ويقول بعض المؤرخين :

(إن ابن دقيق العيد تردد في قبوله هذا المنصب حين عرض عليه وأبدى الامتناع والرفض لولا أن تحايلوا عليه) .. وقد كان رحمه الله في قضائه وآرائه وفتواه مثلاً أعلى للصدق والعدالة والنزاهة ، لا يخشى في الحق لومة لائم أو بطش سلطان ، فما كان يراه حقاً يطمئن عليه الشرع ينفذه ولو كان في ذلك غضباً للحكام والسلاطين .

وقد ترتب على ذلك أن كثر أعداؤه وحاسدوه الذين كانوا يدسون عليه ويكيدون له ، وقد أورد كثير من المؤرخين مواقف مشرفة ، تشيد له بالنزاهة والأمانة في عدله بين النّاس .

وقد وضع الأستاذ عبد المتعال الصعيدي ابن دقيق العيد على رأس المجددين في الاسلام في القرن السابع الهجري ، فيقول : ولابن دقيق العيد لفتة عابرة قد تدل على أنه كان فيه شيء من نزعة التشديد ، وذلك أنه لما جاءت التتار إلى الشام في سنة ٦٨٠هـ - ١٢٨١م ورد مرسوم السلطان إلى القاهرة بعد خروجه منها للقائهم أن يجتمع العلماء ويقرؤوا صحيح البخاري ، فاجتمع العلماء وقرؤوه إلى أن بقي شيء منه ، وكان هذا في يوم خميس ، فأخروا ما بقي إلى أن يتموه يوم الجمعة ، فلما كان يوم الجمعة رأوا ابن دقيق العيد في الجامع ، فقال لهم : ما فعلتم ببخاريكم .. فقالوا : بقي ميعاد أخرناه لنختتمه اليوم ، فقال : انفصل الحال من أمس العصر ، وبات المسلمون على كذا ، فقالوا نخبر عنك . فقال : نعم : فجاء الخبر بعد ذلك .. وكان النصر فيه للمسلمين ، وقد عدَّ السبكي هذا من كرامات ابن دقيق العيد .

لكن قول ابن دقيق العيد : ماذا فعلتم ببخاريكم ؟ يريد منه أن النصر قد تم بما أمر الله بإعداده من قوة ومن رباط الخيل ، وليس بقراءة البخاري ونحوه ، على عكس ما فهم الإمام السبكي ، لأن المسلمين تركوا الاعتماد على العلوم التي تمكنهم من إعداد ما أمرهم الله به من القوة الحربية .

وقد كان رحمه الله كريماً جواداً بجانب غيرته على الحق .. لا يخشى فيه لومة لائم ، توفي بالقاهرة في صبيحة يوم الجمعة لتسعة أيام بقيت من صفر ٧٠٢هـ بعد أن عمر ٧٧ عاماً ، قضاها في خدمة الدين الاسلامي الحنيف في مختلف أنحاء العالم الاسلامي ، وقد دفن يوم السبت ، وكان يوماً مشهوداً عزيزاً في الوجود ، وقد وقف جيش مصر ينتظر الصلاة عليه .

آثـاره العلميـة ...

لقد ترك ابن دقيق العيد الكثير من المؤلفات في الحديث وعلوم الفقه ، ما زالت تعتز بها المكتبة العربية حتى يومنا هذا من هذه المؤلفات :

كتاب « **الإلمام الجامع لأحاديث الأحكام** » ، « **الإلمام في الأحكام** » في عشرين مجلداً ، وشرح لكتاب « **التبريزي في الفقه** » « **وفقه التبريزي في أصوله** » ، كما شرح « **مختصر ابن الحاجب في الفقه** » ، ووضع في علوم الحديث كتاب « **الاقتراح في معرفة الاصطلاح** » ، وله تصانيف في أصول الدين كما كان ابن دقيق العيد بجانب امتيازه في التدريس والفقه والتأليف خطيباً بارعاً وله « **ديوان شعر** » ، « **ونثر** » لا يخرج عن طريقه أهل عصره الذين عرفوا بالسجع والمحسنات البديعية .

من نماذج الإعلاء النفسي:

الإسلام.. والشعر

بقلم : الدكتور جابر قميحة

■■ جاء الإسلام خاتماً للأديان ، وهذه « الخاتمية » اقتضت أن يكون أكمل الأديان وأوفاها بحاجات الإنسانية ، وأبرعها في معالجة الأدواء التي حوتها (قائمة القيم الجاهلية) واختلف موقف الإسلام من هذه القيم تبعاً لنوعيتها :

١ - فقابل بعضها بالرفض وقضى عليه قضاءً مبرماً : كعبادة الأصنام وشرب الخمر والربا ووأد البنات والعدوان والظلم ... إلخ .

٢ - وأقر بعضها وشجعه ودعا إليه مثل الكرم ونصرة الملهوف المستضعف ... وموقف النبي عليه الصلاة والسلام من حلف الفضول معروف ، وقد قال عليه السلام عن هذا الحلف الذي حضره في الجاهلية : « لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حِلْفاً ما أحب أن لي به حمر النعم ولو أُدعى به في الإسلام لأجبت » .

٣ - ومن القيم والقدرات والعادات ما أبقى الإسلام على منبعه وأصله ، ولكنه وجه مساره الوجهة الإنسانية الخيرة الصحيحة ، وهذا التوجيه يشبه إلى حد بعيد ما يسميه علماء النفس **بالتسامي أو الإعلاء** ، ولكن يجب أن يلاحظ أن عملية **الإعلاء** لا تنجح في صرف الطاقات المكبوتة بطريقة ناجحة ملائمة إلا إذا أعيد تنظيم الشخصية بأكملها على أساس جديد لتقوية جميع نواحيها ، وتحقيق وحدتها وتكاملها بتأثير المثل الخلقية العليا . والتربية السديدة الصالحة هي التي تحقق إعلاء الغرائز ، وتنقية الميول مما يشوبها من عوامل الأثرة والضعف ، وذلك بتحقيق وحدة الشخصية وتكاملها ، وبتقوية الإرادة وتوفير وسائل ضبط النفس .

وقد حقق الإسلام هذا « **الإعلاء** » بربط الشخصية بالدين وقيمه الخلقية التربوية من ناحية ، وربط العمل بالجزاء من ناحية ثانية ، وتقييم العمل على أساس النية من ناحية ثالثة .

ومن أمثلة **الإعلاء** : موقف الإسلام من الشعر : والمعروف أن العرب أمة شاعرة ، وأن الشعر ديوان العرب سجلت فيه أيامها وتاريخها ومعاشها ، وبه دافعت ، وبه هاجمت ، وبه مدحت ، وبه تغزّلت . وكانت القبيلة تقيم الأفراح إذا ما بزغ فيها نجم شاعر ، فالكلمة عند أمة البلاغة والفصاحة كان لها فعل السحر ، **وصدق رسول الله ﷺ حيث قال** : « **إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْراً** » .

والشعر الجاهلي - شأن الأدب في كل أمة وخاصة في عهد الطفولة الأمية - كان فيه - من ناحية المضمون الفكري - الوضيء والوضيع كان فيه الغزل الفاحش كما كان فيه الغزل العفيف ، وكان فيه الهجاء المقذع ، كما كان فيه التغني بالمناقب والخصال الإنسانية العليا ، وكان فيه من الأوصاف ما هو موغل في الكذب ، كما كان فيه ما يتدفق بالصدق والنقاء .

وفي المدينة نزلت الآيات الأربع الأخيرة من سورة (الشعراء) :

﴿ **وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانْتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ** ﴾ (الشعراء : ٢٢٤-٢٢٧) .

وقد نزلت الآيات الثلاث الأولى « والشعراء - إلى قوله - يفعلون » ابتداء وفيها حكم عام صارم على الشعراء ، فبكى الشاعر المسلم عبد الله بن رواحة فنزلت الآية الأخيرة (٢٢٧) تستثني من هذا الحكم ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** ... ﴾ .

فالشعر لم يحرمه الإسلام على إطلاقه ، وقد قال حجة الإسلام **أبو حامد الغزالي** :

« **أما الشعر فكلام حَسَنُه حَسَن ، وقبيحه قبيح إلا أن التجرد له مذموم ... وإنشاد الشعر ونظمه ليس بحرام إذا لم يكن فيه كلام مستكره** » .

فمدار التحريم والتحليل هنا هو المضمون الفكري للشعر لا فن الشعر ذاته ، فإذا تضمن معنى خبيثاً يسيء إلى الناس أو الدين فهو حرام ، وإلا فهو من قبيل المباح الذي لا حرمة فيه ، ويمكن الاستدلال على صحة ما ذهبنا إليه بما يأتي :

(أ) ما ينسب إلى **النبي ﷺ** من أحاديث تمجد بعض الشعر وتعظمه ، من ذلك قوله ﷺ : « **إن من الشعر لحكمة** » [البخاري ٨/٤٢] ، **وقوله عليه السلام** : « **أشعر كلمة تكلمت بها العرب قول لبيد : ألا كل شيء ما خلا الله باطل** » [مسلم ٥/١١٠] .

(ب) سماعه الشعر : فقد روى عمرو بن الشريد عن أبيه قال : « **ردفت رسول الله ﷺ يوماً فقال** : « **هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء** ؟ قلت **نعم** .. قال : « **هيه** » فأنشدته بيتاً ، فقال : « **هيه** » **ثم أنشدته بيتاً ، حتى أنشدته مائة بيت** » [مسلم ٥/١١٠] .

(ج) إنشاده في بعض المواقف أبياتاً من الرجز والشعر ، فيروى أنه - عليه السلام - كان يمشي إذ أصابه حجر فعثر فدميت إصبعه فقال :

● نال « حسان بن ثابت » مانالـه مـن حظوة لدى النبي ﷺ بـسـبب شعره ، الذي وظـفـه في الذب عـن الاسلام ، والذ ود عـن رسـول الله ﷺ ورسـالتـه ..

● مدار التحريم والتحليل في قول الشعر هو المضمون لا الفن بذاتـه ..

هَلْ أَنْتَ إِلَّا إِصْبَعٌ دَمِيتِ
وفي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتِ

[البخاري ٨/٤٣] وهو من شعر عبد الله بن رواحة

(د) طلبه من حسان بن ثابت أن يكون لسان المسلمين الناطق ، وأن يقوم بهجاء الكفار رداً على أهاجيهم ، وكان يشجعه ويثني عليه ، ويُروى أنه جاوب عنه أبا سفيان بن الحارث :

هَجَوْتَ مُحَمَّداً وَأَجَبْتُ عَنْهُ
وعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ

قال رسول الله ﷺ جزاؤك عند الله الجنة يا حسان . فلما قال حسان :

فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي
لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ

قال له « وقاك الله حرَّ النَّار » فبشره بالجنة ودعا له بالوقاية من النار في ساعة واحدة ، وسبب ذلك شعره .

(هـ) وكان يشجع عبد الله بن رواحة ، ويدعو له ، ويقول عنه للمسلمين « إِنَّ أَخاً لَكُمْ لَا يَقُولُ الرَّفَثَ هُوَ عَبدُ اللهِ بنُ رَوَاحَةَ » .

وأخرج الزبير بن بكار عن هشام بن عروة عن أبيه قال :

ما سمعت بأحد أجرأ ، ولا أسرع شعراً من عبد الله بن رواحة يوم يقول له رسول الله ﷺ : « قل شعراً تقتضيه الساعة ، وأنا أنظر إليك » فانبعث عبد الله بن رواحة يقول :

إِنِّي تَفَرَّسْتُ فِيهِ الْخَيْرَ أَعْرِفُهُ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا إِنْ خَانَنِي بَصَرُ
أَنْتَ النَّبِيُّ وَمَنْ يُحْرَمْ شَفَاعَتَهُ
يَوْمَ الْحِسَابِ فَقَدْ أَزْرَى بِهِ الْقَدَرُ
فَثَبَّتَ اللَّهُ مَا آتَاكَ مِنْ حَسَنٍ
كَالْمُرْسَلِينَ وَنَصْراً كَالَّذِي نُصِرُوا

فقال رسول الله ﷺ : « وأنت فثبتك الله » ، قال هشام بن عروة : « فثبته الله أحسن ثبات ، فقتل شهيداً ، وفتحت له أبواب الجنة فدخلها » .

فالإسلام لم يوقف تدفق الطاقة الشعرية عند الشعراء ـ كما اعتقد البعض ـ ولكن نهيه كان منصباً على الشعر الفاحش الذي يخرج على قواعد الدين والخلق ، أوبتعبير آخر أصبح الشعر « ملتزماً » بالعقيدة الإسلامية الإنسانية بعد أن كان يسير في طريق فوضوية يحكمها العداء والأثرة والعدوان والغريزة الحمقاء .

ويصدق هذا « الإعلاء » في أجلى صوره على شخصية شاعر مثل « عبد الله بن الزبعرى » الذي يعد من أشعر شعراء قريش ، وكان من أشد الناس على رسول الله وعلى أصحابه بلسانه ونفسه ، ولما فتح الرسول عليه السلام مكة هرب ابن الزبعرى مع شاعر آخر هو « هبيرة بن أبي وهيب » إلى نجران خوفاً من النبي علية السلام [أسد الغابة ٣/٢٣٩] .

ويظهر أنه كان مطبوعاً على الهجاء ، عدواني الطبيعة ، يدل على ذلك ما أورده ابن سلام الجمحي من أن الناس أصبحوا يوماً بمكة وعلى دار الندوة مكتوب :

أَلْهَى قُصَيّاً عَنِ الْمَجْدِ الأَسَاطِيرُ
وَرِشْوَةٌ مِثْلَ مَا تُرْشَى السَّفَاسِيرُ
وَأَكْلُهَا اللَّحْمَ بَحْتاً لَا خَلِيطَ لَهُ
وَقَوْلُهَا رَحَلَتْ عِيرٌ مَضَتْ عِيرُ

فأنكر الناس ذلك وقالوا : « ما قالها إلا ابن الزبعرى » ، أجمع على ذلك رأيهم وكادوا يقطعون لسانه [طبقات فحول الشعراء ١/٢٣٦] .

فهذا الهجاء الذي لا مبرر له ، حيث لا ثأر ولا خلاف في الدين والمعاش ، وإجماع قريش على مثل هذا البذاء الفاحش لا يأتيه إلا ابن الزبعرى ... كل أولئك ينم عن « نفسية عدوانية » بطبعها ، ويفسر لنا سلاطة لسانه وفحشه على المسلمين والإسلام والنبي عليه السلام .

فلما أسلم « سما » الإسلام بطاقته الشعرية القادرة ، وصار ابن الزبعرى لسان صدق وحق في الدفاع عن الإسلام ، وحثّ المسلمين على الجهاد ، ورثاء من استشهد منهم ، ومن أجمل ما نظمه ما قاله في رسول الله ﷺ حين أسلم :

يَا رَسُولَ الْمَلِيكِ إِنَّ لِسَانِي
رَاتِقٌ مَا فَتَقْتُ إِذْ أَنَا بُورُ
إِذْ أُجَارِي الشَّيْطَانَ فِي سَنَنِ الْغَيِّ
وَمَنْ مَالَ مَيْلَهُ مَثْبُورُ
آمَنَ اللَّحْمُ وَالْعِظَامُ بِمَا قُلْـ
ـتَ فَنَفْسِي الشَّهِيدُ أَنْتَ النَّذِيرُ
إِنَّ مَا جِئْتَنَا بِهِ حَقُّ صِدْقٍ
سَاطِعٌ نُورُهُ مُضِيءٌ مُنِيرُ
جِئْتَنَا بِالْيَقِينِ وَالْبِرِّ وَالصِّدْ
قِ ، وَفِي الصِّدْقِ وَالْيَقِينِ سُرُورُ
أَذْهَبَ اللَّهُ ضِلَّةَ الْجَهْلِ عَنَّا
وَأَتَانَا الرَّخَاءُ وَالْمَيْسُورُ

فالإسلام لم يقض على الطاقة الشعرية ولم يجفف منابعها ـ كما يزعم بعضهم ـ ولكنه سما وعَلَا بها ، ونقّاها وهذبها ، ووجهها إلى الطريق الصحيح ... طريق الخير والصلاح والفطرة الإنسانية .

بقلم : د. محمد الطويل

الشورى واجبة على الحاكم المسلم

■■ لما مرض رسول الله ﷺ مرضته الأخيرة التي مات بعدها .. تعذر عليه أن يخرج إلى الناس وأن يؤمهم في الصلاة .. وأن يصرف شؤون حياتهم كما كان يفعل ، فأمر أن يخلفه أبو بكر في إمامة الصلاة ..

وفي اليوم الذي توفي فيه خرج ﷺ عاصباً رأسه .. حتى جلس على المنبر ، وبدأ كلامه بالاستغفار لشهداء غزوة أحد ، والصلاة عليهم ، وأكثر في ذلك .. ثم قال : « انظروا هذه الأبواب اللافظة في المسجد - المؤدية إليه - فسدوها إلا بيت أبي بكر فإني لا أعلم أحداً كان أفضل في الصحبة عندي يدانيه » ..

ثم استرسل المصطفى ﷺ في حديثه هذا فقال : « ... فإني لو كنت متخذاً من العباد خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلا .. ولكن صحبة وإخاء إيمان .. حتى يجمع الله بيننا عنده » (البخاري ومسلم) ■■

فهي دعامة الحكم

ونتيجتها ملزمة له

بهذه التزكية الكريمة من الرسول الكريم ﷺ لصاحبه الكريم ، وبهذا الإصرار منه ﷺ على إمامة أبي بكر للناس يعلن صلوات الله عليه رأيه في ترشيح خليفته من بعده ..

ولهذا أجدني مديناً بالإعجاب والتقدير لهؤلاء الذين أيدوا اختيار أبي بكر خليفة على المسلمين مرددين قولهم : **رضيه رسول الله لديننا أفلا نرضاه لدنيانا ؟!!..**

لقد فهموا مراد رسولهم عليه الصلاة والسلام واستهولوا أن يختاروا على اختياره واثقين أن اختياره ﷺ خير وأعظم من اختيارهم ..

ومديناً بالإعجاب والتقدير لهؤلاء الذين اجتمعوا في السقيفة يتشاورون ويتبادلون الرأي في من يكون خليفة بعد نبيهم ..

فقد جلوا باجتماعهم هذا حكم الإسلام في الأمور العامة التي تشمل المسلمين في مجموعهم ، والتي لا يحكمها نص من كتاب أو سنة في أنها موكولة إليهم يختارون لها ما يرضون من حلول ، وأن رسولهم في هذا واحد منهم لا يبرم أمراً دونهم ، ولا يتخذ قراراً من غير مشورة ..

ولهذا كان ما كان من اجتماع السقيفة ، وما جرى فيه من حوار صريح حتى توقف بعض المهاجرين وبعض الأنصار عن المبايعة لأبي بكر.

وكان الخليفة المنتظر أبو بكر صاحب حجة بالغة ، وسند قوي ، ووقفة صلبة .. فخضعت لمنطقه الغالب العقول والقلوب ، وانقادت له مبايعة ..

والذي يتأمل في موقف الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام في هذا الشأن وتركه الأمر للمسلمين ، وحرصه على ألا يفرض رفيقه وحبيبه على الناس ، يدرك مدى ما للشورى من مكانة في منظور الإسلام ، ومقدار اهتمام الرسول المعلم ﷺ بهذا المبدأ الخطير في حياة المسلمين .. حتى آخر لحظات حياته عملاً بأمر الله تعالى أن يشاورهم في كل أمر خطير ..

وأي أمر أشد خطراً من اختيار الحاكم الذي يتوقف على حسن اختياره انتظام الأمور واستتباب الأمن ، وتحقيق الخير للجميع .

رأي الإمام ابن حزم ...

وقد ذهب ابن حزم إلى أن الرسول ﷺ نص على خلافة

أبي بكر نصاً جلياً ، هكذا عبر ابن حزم يقول (ج٤ ص١٠٧) ..

اختلف الناس في هذا فقالت طائفة : ان النبي ﷺ لم يستخلف أحداً ثم اختلفوا فقال بعضهم : **لكن لما استخلف أبا بكر رضي الله عنه على الصلاة كان ذلك دليلاً على أنه أولاهم بالإمامة والخلافة على الأمور** ..

وقال بعضهم : لا .. ولكن كان أبينهم فضلاً فقدموه لذلك ..

وقالت طائفة : **بل نص رسول الله ﷺ على استخلاف أبي بكر بعده على أمور الناس نصاً جلياً** ..

ويختار ابن حزم الرأي الأخير قائلاً :

وبهذا نقـــول لبراهين ..

أحدها : إطباق الناس كلهم على أن سموه خليفة رسول الله ﷺ **ومعنى الخليفة في اللغة هو الذي يستخلفه ، لا الذي يخلفه دون أن يستخلفه هو .. لا يجوز غير هذا البتة في اللغة بلا خلاف .. تقول : استخلف فلان فلاناً يستخلفه فهو خليفته ومستخلفه ، فإن قام مكانه دون أن يستخلفه هو : لم يقل إلا : خلف فلان فلاناً يخلفه .. فهو خالفه** ..

وإذا تجاوزنا أن ما ذهب إليه هو محل إجماع اللغويين وأننا لن نظفر بطائل من وراء بحثنا ، ونظرنا في لسان العرب عند مادة خ ل ف .. وجدنا **ابن منظور** يقول : **قال ابن الأثير** : الخليفة من يقوم مقام الذاهب ، ويسد مسده ، والهاء فيه للمبالغة ، وجمعه خلفاء : على أن معنى التذكير : لا على اللفظ مثل ظريف وظرفاء ويجمع على اللفظ : خلائف كظريفة وظرائف ، فأما الخالفة فهو الذي لا غناء عنده ولا خير فيه .. وكذلك الخالف ..

البرهــان الثاني : **عند ابن حزم** : أن امرأة قالت : **يا رسول الله ارأيت إن رجعت ولم أجدك ـ كأنها تريد الموت ـ قال : فأت أبا بكر** ..

ثم يعقب على هذا البرهان بقوله : **وهذا نص جلي على استخلاف أبي بكر** .. فمن أين جاء الجلاء والرواية لم توضح مراد المرأة من الرجوع ، ولا مراد **الرسول** ﷺ من إحالتها إلى **ابي بكر** .

البرهان الثالث والأخير : وأيضاً فإن الخبر قد جاء من الطرق الثابتة أن رسول الله ﷺ قال : **لعائشة رضي الله عنها** في مرضه الذي توفي فيه عليه السلام : لقد هممت أن أبعث إلى أبيك وأخيك فأكتب كتاباً وأعهد عهداً كيلا يقول قائل : **أنا أحق أو يتمنى متمن ، ويابى الله والمؤمنون إلا ابا بكر** ..

ومع التسليم بصحة هذه الرواية ، فإن من الثابت أيضاً أن رسول الله ﷺ قد اكتفى بالهم ، ولم يكتب كتاباً ، ولم يعهد عهداً ..

فما الذي منع الرسول ﷺ من كتابة كتاب ، أو إعلان عهد ؟ سبب وجيه وأكيد ، **هو الذي منعه عليه الصلاة والسلام من هذا ، يتمثل هذا السبب في مبدأ الشورى الذي اقام الله تعالى** عليه حياة المسلمين السياسية والاجتماعية **والذي التزم الرسول القائد** ﷺ بتنفيذه مدى حياته ، **وترك بسببه رأيه إلى رأي الأغلبية في كثير من المواقف** ..

وإذا كنت أطلت في مناقشة هذا الرأي وفيما إذا كان ﷺ قد استخلف **أبا بكر** أم لا .. فلأني وجدت كثيراً من الفقهاء القدامى والمحدثين أيضاً يفهمون هذا الموقف على غير وجهه ، ويذهبون إلى هذا الذي ذهب إليه ابن حزم وإن اختلفت الأدلة والوقائع التي يستندون إليها .

حـكم الشـــــــــورى :

لقد أمر الله عز وجل نبيه ﷺ أن يشاور المسلمين في قوله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّـوا مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (آل عمران : ١٥٩) ..

والأمر في منطوق القرآن الكريم للوجوب إلا إذا وجد دليل يصرف الأمر عن الوجوب إلى الندب ، أو إلى مطلق الإباحة ، ولا وجود لمثل هذا الدليل بل كل الدلائل تؤكد هذا الوجوب وتقويه ، وحياة الرسول عليه الصلاة والسلام بين أصحابه وسلوكه في السلم والحرب خير الأدلة وأقواها في ذلك .

وإذا تجاوزنا مجال الخلاف بين العلماء حول هذه النقطة وجدنا انفسنا امام خلاف آخر حول نتيجة الشورى ومدى التزام الحاكم بها ..

والأمر المؤكد .. والذي يجمع عليه المسلمون ، أن الحاكم ملزم بالعمل لصالح الأمة . ولا يتحقق هذا إلا بعد أخذ الرأي وطلب المشورة ، من ذوي العقول والمكانة ، وأصحاب التدبير ..

> ● الأمر المؤكد الذي يجمع عليه المسلمون أن الحاكم مُلْزَم بالعمل لصالح الأمَّة ... وهذا لا يتحقق إلا بعد أخذ الرأي وطلب المشورة من أهل الحل والعقد .

وصالح الأمة يستقر حيث رأي الأغلبية ، بصرف النظر عن النتيجة ، فقد يختار الناس ما يسوؤهم ، ويرضون به ، ولذة حرية الاختيار كفيلة بإزالة الم ما يسوء ..

والحاكم حين يأخذ نفسه بنتيجة الشورى ، **إنما يحقق الحكمة التي شرعت الشورى من أجلها** ، وهي كسب المجتمع وتربية الأمة على العمل بهذا المبدأ ، دون الاعتماد على رأي الرئيس الفرد ، فاحتمال الخطأ في رأي الواحد كبير ، والصواب في جانب الرأي العام غالباً .

الشورى واجبة على الحاكم المسلم

وفوق ذلك فإن نزول الحاكم عند رأي الأمة يحملهم على محبته ومناصرته ، والتفافهم حوله ومسارعتهم إلى طاعته ، فتتأكد عوامل القوة والمنعة ، وتتوطد أركان الدولة .

وعلى العكس من ذلك لو أن الحاكم شاور الأمة ، ثم لم يحترم رأي الأغلبية ، وأعرض عنه واستبد برأيه ، عند ذلك تنفر منه النفوس ويبغضه الناس ، ولا يستجيبون له ، ولو استجابوا له فإنما يستجيبون بقوالبهم دون قلوبهم ، وهذا إن حدث جر الأمة إلى الضعف والوهن ، ثم إلى الفناء العاجل أو الآجل ..

وما فرض الله تعالى الشورى على نبيه لتكون عند اختيار الحاكم ان شاء طبقها وإن شاء أعرض عنها ..

فإننا لو تدبرنا الآية الكريمة التي يقول الله فيها : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا ٱلصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (الشورى:٣٨) ، **نرى أنها تتحدث عن أمور واجبة ، لا خلاف على وجوبها .**

وأول هذه الواجبات هو الإيمان الذي عبرت عنه الآية بلفظ ﴿ ٱسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ ﴾ **وثانيها** : إقامة الصلاة .. **وثالثها** : الزكاة ، والتي عبرت عنها الآية بالإنفاق .

يبقى الأمر الرابع : وهو تطبيق الشورى في أمر الجماعة الإسلامية . ووروده بين واجبات في سياق واحد يؤكد كونه واجباً كذلك . فبلاغة القرآن الرفيعة تأبى أن تتحدث عن أمور متماثلة ، ثم تدخل بينها ما ليس من جنسها .

● **إذا وجد نص الشارع في مسألة فلا مجال للمشاورة بشأنها ، وإنما يجري العمل فيها على مقتضى النص إذ لا اجتهاد مع النَّص ، والشورى اجتهاد .**

● **حين يأخذ الحاكم نفسه بالشورىٰ ، إنما يحقق الحكمة التي شرعت من أجلها وهي : عدم الاعتماد على رأي الفرد لأن احتمال الخطأ في رأي الواحد كبير .**

مجـــال الشـــــــــورى :

من القواعد المقررة لدى الفقهاء أنه لا اجتهاد مع النص ، والشورى في حقيقة أمرها اجتهاد يشترك فيه أفراد مختلفون ..

فإذا وجد نص الشارع في مسألة فلا مجال للمشاورة بشأنها ، وإنما يجري العمل فيها على مقتضى هذا النص ، لأن الأمر الإلٰـــهي لا مجال فيه لرأي الشورى ..

ولهذا وجدنا الصحابة يستوثقون أولاً أن ما يقوله ﷺ من عند نفسه وليس وحياً قبل أن يقولوا برأيهم .

فإذا لم يوجد من الشارع حكم ، جاز الاجتهاد ، واستحبت المشاورة ، سواء أكان في مسألة دنيوية أم دينية ، **كما شاور ﷺ أصحابه في شأن أسرى بدر ، وهل يقتلهم أويقبل فيهم الفداء .**

وبعد وفاة النبي ﷺ فقدنا المرجع الموثوق في تفسير دين الله . وكان من طبائع الأشياء أن يتسع مجال الشورى فيشمل بعض نصوص الأدلة الشرعية ، والتي يحتاج فهم المراد منها إلى إعمال الفكر وبذل الجهد ..

وقد اختلف **أبو بكر وعمر رضي الله عنهما** حول حديث لرسول الله ﷺ بشأن ما نعي الزكاة ، فكان أبو بكر يرى قتالهم ، ويرى عمر عدم قتالهم ، والدليل عند كليهما واحد ، هو قول **رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إلٰه إلا الله : فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله »** ، رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي ..

فكان عمر يرى أنهم قالوا الشهادة ، ومن ثم يحرم قتالهم ، لكن **أبا بكر** لفت نظره قول الرسول ﷺ **(إلا بحقها)** وحق المال الزكاة ..

عند ذلك سلم **عمر** بحسن فقه **أبي بكر** ، وأثنى على ذكائه وفطنته ، ووافقه على حرب المرتدين ومانعي الزكاة .

ولم يقف مجال الشورى عند هذا الحد ، بل شمل القضاء أيضاً ، ولا غرابة في ذلك ولا تجاوز ، فالقاضي الذي تلتبس عليه معاني النصوص فلا يتبين الحق من الباطل ، مطالب بأن يستعين في ذلك بمن يراه أهلاً لهذا ، طلباً للحق ، واستبراءً من النار ..

روى **البيهقي والدارمي** عن ميمون بن مهران قال : **(كان أبو بكر إذا ورد عليه الخصم نظر في كتاب الله .. فإن وجد**

فيه ما يقضي به قضى به بينهم .. وإن لم يجد في كتاب الله نظر .. هل كانت من النبي ﷺ فيه سنة .. فإن علمها قضى بها ، فإن لم يعلم خرج فسأل المسلمين فقال : أتاني كذا وكذا - فنظرت في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ - فلم أجد في ذلك شيئاً فهل تعلمون أن النبي ﷺ قضى في ذلك بقضاء ؟ فربما قام إليه الرهط فقالوا : نعم قضى فيه بكذا وكذا - فيأخذ بقضاء رسول الله ﷺ - ويقول عند ذلك : « الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ عن نبينا » .. وإن أعياه ذلك - دعا رؤوس المسلمين وعلماءهم فاستشارهم - فإن اجتمع رأيهم على أمر قضى به ، وإن عمر بن الخطاب كان يفعل ذلك - فإن أعياه أن يجد شيئاً في الكتاب أو السنة نظر .. هل كان لأبي بكر فيه قضاء - فإن وجده قضى به - فإن لم يجد دعا رؤوس المسلمين وعلماءهم واستشارهم ، فإذا اجتمع رأيهم على أمر قضى به .

ولم تتعرض الرواية لحالة الخلاف ، فإذا وقع فلا شك أن رأي الإمام يصبح عامل الترجيح .. خاصة إذا وضعنا في اعتبارنا أن الإمام مفترض فيه أن يكون على درجة عالية من الفقه بالشريعة إلى جانب أن الأمة أولته ثقتها بتفويض أمرها إليه ، وهي قوة معنوية لها جلالها ..

فإذا تجاوزنا هذه الأمور العامة - إلى المسائل الخاصة والقضايا الشخصية التي تمس الفرد في حياته وداخل دائرة مصالحه - فهو فيها بالخيار بين أن يكتفي برأيه ، وبين أن يضيف إليه ثمرات أفكار من يعرف من ذوي الرأي والحكمة من قومه - والأحاديث النبوية الشريفة التي ترغب في الشورى كثيرة مستفيضة ..

وقد استشار النبي ﷺ بعض أصحابه بخصوص حادث الإفك ..

مواقف الشـــورى في حياة الرســول ﷺ :

لعل أفضل ما يفسر النصوص ويوضح المعاني هي **التطبيقات العملية** - فالنصوص تختلف حول تفسيرها الأفهام اختلافاً كبيراً - أما الأفعال فمجال الاختلاف حولها ضيق شديد الضيق ..

وأفعال رسول الله ﷺ كتاب نفهم به كتاب الله ، ونعلم منه أحكام الدين .

وإذا ما استعرضنا مواقف الشورى في حياة الرسول عليه الصلاة والسلام ، فهمنا أنها واجبة على ولي الأمر ، وأن نتيجتها ملزمة له ، وأن الشورى دعامة الحكم في شريعة الإسلام ..

في غزوة بدر خطب النبي ﷺ في أصحابه يستشيرهم رأيهم - فأسرع إليه صوت المهاجرين في شخص أبي بكر يعلن الموافقة على القتال - لكن **الرسول ﷺ** لم يكتف برأي المهاجرين .. فقال :

(أشيروا علي أيها الناس) ، يريد رأي الأنصار .. فقام **سعد بن معاذ زعيم الأنصار** مؤيداً دعوة القتال .

والملاحظ أن **الرسول الكريم ﷺ** كان يود خوض هذه المعركة ، ويدرك بإلهامه الصادق أنها خير وانتصار للإسلام ، ومع ذلك لم يتخذ قراراً لحرب إلا بعد موافقة إجماعية من المهاجرين والأنصار ..

وعلى العكس من ذلك غزوة أحد ، كان رسول الإسلام وقائد المسلمين يرغب البقاء في المدينة وعدم الخروج إلى كفار قريش ، لكنه وجد إلحاحاً من المسلمين على الخروج فخرج مكرهاً .. يبدو عدم الرضا واضحاً في قوله وفعله فلما رأى المسلمون ذلك ندموا وقالوا : **استكرهنا رسول الله ، ولم يكن لنا ذلك ..**

وبعد أن لبس ثوب الحرب طلبوا منه أن يرجع ، لكن **الرسول القائد** قال لهم : **« ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل »** ..

بعد هذين الموقفين - تأمل معي قول الله تعالى : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ، فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ ألا ترى معي أن أمر الله في هذه الآية للوجوب ؟ وأن العزم يكون على ما استقرت عنده الشورى ، وإن كان ذلك ضد رأي الحاكم ؟ ..

وسوف يزداد علمك ويمتلىء قلبك وفعلك بنور اليقين كلما استعرضت مواقف الرسول المعلم الحاكم ﷺ في الشورى - وتصبح النصوص الكريمة من كتاب الله وسنة رسوله - أطوع للفهم وأشد موافقة لطبائع الأشياء ..

وإذا افترضنا جدلاً أن الشورى ليست واجبة وأن نتيجتها غير ملزمة ثم أخذنا في اعتبارنا إجماع العلماء على أن انتخاب رئيس الدولة الإسلامية يكون مدى الحياة ، وأن الخروج عليه جريمة ..

هل يجد الناس في نفوسهم صبراً على رجل استبد برأيه في خاصة أمورهم وعامتها .. وأصم أذنيه عن النصح وتكبر على المشاورة - وذهبت بعقله خمر السلطان - فاتخذ إلـــهه هواه ؟

وإذا وجد الناس هذه العملة النادرة في دنيا الناس وهي الصبر ، فهل تكون دولة الإسلام في الصورة التي أرادها الله ورسوله بين حاكم معجب برأيه ، وشعب لا يملك أن يصون حقوقه ؟

راي الجماعة لاتشقى البلاد به   رغم الخلاف وراي الفرد يشقيها

إلى الإسلاميين:

هل تغني وحدة الهدف

■■ عندما يتم الانفصال بين القول والعمل ، فتلك طامة كبرى ، وعندما يفقد العمل سمة التخطيط فقد زهقت روحه .

والعمل الإسلامي اليوم وعلى امتداد ساحته ، وفي كثير من مواقفه يقرر هذه الحقيقة اتم تقرير ، إذ له من الأدواء ما هو معلوم لبادي الرأي وللعالمين ببواطن الأمور على السواء ■■

وداء الانهماك في رفع الشعارات الإسلامية مع نسيان الأساليب والطرق العملية لتمرير وإيصال هذه المبادىء إلى الأمة ، ليس بالاقل خطورة ، بل وانه ليستبطن منها النصيب الأوفر ، ذلك بأن رفع الشعار والعزف على نغمته ، لن يغني من الإجراء العملي شيئاً ، وإلا كنّا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه .

وحـدة الصف والهـدف . .

ذلك ، بأنه إذا تركت الحبال على الغوارب ، فإن هذا سيفضي إلى بلبلة فكر زيادة إلى ما نحن فيه ـ وتشتيت طاقات ـ كم نحن في حاجة إليها . وإذا ذكرنا بان المعركة ضد الإسلام ليست معركة إقليمية ، بل معركة عامة يتولى كبرها قوى عالمية تطارد نفوذ الإسلام في كل قطر ، وتعتبر كبت الحركات التي تحمل شعاراته ، خطأ رئيساً ثابتاً في مخططها . وضح لنا اننا إزاء عداوة عاتية مصممة ، لن ينفعنا تذرع سقيم بالحملة عليها ، وعلى اساليب كيدها ، وإنما درعنا الذي ندفع به عن انفسنا ونحفظ به طاقاتنا هو وحدة صفوف العاملين للإسلام مهما كانت هيئاتهم ومجالات نشاطهم ، وتامينها من كل الثغرات .

إن ما نصبو لقوله هو التأكيد على أن وحدة الهدف لن تغني عن وحدة الصف والمنهج السليم . ومحاولة العمل الجاد للإسلام أمر يتربص به دائماً ـ وكشيء طبيعي ـ خطر العمليات التخريبية المتواصلة من قبل القوى الخارجية ، والنشطة وسط الجسم الإسلامي العامل بمؤازرة القوى الداخلية والتي تتناقض طروحاتها مع الطرح الإسلامي كلياً أو جزئياً ، لذا توجب الاحتراز في كل خطوة والاستعصام بقوله تعالى :

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ ، فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعاً ﴾ (النساء : ٧١) .

تمثل أدب الخلاف لإفشـال المخططات التخريبية . . .

ولشل وإبطال فعاليات هذه المخططات التخريبية ، وكرد واعٍ عليها نرى أنه يجب : إلغاء كل الحساسيات التي وجدت بين بعض العاملين للإسلام ـ افراداً وجماعات ـ كمطلب استراتيجي يعبر عن وعينا بما يتهددنا ، ولما نقوم به ، وإلا فكحد أدنى أن نغض الطرف عنها في هذه المرحلة التي تمر بها الدعوة الإسلامية .

والاستجابة العملية والصادقة لهذا الاقتراح تتمثل فيما يلي :

١ ـ وقف وإيقاف كل التهجمات والانتقادات الشخصية أو الاعتبارية للعاملين للإسلام فيما بينهم وذلك حتى لا تجني اليمين على الشمال ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ (الأنفال : ٤٦) .

٢ ـ حصر النقد في الرد العلمي الموضوعي وليسع المسلمين الخلف ما وسع السلف ، من رحابة صدر وسعة بال وأدب جم .

وإذا كان هناك من خلاف ففي التحقيق العلمي المخلص مندوحة عن المراء والتعصب قال النبي ﷺ :

« ما ضل قوم بعد هدي كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ، ثم قرأ ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ﴾ » (رواه الترمذي من طريق أبي هريرة وقال حسن صحيح ، وابن ماجه وابن أبي الدنيا)

ولصاحب (الظلال) في هذا كلمة ، نرى ذكرها من الحكمة ، قال رحمه الله :

« ليس الذي يثير النزاع هو اختلاف النظر ، إنما هو الهوى ، الذي يجعل كل صاحب وجهة يصر عليها مهما تبين له وجه الحق في غيرها ، وإنما هو وضع الذات في كفة والحق في كفة ، وترجيح الذات على الحق ابتداء » (الظلال ١٠ ـ ٢٦) .

● وجحود ما عند الآخرين من حق هو من عين صفات اليهود والنصارى :

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ (البقرة : ١١٣) .

ومعلوم أنه كان عند كل من الطائفتين شيء من الحق إلا أن الهوى والتعصب يعميان ويصمان . ونحن نربأ بالعاملين للإسلام أن يتلبسوا بشيء من صفات اليهود والنصارى .

ابن تيميـة يشخص دوافع الاختلاف المذموم . . .

● ولقد شخص ابن تيمية دوافع الاختلاف المذموم بما ليس بعده مزيد ـ في نظرنا ـ وذلك من خلال استقرائه لآيات الكتاب فقال رحمه الله مبيناً أن أسباب الاختلاف إنما يكون منبعها :

(تارة فساد النية ، لما في النفوس من البغي والحسد .. وتارة اخرى جهل المختلفين بحقيقة الأمر الذي يتنازعان فيه ، او الجهل بالدليل الذي يرشد به احدهما الآخر ، او جهل احدهما بما مع الآخر من الحق : في الحكم ، او في الدليل ، وإن كان عالماً بما مع

بقلم : محمد السعيد رزاز

عن وحدة الصف ؟

نفسه من الحق ، حكماً ودليلاً) [اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص٣٧ ط السنة المحمدية] .

وإذن فعلة الاختلاف المذموم عند ابن تيمية ـ من خلال منطوق عبارته ـ الجهل والظلم . الجهل بحقيقة القضية المتنازع فيها حكماً ودليلاً ، والظلم بأنواعه المختلفة ، سواء أكان ظلماً للآخرين بعدم الرضوخ لما معهم من الحق ، أو ظلم النفس بالبغي وتجاوز الحد ، باستبطان النية السيئة ، وتبييت المقصد المغرض ، وكلاهما شر ، ما كان ليجد له موضع قدم بين صفوف العاملين للإسلام .

● ذلك ، بأن الأمر الطبيعي والمنهج العلمي الأمثل يقتضيك إن كنت موقناً بأنك على الحق ، وأن ما معك حق ، ألا تصرف الجهد والوقت في مهاجمة الآخرين بل يكفيك أن تقدم لمن لم ير رأيك ما عندك من الحق بأسلوب مقنع ، وفي وقت مناسب يكفيك هذا للإبانة عن وجه الحق ، وهذا لا يمنعك بداهة من الرد على شبهات المبطلين وجهالات المناوئين من الخصوم الأيديولوجيين أي غير المسلمين ، فذلك من صميم منهجك القرآني .

الالتقاء والحوار لإزالة الخلاف . . .

٣ ـ وعليه فما الباب الشرعي لإزالة الخلاف بين إخوة الإيمان ومسيرة الدعوة إلى الله ، إلَّا باب الالتقاءات والمحاورات ، فهذا الباب أرحب وأوسع من أن نسود صفحات كتبنا ومجلاتنا بنهش لحومنا ، فمن خلال هذا الباب وفي جو تغمره المحبة والمقصد الشريف شعاره : ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ (الشورى : ١٠) .

ومن خلال ولوج العاملين للإسلام ساحة الحوار الصريح والأخوي ، والذي يسند كل طرف فيه رأيه الذي تفتق عنه اجتهاده إلى حجة من كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ أو ما قام مقامهما ، يتضح الصالح من الطالح ، وتنقطع الدعاوىٰ وتتهاوى الأقاويل .

وما كان عبثاً أن يخاطب النبي ﷺ الذين أعرضوا عن ذكر الله بمثل قوله تعالى :

﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾

ما كان ليفعل ذلك عبثاً ، بل لحكمة علمها من علم وجهلها من جهل ، وما نراها تخفى على لبيب .

٤ ـ وإذا كان لنا كما يبدو ونردد فقه في حركة ، وبصيرة في دعوة ، فغير مستساغ في هذا الادعاء التغاضي عن قاعدة ذهبية فحواها :

(كل مسالة لا ينبني عليها عمل فالخوض فيها خوض فيما لم يدل على استحسانه دليل شرعي ...) [الموافقات للشاطبي ـ ج١ ـ ص٤٦ . ط دار المعرفة ، شرح عبد الله دراز] .

● ونحن إذ نرفع لواء الأخوة يهوي معه كل تبرير لبقاء خلاف مدمر ، أم حسب الإخوة أن تكون شعاراً يرفع ، ألا وأنه :

(لن يرتقي داعية إلى أوج الوعي إلا إذا اعتبر إبراز خلق الأخوة الإيمانية ، وتعليم موازين الإخاء ، هدفاً أساسياً من بين أهداف الدعوة الإسلامية ، وإلا إذا أدرك أن إحلال هذا الخلق في التعامل الواقعي بين المسلمين وتجسيده في صورة عمل متآخية يخول الدعوة ادعاء النجاح) [العوائق للراشد ص٢٧] .

ألا وإن لكل عامل للإسلام ـ شخصاً أو جماعة ـ زلة بل زلّات ، ما في هذا ريب ، وليس مكمن الداء في هذا ، إذ هو من فطرة الله التي فطر الناس عليها :

﴿ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلاً ﴾ (فاطر : ٤٣) ، و « **كل بني آدم خطَّاء ...** » .

باب النصيحة . . . أسلم من باب الفضيحة . . .

وإنما العلة والخطر أن نشيع الزلل ، ونشهر بأصحابه ، ونكثر الهمز واللمز ومقالات السوء فيمن زلَّت قدمه ، أو ضل فهمه ، متناسين بشريتهم غير المعصومة ، أليس حرياً بنا أن نمعن النظر في قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (النور : ١٩) .

وعليه فباب النصيحة أسلم من باب الفضيحة .

وإن من شمائل المؤمنين : « **لا اختلاف بينهم ، ولا تباغض ، قلوبهم كقلب واحد** » [رواه البخاري في صحيحه] ، وهل يبقى مع الإيمان الحق خلاف يشتت الشمل .. ها هو ابن السمَّاك لما قال له صديق : **الميعادُ بيني وبينك غداً نتعاتب** ، فما كان من ابن السماك إلا أن صحح مسار الحديث ، وبيَّن المنهج الأسلم في حل الخلافات الطارئة بفعل قضايا اجتهادية ، فقال محاولاً رفع مخاطبه إلى المستوى الأليق فقال :

(بل بيني وبينك غداً نتغافر) .

ويعلق صاحب العوائق على هذه الكلمة مبيناً عمقها ووجاهتها فيقول : **(هو جواب يأخذ بمجامع القلوب ، ملؤه فقه وواقعية ، يشير إلى وجود قلب وراء هذا اللسان يلذعه واقع المسلمين ، فلماذا التعاتب المكفهر بين الأخوة . كل منهم يطلب من صاحبه أن يكون معصوماً .. أليس التغافر أولى وأطهر وأبرد للقلب .. أليس عبوس التعاتب تعكيراً تصطاد الفتن فيه كيف تشاء ، بلى والله)** [العوائق للراشد] .

ونضيف نحن إلى هذه الكلمة فنقـــــول :

يا ليت الأمر لم يتعد التعاتب فوقف عنده ، بل لقد قرانا بأعيننا وسمعنا بآذاننا من كتب وتكلم ؛ يكيل الشتائم والنعوت المذمومة لإخوته كيلاً ، ولك أن تقدر مدى الانعكاس السيء لمثل هذه الممارسات والسلوكيات على شبابنا ، الذي هو أملنا وعدتنا في سبيل بعث أمتنا الإسلامية إلى الوجود الحضاري المؤثر في دنيا الناس .

فيا من ولجتم هذا المولج ، اخرجوا منه ، تكونوا من الفالحين .. والله الموفق .

الكتاب : دراسات تاريخية
المؤلف : الدكتور عماد الدين خليل
الناشر : المكتب الإسلامي - بيروت

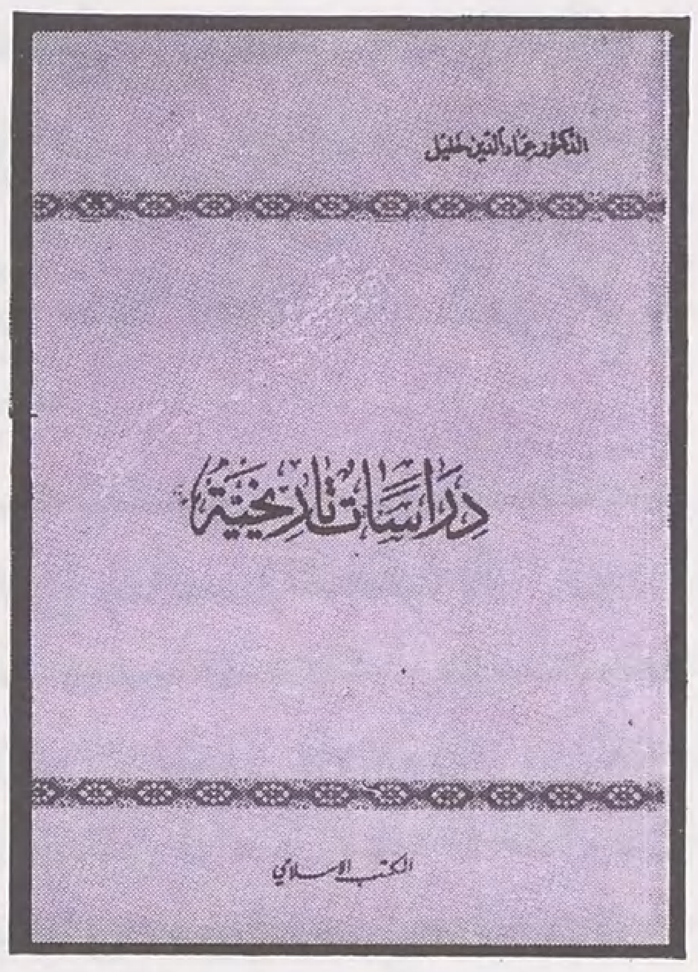

□□ تعتمد الدراسة التاريخية - كما يقول الدكتور عماد - طريقتين للعرض ، تقوم إحداهما على اختيار مسألة واحدة استعراضاً ومناقشة وتحليلاً لكي تأخذ مساحة كتاب بكامله ... وتقوم الأخرى على طرح عدد من القضايا موزعة على مساحات من التاريخ الإسلامي ، ممتدة في الزمان والمكان ... وكما استخدم الدكتور عماد الطريقة الثانية في كتابه السابق « **في التاريخ الإسلامي : فصول في المنهج والتحليل** » نجده يستخدمها أيضاً في كتابه الذي نقدمه للإخوة القراء « **دراسات تاريخية** » حيث يتحدث فيه عن :

مقاومة المدن الإسلامية للغزاة **(حلب تتصدى للصليبيين - الموصل تقاوم المغول - ماردين تتحدى تيمورلنك)** ثم يعقد مقارنة بين مقاومة هذه المدن للمعتدين ، ومقاومة المدينة المنورة على عهد رسول الله ﷺ للأحزاب ، مؤكداً أن عامل الإيمان بالله ورسالته ، والاستماتة دون عقيدة الإسلام وأرضه ، والتكوين الجهادي الذي صنعته هذه العقيدة عبر الأجيال على مستوى القيادات والقواعد ، يبقى العامل الأكبر والأخطر في ترجيح موازين القوى ، وفي تمكين المسلمين عبر التاريخ من مجابهة خصومهم والتفوق عليهم ..

وفي « **محاولات انقلابية في تاريخنا** » يذكر أن التاريخ الإسلامي شهد محاولات عديدة للعودة بالحياة إلى الصيغة التي أرادها الله عز وجل ورسوله ﷺ ، وأن بعض هذه المحاولات كان شاملاً متكاملاً مثل : « **محاولة عمر بن عبد العزيز ونور الدين محمود** » وبعضها الآخر كان جزئياً محدوداً مثل : « **محاولة الالتزام بتحريم الخمر** » في عهد السلطان المملوكي ركن الدين بيبرس المنصوري [٧٠٩هـ] ، وكذلك محاولة والي الإسكندرية الأمير بكتمر الحسامي ووالي القاهرة سيف الدين قدادار في هذا السبيل ..

وإلى جانب محاولات الإصلاح الاجتماعي هذه ، يتطرق إلى محاولات إعادة الأمر شورى بين المسلمين في مجال السياسة ويقدم لذلك مثلاً بمحاولة الوزير الأندلسي أبي الحزم جهور بن محمد عام [٤٢٢هـ] . والتي أدت إلى تشكيل ما عرف بحكومة الجماعة التي كانت أنموذجاً بديعاً في حكم الشورى ..

وفي « **شيء عن جاهلية العرب** » يبين أن التاريخ أو الفعل الحضاري لا يتجزأ ، فالجماعة البشرية عندما تعاني الانتكاسة في جانب ما من وجودها ينسحب الأمر بالضرورة على الجوانب الأخرى ... وكيف أن جاهلية العرب كانت امتداداً محتوماً لعقيدتهم الوثنية المترعة بالسخافات والضلالات والأوهام ...

وفي « **عين جالوت : الواقعة والمغزى** » يبين أن هذه الوقعة جاءت وظلام الإعصار الوثني المتحالف مع الصليبية يكاد يطبق على نور التوحيد ، فعلمت الناس عامة والمسلمين خاصة كيف يكون الإيمان الجاد المعزز بالرؤية الواعية والتخطيط المدروس قديراً على تحقيق المعجزات ...

وفي « **دراسات بلدانية تراثية** » يقدم ملاحظات عن تراث الموصل العمراني - الخطوط والزخارف - المخلفات الشيئية كالأثاث والملابس ... - العادات والتقاليد الثقافية والاجتماعية) .

وفي « **فلسطين في الأدب الجغرافي العربي** » يؤكد أن التعامل مع معطيات الأدب الجغرافي يقود إلى حقيقة مهمة هي : تضاؤل الحضور اليهودي في فلسطين عبر العصور الإسلامية ... وسماحة المسلمين في تعاملهم مع أبناء الأديان الأخرى كما علمهم كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ .

وأخيراً في « **المستشرقون والسيرة النبوية** » يستنتج من خلال استعراض سريع لمناهج هؤلاء الرهبانية النصرانية ، والعلمانية الاستشراقية ، والمادية التاريخية أنها ليست بقادرة على إدراك البعد الحقيقي لعصر النبوة الذي غير مجرى التاريخ ، كما أنهم ليسوا بقادرين على طمسه وتزييفه ... وأن الذي يدرك هذا البعد ويستعيد جوهره هم أبناء الإسلام وحدهم . □□

الكتاب : فن الكتابة والتعبير
المؤلف : محمد علي أبو حمدة
الناشر : مكتبة الأقصى - عمَّان - الأردن

□□ أصبحت الجامعات في بلاد العرب والمسلمين تضرب بجرانها لتهيء للناشئة أجواء تحصيل واكتساب يستطيعون من خلالها خدمة أمتهم والمساهمة في بناء الحضارة الإنسانية من جديد ، وأهم ما يميز هذه الجامعات الإسلامية والعربية هذا التململ لتأصيل الثقافة والتحصيل العلمي من خلال اللغة العربية ، لأن استمرار التدريس بغيرها لا يزال مصدر إغضاء لنا ولجامعاتنا ، وواضح أن العجز فينا وبنا ، وليس في لغتنا ...

وفي هذه الدراسة حرص الكاتب على شد المصطلح العربي إلى رفقه الإنكليزي ، وكان اعتماده كما قال على الأصول العربية ومظانها في البيان والنقد والأدب والعلوم والمعارف ، وكان القرآن الكريم الأفق الأعلى في تصور البيان والتبيين ...

وقد نوه الكاتب في هذه الدراسة بالبيان واللغة : أثرهما في حمل الرسالة الإسلامية ، وأثر ذلك في النفوس مع تفصيل في لحمة البيان بالعلم ومعطيات الحضارة ، وتفصيل في لحمة اللغة بالفكر وطرائق التفكير ؛ وتعامل مع البيان من حيث هو كتابة ومقدرة على الإفصاح ، ومع أدوات الكتابة من خلال : الموضوع والمقصد ، ومن خلال الفقرة فالجملة فاللفظة ؛ ثم أردف ذلك كله بنصوص هادفة من حيث الشكل والمضمون ، وبنماذج تطبيقية .

ووصل إلى نتيجة أن التعامل مع المبادىء العامة والأصول ، وتعلم تحليل النتائج التي يحرزها كتاب معينون في حل مشكلات معينة من شأنه أن يبصر بمواقع الإبداع ، وأن يوقظ الملكة اللغوية ، وأن يتيح للشادي من أدوات الكتابة ما يوفر له فرصاً أكبر كي يحسن هذا الفن ، فن البيان والتبيين ، فيما يقدم من بحوث ورسائل وموضوعات وتقارير .. □□

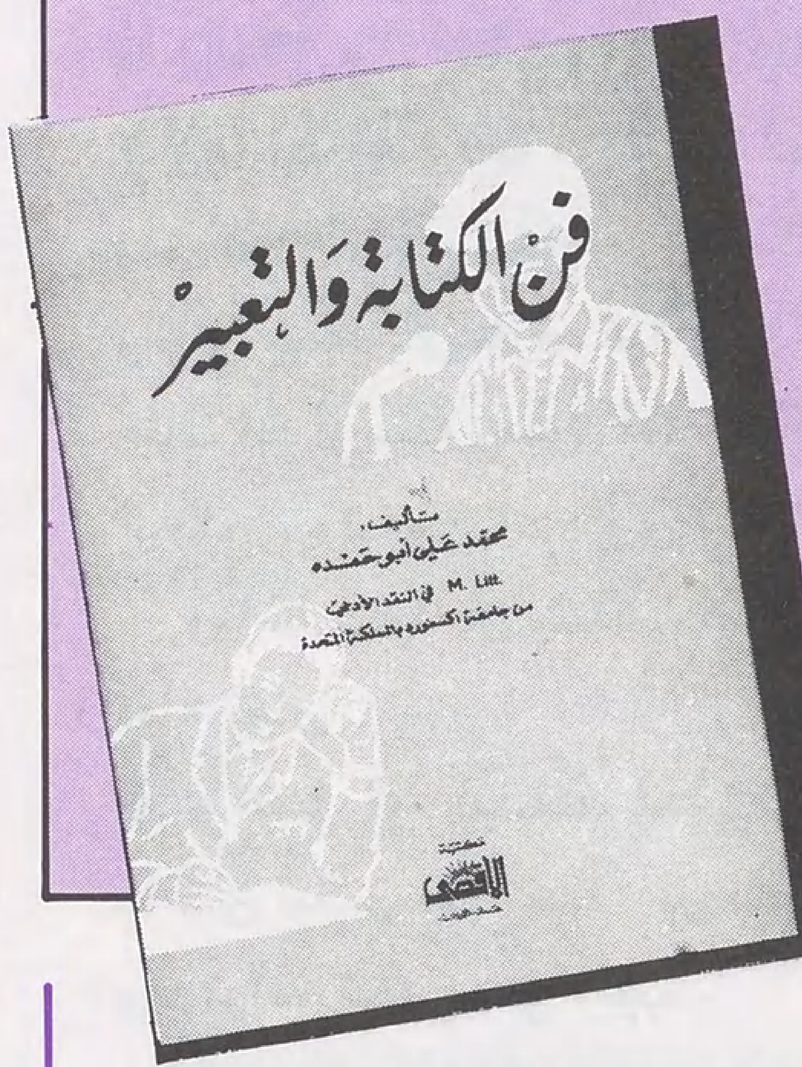

الشيخ عثمان دان فوديو

أبو حركة الإصلاح الديني في غرب افريقيا

١٧٥٤ - ١٨٠٢

بقلم : الشيخ التيجاني أندوي

□□ كانت منطقة غرب افريقيا منذ بزوغ فجر الاسلام بين ظلمة الكفر ونور الإيمان ، وكان فيها الاسلام بين الإقدام والإحجام ، والانفتاح والانكماش ، وقد بلغ الفساد فيها منتهاه ، وكادت آثار الاسلام تندثر لارتداد أكثر المسلمين بأفعالهم وإن كانوا يتخذون الاسلام ديناً بلسانهم ، عبد بعضهم الأنهار والأشجار والأحجار ، وأصبحوا يلجؤون إليها لدفع الشر وجلب الخير ، وارتقى السلاطين إلى قمة الجور والطغيان مستعينين بعلماء ركنوا إلى الراحة والدعة □□

في هذا المحيط المتكدر ، وهذا الجو الكافر ، ولد الداعية الاسلامي المجدد ، والمجاهد الكبير : **الشيخ عثمان بن فوديو يوم الأحد ١٥ ديسمبر عام ١٧٥٤م** من أسرة مؤمنة في مدينة تعرف بـ (**غوبر**) ، ونشأ في كنف والدين كان لهما فضل توجيهه إلى الدين والعبادة حيث أخذ مبادىء العلم عن والده محمد فوديو ، ووالدته حواء ، وجدته رقية ، كما تربى على أيدي شيوخ وعلماء من الفولانيين والهاوساويين والبرناوسيين وتلقى عنهم العلم والعمل الصالح والورع .. ولما بلغ **الشيخ عثمان** مبلغ الرجال العارفين ، وجد أهل عصره على طوائف خمس ، وهي : كفار يعبدون الأشجار والأنهار والجان والشياطين . ومرتدون لشدة اختلاطهم بالكفار ، ومسلمون يصلون ويصومون ويزكون ، ولكنهم جهلاء ، يخلطون عباداتهم بالعبادات الكفرية والتقاليد الجاهلية التي تصلهم بالماضي الوثني ، وعلماء ركنوا إلى الدنيا واستمالوا لزخارفها ، وتعاطفوا مع الملوك الظالمين ، وسكتوا عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأخيراً علماء صالحون يعملون على نشر الهداية والحق ، ومنهم مشايخه الذين ربوه وعلموه ، كما أنجبوا له أصحاباً نصروه في دعوته الاصلاحية ، وقد توفر لشخص ابن فوديو صفات قل أن تجتمع في إنسان واحد ، وهو أول داعية في افريقيا قام بتغيير المنكر بجميع صوره وأشكاله ، وبكل الوسائل : **بالقلب وباللسان ، ثم باليد وإشهار السلاح ، وإقامة دولة تحكم بكتاب الله وسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم . وشارك العلماء والفقهاء في إفادة قومهم ، فوضع كتباً عديدة في مختلف الفنون الدينية والسياسية والثقافية ، كما اجتهد في تهذيب الأخلاق وتربية النفوس بالأذكار والأوراد** .

واشتغل الشيخ بالقرآن رسماً وتجويداً ، وبرز في النحو والفقه والتوحيد ، فكان مثار الاعجاب ومناط الآمال ، وكانت أكبر أمنية تراود نفسه أن يركب جناح السفر إلى البلاد العربية ، ويرى بعضهم أنه رحل ، بعدما استسهل الصعاب ، وذلل العقبات إلى الحجاز ليثلج صدره من منابع العلم ومناهل العرفان هناك ، ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الاصلاحية في ذلك الوقت كانت في أوجها ، فخالط **أتباعها** ، وأقام بينهم ، واستمع إليهم وتأثر بهم ، مما أيقظ في نفسه إرادة محاربة البدع في بلاده ، ورغبة إيقاظ بني جنسه من سباتهم ورقودهم وحياتهم الدينية المشوهة .. إلا

ان بعضهم يرى أن هذا السفر إلى الحجاز والاختلاط بالوهابيين مبني على الظن والتخمين ، افترضه الفرنسيون ومن أخذوا عنهم ، وهذا الافتراض لا علاقة له بدعوة **ابن فوديو** بسبب ان **الدعوة الوهابية** ، إنما قامت أول أمرها في بلاد نجد سنة ١١٥٣هـ ، ولم تنتشر في الحجاز انتشاراً يجعلها مقبولة ، ولم تعرف في مكة المكرمة إلا في ١٢١٨هـ ، وقد بلغت في هذا التاريخ دعوة **ابن فوديو** ذروتها ، وبدأ في الجهاد مع ملوك الهوسا ، كما أنه لو حج أو زار بلداً من البلدان العربية لكتب ذلك ، أو كتبه عنه تلاميذه الذين سجلوا حياته ، والحوادث التي تعلقت بها ، ومما يدل على عدم اتصاله بالوهابية أيضاً ، أنه لم يرد ذكر محمد بن عبد الوهاب ي مؤلفاته أو في أشعار ومؤلفات أخيه وابنه ، كما فعلوا بالنسبة للمشايخ الذين أخذوا عنهم كابن الحاج والأزرق والسيوطي.

ومهما يكن من أمره ، فقد صار للشيخ صيت عظيم في الآفاق ، بوعظه ودروسه ، وصار يقصده الأقربون ويكاتبه الأبعدون ، وتكونت من مستمعين لوعظه هيئة منظمة سماهم الجماعة ، وهم أنصار دعوته الاصلاحية ، وكان منهج دعوته : التدريس بعد كل صلاة عصر وعشاء ، والوعظ والارشاد ، وكان يخرج للوعظ ليلة كل جمعة ، ويحضر وعظه خلق كثير رجالاً ونساء ، كما كان يخرج إلى الأماكن القريبة والبلدان المجاورة للإفادة . ودعوة الشيخ تدور دائماً حول ما فرضته الشريعة من الأصول والفروع وضرورة اتباع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ورد أوهام الطلبة في التوحيد والفقه ، والتوجه نحو الصواب ، وإخماد البدع الشيطانية ، ورد العادات الرديئة ، وبث علوم الشريعة.

وعلى هذا الأساس ، اعتمدت الحركة الاصلاحية الواسعة النطاق ، وقام الجهاد الأكبر ، انطلاقاً من (**غوبر**) مسقط رأس **الشيخ عثمان بن فوديو** ، **ولكن ملكها اجبره على الخروج يوم ١٢ نوفمبر ١٨٠٤م** وأصبح هذا التاريخ تاريخاً دينياً عظيماً في شمالي نيجيريا ، ويطلق عليه « **يوم الهجرة** » ، هاجر الشيخ وجماعته البالغ عددها خمسة آلاف شخص إلى حدود بلاد غوبر بمكان يعرف ب (**قدو**) حيث بايعه ، بعد ابنه **محمد بللو** وأخيه **عبد الله** وصديقه **عمر كوني** سائر العلماء والأعيان والوجهاء من أصحابه وتلاميذه على طاعة الله ورسوله والجهاد في سبيله ، وكان لا يتصل بالملوك والأمراء ولا يزورهم في الأعياد والمناسبات إلا أن الملك سمع بأمره وكثرة جماعته ، فاستحضره مع جماعة من العلماء ، وحضر بين يدي الملك علماً منه بأن هذا الحضور سيتم به عمله وتتقوى به دعوته ، وقد شرح له الدين الصحيح ، وطلب منه إحياء معالم الاسلام ، وإقامة العدل بين الرعية ، وتطبيق الأحكام الشرعية ، فقبل الملك كل المطالب جاعلاً إيَّاه المرجع الوحيد الذي يسند إليه الفتوى في مجلسه ، إلا أن العلماء اتهموه بطلب الجاه وحب الرئاسة والرياء ، وطلبوا له المثالب والمعايب في أفعاله وأقواله ، وانكروا عليه بعض تصرفاته ، مما أدى في نهاية المطاف إلى مشاحنات بين الملك والشيخ . واستطاع هذا الأخير أن يقيم مراكز في طول البلاد وعرضها ، ليشن أتباعه منها الهجمات ضد القبائل التي بقيت على كفرها ووثنيتها ، وهزم قبائل (**غوبر**) وما جاورها ، كما سقطت في يد الشيخ المجاهد في وقت قصير مناطق واسعة ، وأسس دولة إسلامية عظيمة تمتد من شمال الكمرون إلى شمال نيجيريا ، وجعل عاصمتها « **سوكوتو** » ومن العوامل التي ساعدت على انتشار دعوته ضعف روح المجتمع في تلك الممالك ، وسيادة الفرقة والانقسام ، وتفشي المظالم ، وعبء الضرائب ، وطغيان السلاطين ، كما كان الشيخ يعرف كيف يواجه المجتمع الوثني بتعليماته **التي تهدف إلى الاصلاح الاجتماعي ، واتباع الشورى ، واجتناب الفواحش ، وسلاحه في كل ميدان يخوضه بلسانه او بقلمه : كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم** .

رأى **الشيخ عثمان** أنه قد أدى رسالته ، وأن جهاده وصل إلى قمة النصر ، فصرف همه إلى تنظيم شؤون الدولة ، وقسم الدولة الفولانية بين أخيه الشقيق : عبد الله بن فوديو ، ويشرف على الجزء الغربي منها ، وابنه السلطان : **محمد بللو بن الشيخ عثمان** ، وكان نصيبه الجانب الشرقي ، واكتفى هو بالزعامة الروحية متخذاً مدينة (**سوكوتو**) مقر الإقامة ونقطة انبعاث الدعوة الكبرى.

هذه الحركة الاصلاحية ، لم تكن مجهولة ، خارج افريقيا الواقعة جنوب الصحراء ، إذ كان ملوك المغرب يتتبعون عن كثب الانجازات في ميدان الدين التي حققها المصلح الافريقي ، فكاتبوه وأثنوا عليه ، ومن ذلك أن السلطان محمد الباقر ملك « **أهير** » كتب إلى مولاي **أحمد** ، أحد سلاطين المغرب ، رسالة يثني فيها على الشيخ ، ويخبره بما شاهد من أحوال الدعوة والتفاف الناس حولها ، ففرح السلطان المغربي بما قرأ ، وكتب إلى الشيخ عثمان ما نصه :

(بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلوات الله على سيدنا محمد المصطفى الكريم وآله وأصحابه الذين انتهجوا نهجه القويم ..

إلى السيد الذي فشا في الأقطار السودانية عدله ، واشتهر في الآفاق المغربية ديانته وفضله ، العلامة النبيه ، العدل في زمانه الشبيه ، ذي النورين : بالعلم والعمل اللذين هما منتهى الأمر . **السيد عثمان بن محمد بن عثمان بن صالح الفلاني** ، نفع الله بعلومه القاصي

والداني ، سلام منا عليه ماشتد شوقنا إليه ، ورحمة من الله تغشاه حتى لا يخشى إلَّا الله ، والله أحق أن يخشى . وبعد ،

فلقد بلغنا من الثناء عليك والتعريف بأحوالك وأفعالك ، ذلك ما أوجب محبتنا وتسليمنا إليك ، وذلك على لسان سلطان ناحيتكم أمير الطوائف الاسلامية بساحتكم .. وفي آخر الرسالة ، قال مولاي أحمد : هذا من أعظم المنح واتم النعم ، ولأن يهديَ الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم ، فالله تعالى يجازيكم عن الأمة خيراً ، ويقيكم ضيراً ، ويديم دولتكم محفوظة ومحفوفة ، بعين العناية ملحوظة ، قال تعالى : « **وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ، الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ** » والسلام منا على جنابكم الذي صار للإسلام كالبيت المعروف . والسلام عليكم ورحمة الله .

حرر في ١٨ جمادى الثانية ١٢٢٥هـ)

وعلى كل ، أخذ الشيخ عثمان يجد في التأليف الديني والاجتماعي بعدما أدرك أن دعوته قد انتصرت وانتشرت مبادىء الاسلام بين القبائل ، وخلف ثروة غزيرة من المؤلفات الدينية والسياسية والقصائد الاسلامية ، أهمها « **اصول الولاية** » و « **إحياء السنة وإخماد البدع** » ، ومثله في جمع العلوم والتأليف مثل أخيه عبد الله الذي كان محدثاً قوي الحجة . وقد تولى **احمد بللو بن عثمان زعامة حركة الاصلاح وتنظيم شؤون البلاد ، وكان على غرار ابيه وعمه ، قائداً وشخصية ممتازة ، ومفكراً جمع حوله اهل العلم والدين والأدب وتعاون معهم على نشر علوم الاسلام ودعمها في المدارس التي اقيمت في دويلات الهوسا** . ويعتبر كتابه « **إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور** » كنزاً ومرجعاً رئيسياً لتاريخ تلك الفترة . وللشيخ عثمان كتاب صغير دوَّن فيه أفكاره . ويقول فيه على الخصوص :

« العالم كله من عرشه إلى فرشه ، حادث وصانعه الله تعالى ، وهو تعالى واجب الوجود ، قديم لا أوّل له ، وباق لا آخر له ، مخالف للحوادث ، الكمال الإلهي كله واجب له ، والنقص الذي ضد الكمال الإلهي كله مستحيل عليه .. واستمر قائلاً ، ورسله كلهم من آدم إلى محمد صلى الله عليه وسلم صادقون أمناء مبلغون ما أمروا بإبلاغه للخلق .. ويجوز في حقهم الأكل والشرب والنكاح والبيع والشراء والمرض الذي لا يؤدي إلى النقص . والملائكة كلهم معصومون لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون ، نورانيون ، ليسوا بذكور ولا إناث ، ولا يأكلون ولا يشربون . والكتب السماوية كلها حق ، والموت بالأجل حق ، وسؤال منكر ونكير حق ، وعذاب القبر حق ، ونعيمه حق ، ويوم القيامة ، وبعث الأموات في ذلك اليوم حق .. وسجل عثمان بن فوديو في رسالته المسماة بـ(**هداية الطلاب**) آراءه في التقليد والاجتهاد في المذهب المالكي ، ومنها استخرجنا هذه الآراء :

(١) ان الله تعالى ، لم يوجب على احد في كتابه ، ولا رسوله في سنته ، التزام مذهب من مذاهب المجتهدين .

(٢) اختلف في ضرورة التزام مذهب بالنسبة للعامي وغيره ممن لم يبلغ مرتبة الاجتهاد .

(٣) المجتهد لا يتبع قوله ، إذا خالف نص الكتاب او نص السنة والإجماع .

(٤) ان كل ما فهمه اصحاب كل مجتهد من كلامه لا يسمى مذهباً له .

(٥) يجب على كل مكلف ان لا ينفر نفسه من العمل باقوال المجتهدين ، وهو قد صار بعض الناس اليوم إذا اضطر إلى العمل بقول غير إمامه ، يقول انه يقلد فلانا للضرورة كانه وقع في معصية ، بل فعله هذا هو المعصية الكبرى ، فيجب عليه التوبة والاستغفار من ذلك ، فانهم لو كانوا يعتقدون أن الأئمة على هدى ما نفرت نفوسهم من العمل باقوالهم لأن الهدى لا تنفر منه نفس من شاهده .

وقد انبثقت من الحركة الاصلاحية العثمانية حركات عديدة قادها زعماء مصلحون أخذوا من الشيخ وشاركوه في الجهاد من أمثال : **الشيخ احمد ولوبو ، والشيخ عمر الفولي وغيرهم** ، وبعبارة أخرى ، قامت حركة المجاهدين على أكتاف ومبادىء حركة الاصلاح التي قام بها عثمان بن فوديو .

ومن خلال هذا العرض السريع ، يستطيع القارىء أن يقف على الدور الذي أدَّاه عثمان بن فوديو في افريقيا ، جنوب الصحراء ، من السنغال غرباً إلى ما وراء غانا مروراً بمختلف دول افريقيا الغربية ، حيث برأت حركته الشعوب من كل العادات الرديئة والبدع الشيطانية ، داعية إيَّاها إلى نصرة الدين ، والتزام الورع والتقوى ، وإنكار الحرام .

والاسلام الصحيح الذي هو الاعتقاد بالقلب والعمل بالجوارح وصل إلى هذه البقاع بفضل تعليمات **الشيخ عثمان بن فوديو** ، الذي نراه يقول لأحد السلاطين ، جاءه يطلب منه العهد والميثاق لتأكيد المحبة والأمانة : « **إن اجبتني إلى متابعة الحق والشرع فانا وجماعتي من أوليائك وانصارك ، فاحكم بالعدل والشرع ، ولا تخف في الله لومة لائم . ومتى دعوت جماعتي إلى جهاد فرقة خالفتكم في الدين ، أو منعت حكماً من احكام الله او حقاً من حقوقه ، فإنهم يجيبونك وينصرونك ، وتكفى أمر الفتنة إن شاء الله** » .

يا قدس

وَجْهُكَ السَّمْحُ قَدْ عَرَاهُ الذُّهولُ ... مُذْ تَرَاءَىٰ عَلَىٰ الرُّبُوعِ الدَّخِيلُ
وَتَمَطَّىٰ الظَّلَامُ فِي كُلِّ أُفْقٍ ... وَالسَّنَا فِي قُيُودِهِ مَغْلُولُ
آهِ يَا قُدْسُ .. وَالأَذَانُ سَجِينٌ ... يَتَنَزَّىٰ وَيُخْنَقُ التَّهْلِيلُ
آهِ يَا قُدْسُ .. وَالدُّمُوعُ تَهَاوَىٰ ... وَالأَمَانِيُّ غَالَهَا التَّقْتِيلُ
أَيْنَ مَسْرَىٰ الرَّسُولِ دَنَّسَهُ الْغَدْ ... رُ .. وَفَاضَتْ مِنَ الدِّمَاءِ السُّيُولُ ؟
أَيْنَ عِطْرُ الأَمْجَادِ بَدَّدَهُ الْبَغْـ ... ـيُ .. وَأَنْحَىٰ عَلَىٰ الْغُصُونِ الذُّبُولُ ؟
وَطُيُوفُ التَّارِيخِ تَنْثَالُ حَيْرَىٰ ... رَاعَهَا فِي الرُّبُوعِ لَيْلٌ طَوِيلُ
تَبْحَثُ الْيَوْمَ عَن سُيُوفِ «صَلَاحٍ» ... أَيْنَ مِنْهَا صَلَاحُ ؟ أَيْنَ الْخُيُولُ ؟

****

هَٰذِهِ أُمَّتِي الْجَرِيحَةُ تَمْضِي ... فِي الْمَتَاهَاتِ .. وَالْجُمُوعُ فُلُولُ
كُلُّ سَيْفٍ يَفُلُّ حَدَّ أَخِيهِ ... وَعَلَىٰ الذَّاتِ حَدُّهُ مَسْلُولُ
وَالشِّعَارَاتُ زَادُنَا كُلَّ حِينٍ ... هَلْ تُعِيدُ الْحُقُوقَ يَوْماً طُبُولُ ؟
قَدْ ثَمِلْنَا مِنَ الْكَلَامِ .. فَزَحْفُ ... كُلِّ يَوْمٍ مِنَ الْكَلَامِ مَهُولُ !
وَالنُّفُوسُ الْعِطَاشُ لِلْبَذْلِ تَهْوَىٰ ... يَائِسَاتٍ .. وَعَزْمُهَا مَفْلُولُ

****

يَا سُيُوفَ الْيَرْمُوكِ .. هَلْ صَدِئَ الْحَـ ... ـدُّ .. وَكَلَّتْ عَنِ الْجِلَادِ النُّصُولُ ؟
يَا شُمُوخَ الصَّحْرَاءِ .. هَل عَقِمَ الْبَذْ ... لُ .. وَنَامَتْ عَنِ الْجِهَادِ الشُّبُولُ ؟
يُولَدُ الْفَجْرُ مِنْ دِمَاءِ الضَّحَايَا ... سَاطِعَ النُّورِ .. وَالظَّلَامُ يَزُولُ

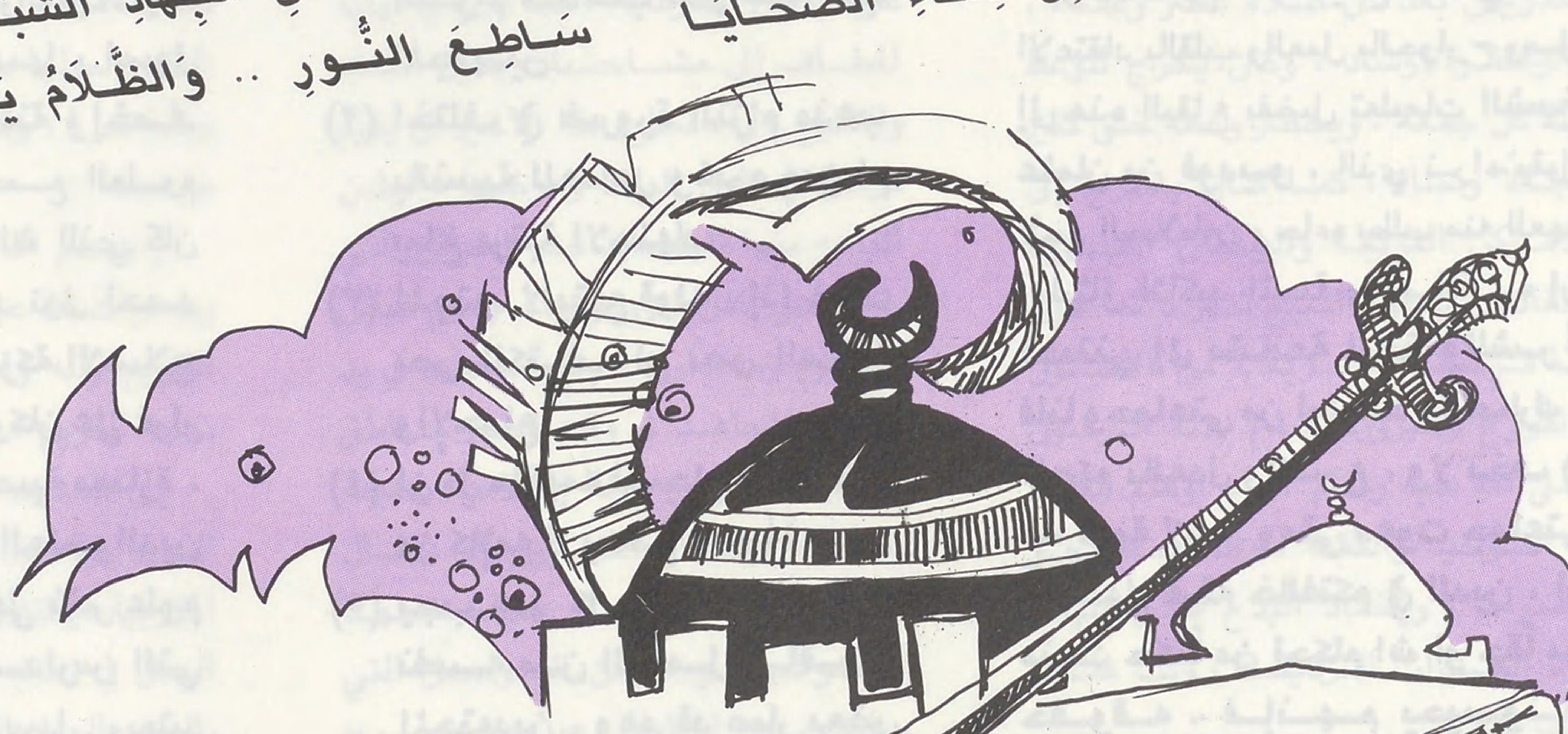

شعر : عبد الغني أحمد الحداد

بريد الأمة

●● بدأت تصلنا الرسائل ـ الخاصة بموضوع « استطلاع الرأي » ـ الذي جاءت قسيمته بالعدد الماضي (السابع والثلاثين ـ السنة الرابعة ـ بين صفحتي ١٦ ـ ١٧) .. ونحن لا نريد بهذا تذكير الإخوة القراء بالموضوع أو حثهم على العناية باستيفاء البيانات ، لأن الفكرة بالفعل محل اهتمامهم ويطبقونها بصفة منتظمة من خلال رسائلهم ... ولكن نظراً لازدياد عدد الرسائل فإننا نأمل أن يحمل المظروف عبارة (استطلاع الرأي) رغبة في تسهيل مهمة القائمين على العمل بتصنيف الرسائل وتفريغ بياناتها ..

وسوف نتابع ـ في هذا الباب ـ مراحل العمل التي يباشرها المتخصصون ، للوصول إلى نتائج مفيدة ، تكون ـ بإذن الله ـ نواة لأسلوب علمي في ممارسة العمل الإعلامي الإسلامي ●●

رسالة..

■■ من غانا ـ بعث الأخ علي سليمان جيف برسالة .. يقول فيها :

[... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد .

اسمحوا لي من خلال هذا المنبر العظيم ـ الأمة ـ أن أعرض هذه المشكلة التي طالما تواجه الطلبة المسلمين الذين يريدون الاستزادة من العلم ، عسى أن تجد حلاً .. ومعذرة إذا كنت أشرح مشكلة عامة من خلال ظروفي الخاصة ..

حصلت على ثانوية الدراسات الإسلامية من العراق بمعدل « جيد » في السنة الدراسية ١٩٨١/١٩٨٢م ، وغادرت العراق إلى بلدي ـ غانا ـ ورغبة مني في الاستمرار في دراسة الشريعة الإسلامية قمت بمراسلة معظم المعاهد والكليات المتخصصة في الدول العربية .. ساعياً للحصول على منحة دراسية منها ـ دون جدوى ـ وأخيراً لجأت إلى السفر ـ على نفقتي الخاصة المحدودة ـ إلى إحدى الدول العربية للالتحاق بكلية الشريعة بها .. وقدمت أوراقي .. ولا أرى أملاً في قبولها ، حيث علمت من المسؤولين عن الإدارة عدم وجود مقاعد لغير المقيمين .. هكذا ببساطة ..

وإنني أتساءل .. هل يجوز أن يكتفي الناس بتعلم الإسلام ونشره داخل حدود بلدهم فحسب ؟ ... ألا يعلم هؤلاء أن الإسلام لا يزال غير معروف وغير معترف به في بعض الدول الافريقية ؟ ومن المسؤول عن هذا يا ترى ؟

إنني أضع المسؤولية أمانة بين أيدي المسؤولين العرب ـ أحفاد رسول الله ﷺ ـ وقد لا يكون هناك مجال للاعتذار بعد أن يسعى إليهم طالب العلم من بلده البعيد ـ مكلفاً نفسه كل وسعه ..] .

■■ ويقول الأخ و . ل من الإمارات العربية المتحدة في رسالته :

[... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد .

مع إقبال فصل الشتاء ، أخذ الناس في كل مكان يتهيأون لموسم البرد والمطر ، يتفقدون المدفأة ، يشترون معاطف لأطفالهم وألبسة صوفية ، وقد غفل معظم الناس عن أن ملايين الأطفال والشيوخ على الأرض لا يجدون اللباس الدافىء ، وأحياناً المأوى الذي يقيهم البرد والمطر ..

وإذا كنّا لا نريد أن نعمم ، فلنتذكر أحوال المسلمين المشردين ، ولا أقلّ من أن نوجه الاهتمام إلى ملايين اللاجئين الأفغان ، الفارين بدينهم إلى أقطار إسلامية مجاورة فقيرة ، وهم في العراء لا يجدون سوى الخيمة التي تمن عليهم بها مؤسسات الإغاثة ، أطفالهم معرضون للبرد والمطر والجوع ، وهناك كذلك عشرات الآلاف من المسلمين في لبنان ـ فلسطينيين ولبنانيين ـ دمرت منازلهم ، ومن بقي منهم على قيد الحياة يفتقد المأوى لعائلته والدفء لأطفاله .. وإن لم يكن بالإمكان إعادة هؤلاء وأولئك إلى ديارهم ، فلا أقل من إغاثتهم بتقديم ضرورات الحياة لهم ، وأقلها الغطاء والكساء ، سواء أكان ذلك بتقديم مبالغ نقدية أو مواد عينية إلى اللجان المعتمدة المنوط بها هذا الأمر .

واذكروا حديث رسول الله ﷺ : « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » ..

ردود خاصة

■ الأخ أديل أحمد ADILL AHMAD ـ يوغسلافيا ..

●● عنوان قسم الشرق الأوسط بجامعة واشنطن بمدينة « سياتل » :

Head, Near East Section
University of Washington Libraries
Suzzallo Library, F.M.-25
Seattle, Washington 98195

■ الأخ برودي عبد الواحد ـ المغرب ..

●● الطب رسالة على غاية من الأهمية والخطورة ، ويمكن أن تقدم الكثير في المجال الإسلامي ـ ولعلكم تلاحظون أن المنصِّرين معظمهم أطباء يستغلون مهنتهم لتحقيق غايتهم .

■ الأخ محمد عبد الوهاب إبراهيم ـ الإسماعيلية ـ جمهورية مصر العربية ..

●● معظم القضايا المتعلقة بالإفتاء يمكن استدراكها من الكتب والعلماء في أي بلد ـ ومجلة « الأمة » تحاول طرح القضايا المعاصرة .

■ الأخت منال محمد سعدالدين ـ القاهرة ..

●● يمكنك الاشتراك في « الأمة » وشروطه منشورة في الصفحة الثانية من كل عدد ..

■ الأخ محمد داود ـ تونس ..

●● نحن لا نقترح على الإخوة القراء موضوعات يكتبونها ، ولكننا نرحب بكل ما يشاركون به مما يخدم القضية الإسلامية ويتفق مع منهج المجلة .

■ الأخ محمد الحسيني محمد ـ القاهرة ..

●● نعتذر عن عدم إجابة طلبك ، حيث إنه يخرج عن دائرة مهمتنا الصحفية .. وندعو الله لك بالتوفيق .

■ الأخت ليلى سعد محمد أحمد ـ القاهرة ..

●● نرحب بكتاباتك في المساحة المخصصة لأقلام القراء ..

مقترحات

● **أرسلت الأخت بركاش محفوظة ـ من المغرب تقول** :

[... حبذا لو خصصت « **الأمة** » صفحة أو صفحتين لموضوع في الكيمياء أو الفيزياء أو الأحياء أو في أي مجال علمي آخر ... كم نحن في حاجة إلى شباب مسلم يساير تطورات العلم والتكنولوجيا في هذا العصر ..] .

● **ويرى الأخ محمود محمد عبد الغني ـ من بور سعيد ـ جمهورية مصر العربية** : أن يتضمن الباب العلمي علوم البحار أيضاً .

● **ويقول الأخ محمد اليعقوبي ـ من تونس** :

[... أقترح على « **الأمة** » ـ بما انها مجلة الأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها ـ حسب رأيي ـ أن ترفع سعرها إلى الضعف ـ وتعطي الفارق للمجاهدين الأفغان ..] .

● **أما الأخ إسماعيل أبو اليزيد محمد ـ من جمهورية مصر العربية** .. فيرى رفع سعر « **الأمة** » .. [**على أن يستفاد بالزيادة في طبع أعداد وفيرة ، حتى يمكن تغطية المساحات الواسعة من بلاد المسلمين بنور المعرفة** ..] .

● **ويقترح الأخ عطا أحمد أمين ـ من جمهورية مصر العربية** :

[تخصيص بعض الصفحات لشؤون الشباب وقضاياه ، وقيام « **الأمة** » بإجراء استطلاعات عن الأقليات الإسلامية في مختلف أنحاء العالم ، بالمستوى نفسه الذي تقدم به استطلاعاتها الناجحة] .

● **أما الأخ رضا نبيه عبد ربه بركات ـ من جمهورية مصر العربية فيقترح** ..

[... تخصيص صفحة للتعريف بالشخصيات الإسلامية البارزة في العصور المختلفة ..] .

● **ومن المغرب ـ أرسل الأخ زعموط رشيد يطلب** نشر ما ردّ به الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي على مقال عبد المحسن صالح بعنوان « **مهرجانات من ضياء تتجلى في السماء** » حتى تتم الفائدة ، كما يقترح إعادة إصدار أعداد السنة الأولى في مجلدات ـ حيث لم يتمكن كثير من الإخوة من اقتنائها ..

بأقلام القراء

● **الأخ محمد دبشي من الجمهورية التونسية ، بعث قصيدة بعنوان « أنا وكتابي » .. نختار منها هذه الأبيات** :

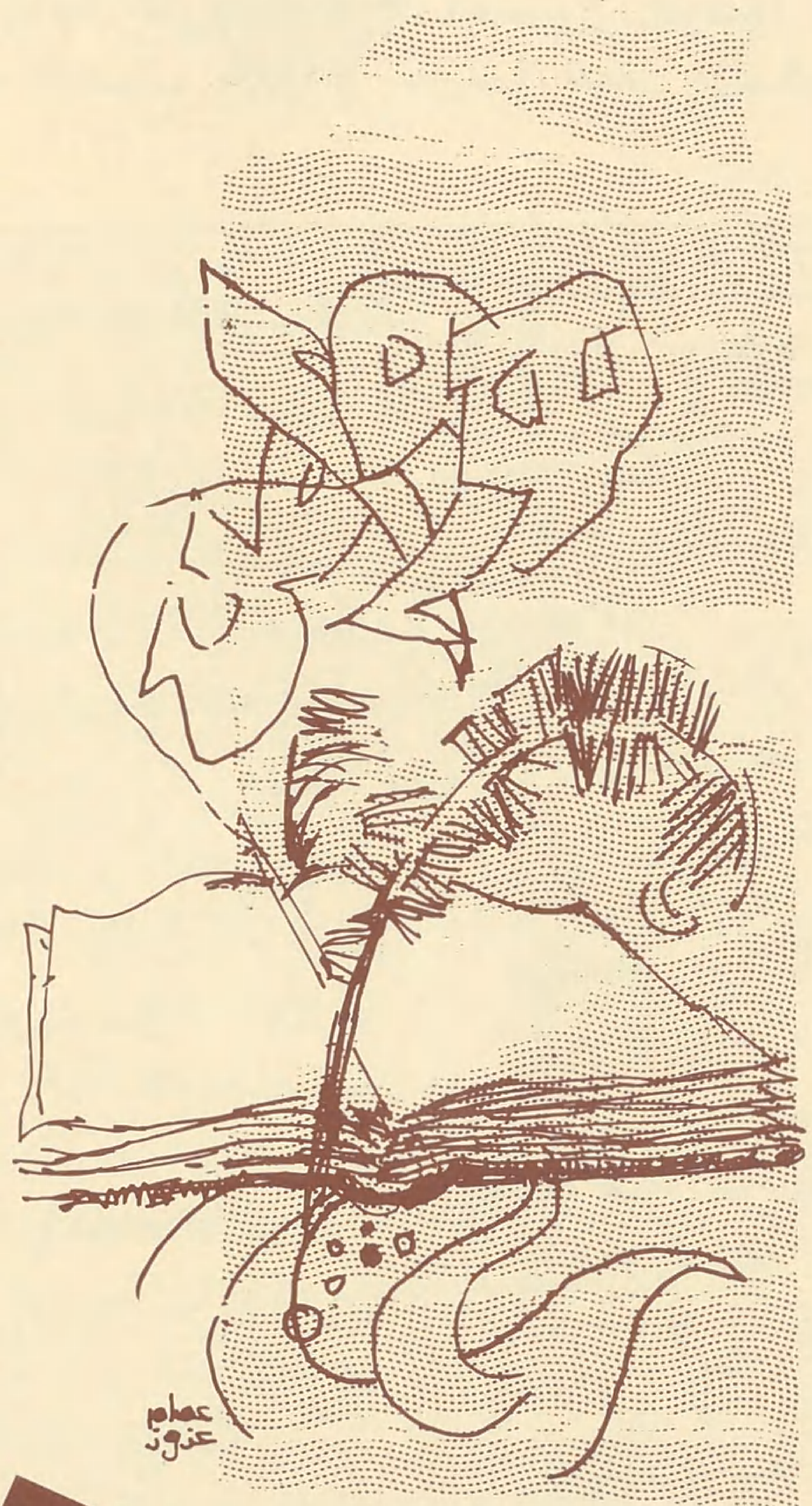

فِي دَفَّتَيْكَ شَـذاً يَرُوقُ أَرِيجُهُ
مِنْ حِكْمَةٍ تَشْفِي غَلِيلَ الصَّادِي
لَا بِدْعَ أَنَّكَ مُرْشِـدِي وَمُوَجِّهِي
لِلْخَيْرِ .. يَا نِعْمَ الدَّلِيلِ الهَادِي
حُمِّلْتَ مِنْ دَهْرِي مَصَائِبَ جَمَّةً

تَـرْبُـو لِكَثْـرَتِهَـا عَنِ التَّـعْـدَادِ
مَا كُنْتُ أَقْوَى أَنْ أَقُومَ بِبَعْضِهَا
لَـوْلَا الَّذِي أَسْـدَيْتَ مِنْ إِسْعَادِ
قَـابَلْتُهَـا بِتَبَصُّـرٍ وَتَجَلُّـدٍ
وَسَمَوْتُ فِي سَعْيِي لِنَيْلِ مُرَادِ
وَمَشَيْتُ فِي دَرْبِ الحَيَاةِ الصَّعْبِ لَا

أَخْشَى الـذِّئَـابَ وَزَأْرَةَ الآسَادِ
وَبَقِيتُ فِي العَلْيَاءِ أَسْعَى دَائِماً
لِلْمَكْرُمَاتِ .. وَمَايُفِيدُ بِلَادِي
فَالحُرُّ يَأْبَى أَنْ يَعِيشَ مُغَفَّـلاً
كَالشَّاةِ تَرْعَى فِي ضِفَافِ الوَادِي

أصداء

● **يقول الأخ جمال أنور محمد ـ من جمهورية مصر العربية في رسالته** :

[... طالعتنا « **الأمة** » في عددها السادس والثلاثين (ذو الحجة ١٤٠٣هـ) في باب (شؤون المسلمين في العالم) تحت عنوان : ـ في عالم الاقتصاد ـ بموضوع هام حول صدور العدد الأول من « **مجلة أبحاث الاقتصاد الإسلامي** » التي تهدف لمعاونة الباحثين ـ نسأل الله سبحانه وتعالى أن يبارك هذا المشروع للاستعانة به كمرجع عربي في مجال الدراسات الاقتصادية الإسلامية ..] .. ويسأل الأخ جمال عن طريقة الحصول على الأبحاث والدوريات التي يتم عرضها بالمجلة ، وللإجابة على ذلك نرجو الرجوع إلى : [المركز العالمي لأبحاث الاقتصاد الإسلامي ـ جامعة الملك عبد العزيز (جدة) المملكة العربية السعودية] .

● **والأخ أبو عبد الحميد ـ من فرنسا ـ له بعض الملاحظات حول الاستطلاع الذي نشر عن مدينة « مليلة » .. وبعض الشخصيات التي أجريت معها أحاديث ولقاءات** ..

ونحن نشكره على ملاحظاته وتنبيهاته ، ونرى أن بعض الاحتمالات التي جاءت في رسالته قد تكون واردة فعلاً ، ولكن يبقى الأمر المحكوم عليه هو الكلام الوارد والمنشور ضمن هذه الموضوعات ـ كما يبقى الحكم على هذا الكلام من خلال الأسس والضوابط الشرعية ومرة أخرى نشكر الأخ على ملاحظاته .

● **وأرسل الأخ منير الجراي ـ من تونس ـ يقول في رسالته** :

○ **الأخ بكوش عبد الناصر - من الجزائر .. بعث بهذه البطاقة لتهنئة الإخوة المسلمين بالعام الهجري الجديد ١٤٠٤هـ .**

[مسجد ببلدة « تيزي أوزو » بالجزائر] وبرسالة يقول فيها :

[... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد .

بكل الاعتزاز أبعث إليكم مهنئاً ومحيياً ، سائلاً الله سبحانه وتعالى لكم التوفيق في سبيل النهوض بمجلتنا الإسلامية « **الأمة** » وأشكر لكم الجهود التي تبذلونها في سبيل نشر الدعوة الإسلامية في جميع أنحاء العالم عن طريق الموضوعات الجيدة التي تنشرونها ، والكتب القيمة التي تصدرونها ...] .

○ **ويقول الأخ رمضان رشوان محمد - من القاهرة - جمهورية مصر العربية في رسالته :**

[... ويسعدني أن أبعث بهذه المعلومة إلى « **واحة الإخاء** » والتي تكشف عن معنى التطور في علاقات التعامل السوفييتي الأمريكي ..

إن التطور الجذري في الاتجاهات السوفييتية من موضوع العلاقات مع الدول الغربية يخضع لفكرة المذهب المعروف بالتنافس التعايشي أو ما يسمى : **Competitipe co- Existence** وهو يصور الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة بأنهما القطبان اللذان يتزعمان نظامين أيديولوجيين متعارضين ، ولكن بالرغم من هذه التناقضات التي تفرقهما ، إلا أنهما يتنافسان بالأدوات السلمية .. سواء كانت اقتصادية أو سياسية أو ثقافية ..] .

واحة الإخاء

○ **ومن لندن - انجلترا - جاءت رسالة الأخ تيسير إبراهيم أبو ريان .. يقول فيها :**

[... لقد كانت « **الأمة** » أول مجلة أهتم بمتابعتها وقراءة ما يكتب فيها من البداية إلى النهاية .. وقد كنت أقول من قبل : إن المفاهيم الغربية قد طغت على المعاني الإسلامية في نفوس المسلمين ، وإن الإسلام قد أصبح غريباً بين أبنائه وفي أوطانه . ولكنني أعترف أن مجلتكم كان لها الفضل في تغيير هذه الصورة وقلب هذا المفهوم عندي ، لما تنشره من موضوعات وما تعرضه من كتب تصدر عن الإسلام .. ويسرني أن أشارك في « **واحة الإخاء** » بهذه المعاني حول ما يعرف بالدول المتقدمة ودول العالم الثالث :

* ذهبت وسائل الإعلام الغربية إلى تقسيم دول العالم إلى دول متقدمة ودول العالم الثالث ، معتمدة في ذلك على التقدم العلمي ومعدل التحصيل المادي ومستوى المعيشة ، وتبعتها في ذلك وسائل الإعلام الإسلامي والعربي - آخذة بهذا الرأي دون فهم أو تعليق ، ويا ليت وسائل الإعلام الإسلامي انفردت واعتمدت الأخلاق والأفعال الحسنة وروح الأخوة ، ليتها اعتمدت الإيمان والطمأنينة النفسية في تقسيمها ، لأنه بهذه المعاني يقاس غنى الأمة وليس بأشيائها المادية الزائلة ..] .

○ **وجاءت رسالة الأخ أنياو اليزيد - من طنجة - المغرب - تبين أن [« المسلمين - وقد تقطعت بهم الأسباب ، أصبحوا عاجزين عن أن يعدّوا ما يقاومون به عدوهم الزاحف عليهم من الخارج لأنهم فقدوا مقومات وحدتهم الإسلامية بعد أن كانوا هم الذين يفتحون البلاد والأمصار لنشر الإسلام » ..] .**

[... تتميز الجهود التي تقوم بها المجلة الإسلامية الرفيعة (**الأمة**) في نشرها لمواضيع تساهم في تنمية الثقافة الإسلامية عند جيل هذه الأمة الذي يتعرض لأن يفقد العديد من مقوماته الفكرية والعقلية ، ولعل خير عمل قدمته « **الأمة** » لمعالجة هذه القضية هو إصدارها كتاب الدكتور **عماد الدين خليل : [حول إعادة تشكيل العقل المسلم]** .. الذي يفيد المسلمين الغيورين على مستقبل أمتهم في التعرف على الأسباب التي جعلت العقل المسلم يصاب بالعقم والتحجر والتبلد ، وصدته عن المضي إلى الأمام] ..

● **ويقول الأخ أحمد عبد السميع إبراهيم - من القاهرة - جمهورية مصر العربية :**

[... قرأت في « **الأمة** » عدد [ذو القعدة ١٤٠٣هـ] موضوع السينما الإسلامية ، وقد أعجبني هذا الموضوع الشائق الهام جداً لجميع المسلمين في هذا العصر ، وجزاكم الله خيراً عن عرض مثل هذا الموضوع ، وأرجو أن تدعو « **الأمة** » إلى قيام مؤسسة إسلامية للسينما يساهم بها المسلمون في أي مكان بأموالهم وخبراتهم بعد دراسة جادة وعلمية دقيقة ..]

● **ومن شاب مسلم - من جمهورية مصر العربية - جاءت هذه الرسالة ..**

[... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد .

فقد وفقني الله تعالى لقراءة **كتاب الأمة** الأول « **مشكلات في طريق الحياة الإسلامية** » للداعية الشيخ محمد الغزالي - حفظه الله - .. ويعلم الله أن قراءتي لهذا الكتاب قد أحدثت في نفسي تغييرات كبيرة ، وأصلحت في ذهني مفاهيم كثيرة ، عن كيفية نصرة هذا الدين .. فقد كنت أظن أن التقوى هي فقط أن أبذل أكبر وقت في القراءات الدينية ، والأخذ بقدر يسير من شؤون الدنيا وعلوم الحياة .. ولكن المؤلف - جزاه الله خيراً - صحح هذا المفهوم وغيره من المفاهيم بعبارات كان لها في نفسي فعل السحر - أسوق منها : « **الإسلام رسالة توجب على معتنقيها أن يجعلوا مجتمعهم أجدر بالحياة وأقدر على النجاح** » ... « **املك ناصية الحياة بعلم واقتدار تقدر على نصرة الحق الذي تعتنقه ، أما قبل ذلك فهيهات ، ولسوف يسبقك الدهاة والشطار** » .

إنني طالب في كلية عملية ، وفي تخصص يفيد المسلمين ، وأنا أنجح - والحمد لله - كل عام - ولكن بعد قراءتي هذا الكتاب لن يكون النجاح هو غايتي ، وإنما التفوق والسبق بتوفيق الله ..]

القمـــة الخليجيـــة الرابعـــة ..

■■ تستعد مدينة الدوحة لاستقبال القمة الخليجية الرابعة لمجلس التعاون لدول الخليج العربية التي ستعقد في الثالث من صفر الخير ١٤٠٤هـ . الموافق لـ ٧ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٣م .
وكانت القمة المخصصة للتوقيع على النظام الأساسي لمجلس التعاون قد انعقدت في « أبو ظبي » بدولة الإمارات العربية المتحدة ، وفيها حدد صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر الأهداف التي يسعى المجلس لتحقيقها ، ومما قاله :

« ... لا شك أننا بإتمام هذه الخطوة المباركة التي تعبر عن عمق روابطنا الأخوية التي آمنا دائماً بحتميتها ، وتطلعنا جميعاً إليها باعتبارها ضرورة مصيرية سوف تحقق أملاً عزيزاً طالما رنت إليه شعوبنا اقتناعاً منا سوياً بأن تنظيم تعاوننا عن طريق جهاز مشترك يناسب واقع ظروفنا وحقيقة حاجاتنا إنما يدل على تصميمنا على سلوك أنجع الطرق المؤدية إلى بلوغ أمانينا في الفوز بأوفر قسط من القدرة الذاتية اللازمة لدعم كيان دولنا ، وضمان تقدمها ، واستكمال مقومات نهضتها الشاملة ، فضلاً عن أننا بتأمين هذه القوة الذاتية سوف نوفر لأنفسنا من أسباب الأمن والاستقرار والمنعة والازدهار ما يمكننا من القيام بدورنا الذي نحرص على أدائه كاملاً في خدمة أمتنا العربية والإسلامية ، والإسهام بقسط وافر في صون أمن وسلام العالم أجمع ، والله أسأل أن يهدينا سواء السبيل إلى العمل لما فيه نصرة ديننا وخير أوطاننا والمجتمع الدولي بأسره » .

ومن الجدير بالذكر أن تكوين مجلس التعاون جاء استجابة ضرورية للواقع التاريخي والموقع الاستراتيجي لهذه المنطقة العربية الإسلامية التي كانت ولا تزال محط أنظار العالم كله لما تتمتع به من موقع جغرافي هام جعلها صلة الوصل بين آسيا وأوروبا وأفريقيا ، ولما حباها الله به من ثروات هائلة وإمكانات اقتصادية عظيمة ؛ تعزيزاً لعلاقات الأخوة والعمل المشترك من أجل بناء القوة الذاتية التي تحقق الأمن والاستقرار لدوله وللأمة العربية والإسلامية ، وخطوة متقدمة تشكل النواة على طريق وحدة الأمة العربية المسلمة ...

وتأتي أهمية انعقاد هذه الدورة في هذه الظروف بالذات حيث يواجه العالم العربي والإسلامي مشكلات جذرية تشكل له تحديات كبيرة تجعله على مفترق طرق ، وتتطلب منه التبصر في الاختيار ، والسرعة باتخاذ القرار ، والعزيمة في المواجهة ؛ وتأتي التحديات الصهيونية للأمة في عقيدتها ومقدساتها في مقدمة هذه المشكلات التي تواجه القمة ، وكذلك الحرب المستمرة في منطقة الخليج .. التي دخلت عامها الرابع وهي تستنزف طاقات وقدرات عربية ومسلمة كثيرة تثقل كاهل العالم العربي والإسلامي وترهقه ، وتنصرف به عن حشد هذه الإمكانات لمواجهة أعدائه وما يحشدون لحربه ، والاحتلال الشيوعي لأفغانستان والحرب الدائرة هناك بين المحتلين والمجاهدين الأفغان ، حيث إن أفغانستان تشكل الجدار الأمني للعالم الإسلامي خاصة لمنطقة الخليج التي لن تكون بعيدة عن أطماع المستعمرين الجدد . ■■

الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني امير دولة قطر

● قادة دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية في اجتماعاتهم التاريخية ●

قانون العقوبات الجديد
- والحدود الشرعية - في السودان

● صدر في الخرطوم قانون العقوبات الجديد لسنة ١٩٨٣م ، وأهم سماته أنه جاء مستمداً من الشريعة الإسلامية حيث تضمن تنفيذ الحدود الشرعية ، وأوضحت المصادر القانونية أن ما جاء به سيطبق على المسلمين وغيرهم عدا ما يتعلق بشرب الخمر وجريمة الزنا ، حيث يكون الحكم فيهما في إطار قانون ومعتقدات مرتكب الجريمة ... وقد جاء القرار الخاص بتحريم تناول الخمور مخولاً حكام الاقاليم المختلفة اتخاذ ما يتناسب مع المعتقدات التي تسود أقاليمهم .

وكانت خطوة طيبة تلقاها المسلمون في أنحاء العالم الإسلامي بالارتياح والتأييد ، كما أنها أحدثت في السودان نفسه ردود فعل فورية تمثلت بترحيب واسع النطاق في مختلف مدنه وأقاليمه من فئات المجتمع السوداني التي خرجت بصورة عفوية صادقة مؤيدة ومرحبة بالحملة الواسعة لإغلاق محلات بيع وشرب الخمور ومعامل التقطير في الخرطوم والمحافظات ، الأمر الذي يعبر عن رغبتها في الاحتكام إلى شرع الله عز وجل ، ورفض ما يمارس عليها من قوانين وضعية لا تؤمن بها .

وهنا لا بد من التنبيه إلى أن الشريعة الإسلامية تشمل تنظيم جوانب الحياة الإنسانية كلها ولا تقف عند حدود الصورة العقابية المتمثلة بالحدود الشرعية التي لا بد من توفر شروط بعينها لإقامتها ، والمأمول أن تستكمل الصورة الإسلامية للوصول إلى الالتزام الكامل بشرع الله عز وجل ، ذلك أن تطبيق الشريعة الإسلامية ما هو إلا ثمرة لوجود المجتمع المسلم المؤمن على مستوى كل المؤسسات ...

وتبقى مثل هذه الخطوات أمل الجماهير المسلمة ، ويبقى المطلوب توفير مقومات تحقيق هذا الأمل واستمراره ...

الظاهرة اليهوديـــة ... في الحكومـــة البريطانية الجديدة !

●● أبرز ما في حكومة « **المحافظين** » البريطانية الجديدة (٢١ وزيراً) ، وجود نسبة كبيرة من الوزراء والمستشارين اليهود ، لم تحفل بهم أي حكومة بريطانية سابقة ، إذ احتل ثلاثة منهم حقائب وزارية هامة .. فتم تعيين « **ليون بريتن** » وزيراً للداخلية ، وكان قبلها ومنذ سنة ١٩٨١م ، رئيساً للخزانة ويعتبر من المقربين جداً لرئيسة الحكومة .. ويعمل إلى جانبه في تصريف مهامه عدد آخر من اليهود من بينهم « **ديفيد مالور** » .

وتولى مهام وزارة المالية ، اليهودي « **نايجل لوصون** » وهو صحفي معروف ، ومن مهاجري أوروبا الشرقية مثله مثل « **ليون بريتن** » .

أما المليونير « **كيث جوزيف** » فقد تم تعيينه وزيراً للتربية والتعليم ، ذلك أنه يُعد المنظِّر الفكري والسياسي لحزب المحافظين .

ويرى بعض المراقبين أن إعجاب رئيسة الحكومة بقدرة يهود على إدارة مؤسساتهم الخاصة - المالية والتجارية والسياسية - يقف وراء اختيارها لوزراء يهود في حكومتها ، ويستدلون على ذلك ، باستعارتها مِنْ قِبَلُ أحدَ مدراء مخازن « **ماركس آند سبنسر** » الشهيرة ، عندما أرادت تنظيم أجهزة الدولة .. وأيضاً باختيارها اليهودي المعروف « **ستيوارت يونج** » على رأس هيئة الإذاعة البريطانية .

وكانت صحيفة « **جويش كرونيكل** » البريطانية قد ذكرت أن ٢٨ يهودياً انتخبوا في مجلس العموم البريطاني في الانتخابات العامة التي جرت مؤخراً ، منهم ١٧ نائباً من المحافظين و ١١ من العمال .

وأياً كانت رؤية المراقبين والمحللين السياسيين للظاهرة اليهودية في الحكومة البريطانية الجديدة ، فإن الأمر لا يخرج عن كونه واحداً من نجاحات يهود التي استطاعت أن تُحسن قراءة عقلية ونفسية المواطن الغربي وطريقة تفكيره ، وكيفية التعامل معه .. ومن ثم توجيهه لدعم المخططات اليهودية والصهيونية التي ترمي إلى فرض سيطرتهم على العالم جميعه .

المســلمون في القــرن الافــريقي

● يمثل المسلمون في القرن الافريقي غالبية الشعب الأثيوبي [٦٠٪ طبقاً لإحصاء رسمي] وتسمى منطقتهم أصلاً (أوروميا) ، وذلك قبل أن يتم لملوك النصارى من سلالة أمهرا الاستيلاء على الحكم .

وقد بدأت الصليبية عملها بالقضاء على اللغة العربية بين المسلمين وحرمانهم من تعلم القرآن ودراسة الدين الإسلامي ، بل ومنع سفرهم للبلاد العربية التي تعلِّم هذه العلوم الإسلامية .. ثم إجبار المسلمين بعد ذلك على تعلم لغة « أمهرا » حتى تنقطع صلة المسلمين بإسلامهم ولغة القرآن .

ولم يجد الامبراطور السابق [هيلاسلاسي] - تولى الحكم ١٩١٠م والذي كان يفخر بأن من بين ألقابه [أسد يهوذا ، وسبط يهوذا] - حرجاً من أغلبية شعبه المسلم في أن : يصادر أملاكهم وأموالهم ، ويدمر قراهم ، ويشردهم في الجبال وينشر الارساليات التنصيرية في جميع المناطق الإسلامية ، ويفرض على المسلمين تقديم العون المادي لها وإرغامهم على حمايتها !! ومنذ أكثر من ثلاث سنوات ومنطقة القرن الافريقي تشهد استمراراً للمؤامرة الصليبية على يد القياصرة الجدد من الشيوعيين ، وأصبحت طريقتهم في القضاء على المسلمين متمثلة في عمليات الإبادة الجماعية لاثني عشر مليوناً من المسلمين الذين يضطرون إلى الهجرة إلى البلاد المجاورة كالصومال والسودان وجيبوتي وكينيا ... حتى وصل عدد المهاجرين إلى ثلاثة ملايين مسلم .

● هيلاسلاسي ●

قراءة ثقافية

معالم فلسفة التعليم في إسرائيل [٢]

٢ - القومية اليهودية ومقوماتها :

الانصهار إذن غير وارد في منهاج الصهيونيين ، كما أن الانعزال - مع أهميته وضرورته - لم يحل المسألة اليهودية ، فما هو الحل إذن ؟

الحل - من وجهة نظر الصهيونيين - هو **« إحياء القومية اليهودية ، وجمع شتات اليهود في وطن واحد ، وتكوين دولة يهودية »** ، ومع اعتراف الصهيونيين بأن الاضطهاد أثر بلا شك **« في تحطيم شعور الاستقلال القومي »** لدى اليهود ، وأفقدهم كل مقومات الأمة من (لغة مشتركة - وعادات مشتركة - وكذلك أرض مشتركة) فإنهم متفقون على أن **« المشكلة اليهودية ليست مشكلة اجتماعية أو دينية مع أنها في بعض الأحيان تتخذ هذين الطابعين وغيرهما ، إنها مسألة قومية .. نحن شعب واحد »** .

وتصبح مهمة الصهيونيين كما يقول بنسكر **« أن نبرهن بأن مصائب اليهود ناجمة عن فقدانهم الرغبة في الاستقلال ، لذا كان من الواجب إيقاظ هذه الرغبة فيهم ، والمحافظة عليها إذا أرادوا أن يتخلصوا من حالتهم المخزية هذه ، أي : من الضروري أن نبرهن لهم بأنه يجب عليهم أن يصبحوا أمَّة »** .

عند الوصول إلى هذه النقطة وجد الصهيونيون الأوائل أنفسهم على أبواب خلاف كبير ، فقد كان كثير من زعماء الصهيونية يقصرون تفكيرهم في المسألة اليهودية على الاضطهاد وحده ، وضرورة إيجاد مخرج منه بتكوين دولة خاصة بهم ، ولا يهمهم بعد ذلك ما هو شكل الدولة ، لكن هناك آخرين عارضوا هذا الاتجاه بشدة ورأوا ضرورة أن تتبنى هذه الدولة إحياء التراث اليهودي والروح اليهودية ، وكان على راس هؤلاء « احد هاعام » الذي ابرز الفرق بين الاتجاهين بقوله : **« في الوقت الذي كانت المأساة المادية في أوجها في الشرق كان اليهود الشرقيون يشعرون بمأساة ثانية هي المأساة الروحية وذلك عندما بدات حركة (محبي صهيون)** تعمل من أجل المشكلة المادية كانت مشاعر الناس القومية تهدف وتأمل في الوصول إلى حل لمشاكلهم الروحية أيضاً ، وتعلق الناس بهذا الهدف ولم يتخلوا عنه حتى عندما وجدوا بأن جهودهم لم تصل بهم إلى تخفيف البؤس والمتاعب المادية عن الشعب اليهودي ... إن الشكل الذي اتخذته المشكلة الروحية في الغرب كان مخالفاً لذلك الذي كان في الشرق .. نشأت الأولى بسبب اللاسامية ، وهي تعتمد على اللاسامية في وجودها ، بينما تقوم الثانية على كونها نتيجة طبيعية للاتصال بحضارة عمرها آلاف السنين ، هي مشكلة ستظل باقية حتى لو حقق اليهود استقراراً اقتصادياً عالياً ، وأصبحت علاقاتهم مع جيرانهم علاقة جيدة ، وحصلوا على حقوقهم الاجتماعية والسياسية كاملة » .

ويعتقد « **أحد هاعام** » أن (سر بقاء الشعب اليهودي هو فيما عمله الأنبياء من أقدم العصور : أن يحترم قوة الروح فقط ، وأن لا يعبد قوة المادة ، من هنا ظل اليهود على خلاف سائر الأمم القديمة يحترمون أنفسهم في وجه الأعداء الأقوى منهم ... إن أي هدف سياسي لا يعتمد على ثقافتنا القومية غير قادر على إغرائنا وتحويلنا عن إخلاصنا لروحنا الأصيلة ، ودفعنا إلى أن نسعى وراء القوة المادية والسلطة السياسية للوصول إلى المجد ، وبهذا نقطع كل ما يصلنا بالماضي ويربطنا بأسسنا التاريخية ، وغني عن القول بأننا إذا لم نحقق الهدف السياسي فسنصاب بخيبة أمل تؤدي بنا إلى نتائج وخيمة سنضيع القيم القديمة دون أن نجد لنا قيماً جديدة ، كذلك ستظل اليهودية في خطر حتى لو حققنا هذا الهدف السياسي في هذا الوقت الذي لا نزال فيه مشتتين ، ليس فقط مادياً وإنما روحياً أيضاً » ويعتقد « **أحد هاعام** » أن قادة إسرائيل إذا لم يكونوا مثقفين بالثقافة اليهودية فإنه (مهما بلغ إخلاصهم لدولتهم ومصالحها فإن مقياس هذه المصالح سيكون وفقاً للحضارات الأجنبية لأنهم هم أنفسهم اقتبسوها ، وسوف يحاولون بالإقناع أو بالقوة أن يثبتوا تلك الحضارات في الدولة اليهودية

التعبير بالصورة

رئيس وزراء إسرائيل السابق في مناقشة مع المتدينين :

[التهويد الرسمي ... للقدس والأراضي العربية المحتلة]

مما سيحولها في النهاية من دولة يهودية إلى دولة ألمان أو فرنسيين من شعب يهودي) .

ويضرب « **احد هاعام** » مثلاً على ذلك (يعلمنا التاريخ انه في أيام حكم هيرودوس كانت فلسطين بالفعل دولة يهودية ، ولكن الثقافة القومية كانت محتقرة ومضطهدة ، عمل البيت الحاكم كل ما في وسعه لإدخال الحضارة الرومانية إلى البلاد ، وحطم كل معالم الدولة ببناء معابد وثنية ومدارج وغيرها ، إن دولة يهودية مثل تلك لا بد وأن تجر التحقير والدمار على شعبنا ، لا يمكن لمثل هذه الدولة أن تحقق قوة سياسية تستحق الاحترام ، وستكون مثل هذه الدولة غريبة عن القوة الروحية الحية لليهودية ... أليس من الأفضل لأمة مثل أمتنا كانت يوماً قبلة أنظار العالم أن تتلاشى من أن تصل إلى مثل هذه النهاية ؟) .

ثم يبرز « **أحد هاعام** » دور التربية في تحقيق ما يدعو إليه فيقول : (إن الحياة القومية الكاملة تتضمن شيئين اثنين :

أولاً : فسح المجال للقدرات المبدعة للأمة من خلال ثقافة قومية خاصة بها .

ثانياً : نظام من القيم يمكن من خلاله لجميع أفراد الأمة أن يتشربوا تلك الثقافة وينصهروا بها ، فيكون تأثيرها عليهم ظاهراً في حياتهم وأفكارهم الفردية والاجتماعية ؛ هذان الجانبان من الحياة القومية لا يمكن تحقيقهما بالدرجة نفسها دائماً ، ولكنهما وبشكل عام يعتمدان على بعضهما بعضاً ، إذا لم يتشرب الأفراد بالثقافة القومية فإن نمو الأمة سيتوقف ، وستواجه قدراتها المبدعة الضمور أو التشتت ، ومن ناحية أخرى إذا لم تستخدم هذه القدرات في خدمة تنمية الثقافة القومية بشكل كاف فإن تربية الصغار والكبار ستصبح ضيقة ، وسيتضاءل تأثيرها تدريجياً ، وسوف يتجه أفراد كثيرون إلى مصادر أخرى يتمكنون فيها من إشباع رغباتهم الثقافية مما سيؤدي إلى عدم وجود تأثير للأمة على عقولهم وشخصياتهم) .

لقد أحدثت أفكار « **أحد هاعام** » تياراً قوياً داخل الحركة الصهيونية أوشك على شق صفوفها ؛ لكن هذا الخلاف سرعان ما تلاشى إذ تبنت الحركة الصهيونية كلا الرأيين ، واستفادت منهما في بناء الدولة الجديدة ، وقد وضح ذلك بن جوريون أول رئيس لوزراء إسرائيل بقوله : (تستمد الصهيونية وجودها وحيويتها من مصدرين : مصدر عميق عاطفي دائم ، وهو مستقل عن الزمان والمكان ، وهو قديم قدم الشعب اليهودي ذاته ، هذا المصدر هو : الوعد الإلهي والأمل بالعودة ؛ يرجع الوعد إلى قصة اليهودي الأول الذي ابلغته السماء أن **ـ ساعطيك ولذريتك من بعدك جميع أراضي بني كنعان ملكاً خالداً لك ـ** هذا الوعد بوراثة الأراضي ، رأى الشعب اليهودي فيه جزءاً من ميثاق دائم تعاهدوا مع إلههم على تنفيذه وتحقيقه ، والإيمان بظهور المسيح لإعادة المملكة أصبح مصدراً أساساً في الدين اليهودي يردده الفرد في صلواته اليومية ، إذ يقول بخشوع وابتهال : أؤمن إيماناً كلياً مطلقاً بقدوم المسيح ، وسأبقى حتى لو تأخر أنتظره كل يوم ـ **أما المصدر الثاني** ، فقد كان مصدر تجديد وعمل ، وهو ثمرة الفكر السياسي العملي الناشيء عن ظروف الزمان والمكان ، والمنبعث من التطورات والثورات التي شهدتها شعوب أوروبة في القرن التاسع عشر وما خلفته هذه الأحداث الكبيرة من آثار عميقة في الحياة اليهودية) .

عـودة اللغـة العربيـة إلى تركيـا ..

●● في شهر رمضان الماضي اقامت رئاسة الشؤون الدينية بتركيا المعرض الأول للكتاب الإسلامي ! رافقه عرض للأفلام الإسلامية واشرطة تسجيلية للقرآن الكريم والثقافة الإسلامية ..

وفي الأشهر الأخيرة : قررت حكومة تركيا عودة اللغة العربية إلى المعاهد والجامعات التركية .. مما يشكل حدثاً ثقافياً هاماً في حياة الأتراك في العصر الحديث :

فمنذ سنوات إسقاط الخلافة الإسلامية وعزل الخليفة ، فرض عليهم طمس هويتهم الإسلامية التي حملت مسؤولية الخلافة والدفاع عن الإسلام فيما يربو على خمسة قرون .. بل اريد لهم مخاصمة دائمة مع اصولهم ومبادئهم الإسلامية ، حتى لغتهم الإسلامية : العربية حولها أعداء الأمة الإسلامية إلى الأحرف اللاتينية كما هو معروف ، والغيت من معاهد العلم والدراسة .

بدأ ذلك كمال اتاتورك : هادفاً إلى محاولة فصل الأتراك النهائي عن كيان امتهم الإسلامية .. ثم إلى تجفيف منابع المعرفة الإسلامية للأجيال الجديدة .. وقد درِّس اللغة التركية بالأحرف اللاتينية بنفسه في مختلف المدارس والمعاهد .

والمسلم التركي رجل ذو غيرة على دينه وتقاليده الإسلامية : فرغم ما فرض عليه من نظام حياة غربية وتقاليد اوروبية طوال السنين الماضية منذ إسقاط الخلافة ، وهو يشعر بالغربة بين ما عاش عليه هو وآباؤه واجداده من منهاج حياة إسلامية وعادات وتقاليد إسلامية ، وبين ما فُرض عليه من أعداء أمته كحدث طارىء له تحت اسم التقدم والسير في ركب الحضارة الأوروبية المعاصرة .

ولذلك فإن هذه الغربة التي فرضت على افراد الشعب التركي لم تحولهم حتى اليوم إلى دولة أوروبية خالصة ، بل ظلت الدولة في مؤخرة هذه الدول الغربية التي توهمت السعادة في ركابها في الوقت الذي بعدت فيه عن طبيعتها الإسلامية التي تاهلت فيها .

من هنا تبدو أهمية هذه الخطوة التي اتخذتها الحكومة التركية من عودة اللغة العربية بحروفها العربية إلى دروس العلوم ، فهي لغة إسلامية اولاً واخيراً ، وهي بعد ذلك خطوة في الاتجاه الصحيح الذي يجب أن تسير فيه تركيا اليوم بعد هذه المخاصمة مع الإسلام والانفصال عن الأمة الإسلامية .

ولا شك أن المسلمين في كل مكان ينتظرون الخطوات الأخرى في هذا الاتجاه الذي يعود به المسلمون في تركيا إلى الإسلام ، ويعيد للأمة سماتها وهويتها الأصلية ، بعد رحلة التغريب الشاقة التي لم تحقق لها إلا الصاب والعلقم .

في عالم الاقتصاد

مجلة إسلامية جديدة في عالم الاقتصاد ...

■■ مجلة إسلامية شهرية جديدة تهتم بشؤون الاقتصاد والمال، تصدرها قريباً باللغة الانجليزية «وكالة الأنباء الإسلامية» - لندن - باسم «ISLAMIC FINANCE» ومن المعروف أن هذه الوكالة يصدر عنها أيضاً - منذ عدة سنوات - مجلة «ARABIA».

وقد جاء «عدد ما قبل الإصدار» من المجلة الإسلامية، الذي أخرجته الوكالة (شوال ١٤٠٣هـ - يوليو [تموز] ١٩٨٣م) معبراً عن منهج ومضمون المجلة الجديدة، الأمر الذي يدل على أنها سوف تشكّل إسهاماً إيجابياً في مجال الإعلام الإسلامي المتخصص ..

وتشير كلمة الناشرين التي وردت في مقدمة العدد إلى أن [**العالم الإسلامي يزخر بفرص اقتصادية كبيرة وبإمكانات اقتصادية واسعة**، ولا يزال الأفراد والمؤسسات والحكومات يسعون سعياً حثيثاً نحو النهوض الاقتصادي للعالم الإسلامي .. وقد تحققت إنجازات اقتصادية كثيرة، ولا تزال تتحقق بصورة تدعو إلى الارتياح، كذلك أن التعاون في مجال التعامل بين دول العالم الإسلامي، وبينها وبين الغرب، غير أن التفاهم المطلوب لم يتحقق بعد، وهذا ما تسعى المجلة إلى تحقيقه، بنشر المواد والدراسات والأبحاث التي تهدف إلى:

* **تحليل الأحداث الاقتصادية الوطنية والدولية وبيان اهميتها للعالم الإسلامي.**
* **المتابعة الدقيقة للحركة المصرفية الإسلامية - التي تعمل على إحداث تغيير جذري في الهيكل الاقتصادي والانتاجي العالمي، وفي علاقات التعامل.**
* **تركيز الأضواء على المصارف الإسلامية كظاهرة رائدة في عالم الاقتصاد، وبيان مدى الإمكانات الكامنة فيها لحل المشكلات الاقتصادية المستعصية في البلدان المختلفة، خاصة مشكلات البطالة وانخفاض مستوى الإنتاج .. وغيرها.**
* **أن تكون - المجلة - نافذة على العالم الإسلامي، بعرض ما يجري فيه من نشاطات اقتصادية وما تتوفر لديه من فرص للاستثمار.**
* **متابعة الأحداث السياسية المؤثرة في الأوضاع والأهداف الاقتصادية للعالم الإسلامي عن طريق إجراء حوار مع رجال التخطيط الاقتصادي والمسؤولين عن السياسة الاقتصادية ..**

ويتضمن العدد موضوعات هامة، منها: منظمة أوبك وعداء الدول الغربية لها، المصارف الإسلامية: تطور وعقبات، بنك فيصل الإسلامي في مصر، سوق العمالة في الهند، البتروكيماويات وتحديات العوامل الجديدة الناشئة في مجال هذه الصناعة العالمية، السياسة الأمريكية وأسس الحماية الاقتصادية لمنتجاتها، صناعة السكر في العالم، فرنسا والنشاط التجاري الطبيعي في ظل الحكم الاشتراكي .. كما يتضمن العدد عرضاً للأوضاع الاقتصادية في: ماليزيا وتركيا ومصر وباكستان وسوق المناخ بالكويت .. وتحليلاً موجزاً للكتب الاقتصادية الصادرة حديثاً، وإشارة إلى فرص الاستثمار وإحصائيات ...

وبين هذه الموضوعات. تورد المجلة مقالاً بعيداً عن التخصص الاقتصادي يتعلق بالمشاكل الصحية التي يعاني منها رجال الأعمال، وكيفية تجنبها ومواجهتها ..

هذا، وقد نشرت الموضوعات المختلفة بالمجلة في إطار عدة أبواب ثابتة، منها: سياسات دولية - لقاءات - مصارف إسلامية - أخبار اقتصادية - محاسبة وإدارة - أبحاث - ملاحظات الأسواق والمال ..

تقع المجلة في (١٢٨) صفحة وغلافها ملون.

السوق العالمي للغاز الطبيعي

■■ يتوقع خبراء صناعة البترول أن يحتل الغاز الطبيعي - خلال السنوات العشر القادمة - موقعاً متقدماً ينافس النفط في مجال توليد الكهرباء والحرارة وصناعة البتروكيماويات ..

ومن المعروف أنه حتى عام ١٩٨٠م كانت نسبة ما يفقد من مجموع إنتاج الغاز الطبيعي - التي تحرق في الفضاء - ٥٥٪، وهي تمثل كمية تزيد عن الاستهلاك السنوي لأوروبا خلال الفترة نفسها .. غير أن تغييراً في الموقف قد حدث مؤخراً بعد أن بدأت دول العالم الثالث تتجه إلى استثمار ثرواتها من الغاز الطبيعي بعد دراسة مزاياه باعتباره مصدراً سريعاً للطاقة يمكن أن يتوفر بأسعار أقل من النفط ..

هذا، وقد بلغ الإنتاج العالمي من الغاز الطبيعي عام ١٩٨٠م نحو بليوني متر مكعب، أما الاحتياطي العالمي منه فيبلغ حوالي (٧٧) بليون متر مكعب، بحيث يمكن اعتباره من مصادر الطاقة الأساسية خلال نصف القرن القادم ..

ومن المعروف أن ثلاثة مشروعات كبيرة - يجري العمل لإنجازها حالياً - سيكون لها أثر في إحداث تغييرات عميقة في الأسواق العالمية للغاز الطبيعي .. أولها: أنبوب الغاز السوفييتي عبر أوروبا (٣٦٠٠ ميل)، الذي سيزود - اعتباراً من عام ١٩٨٤م - : فرنسا وألمانيا الغربية وإيطاليا وهولندا وبلجيكا والنمسا وسويسرا بأكثر من مائة مليون متر مكعب من الغاز الطبيعي يومياً .. أما المشروع الثاني: فهو أنبوب الغاز الممتد من الجزائر إلى إيطاليا عبر البحر المتوسط، والمشروع الثالث: هو الشبكة النرويجية لتجميع الغاز الطبيعي ..

أخبار قصيرة

○○ من المتوقع أن يكون الاتحاد السوفييتي أكبر منتج ومصدر للذهب في عام ١٩٩٠م ـ محتلاً بذلك المركز الذي تتربع عليه جنوب افريقيا ـ وذلك بسبب تشغيل مناجم جديدة توجد في منطقة الجمهوريات الإسلامية المحتلة (ازبكستان) ـ بحيث يرتفع الإنتاج إلى ٤٥٩ طناً في العام ..

●● تم خلال « الملتقى الدولي للفكر الإسلامي » ـ الذي عقد مؤخراً في الجزائر ـ افتتاح « جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية » كأول جامعة إسلامية في الجزائر .. كما أصبحت العلوم الإسلامية فرعاً مستقلاً في مناهج التعليم الثانوي والجامعي هناك ..

○○ مشروع قانون نفقات الدفاع الذي وافق عليه الكونجرس الأمريكي لعام (١٩٨٤م) يخصص مبلغ (١٨٧) مليار دولار لإنتاج نوع من قذائف غاز الأعصاب ، كانت صناعتها قد توقفت منذ عام ١٩٦٩م .

●● تقول المصادر الاقتصادية الإسرائيلية إن قيمة العجز في ميزان المدفوعات الإسرائيلي لهذا العام يزيد بمبلغ مليار دولار عن مستوى العجز في الأعوام السابقة ، بسبب تصاعد النفقات العسكرية ..

○○ نشرت مجلة « انتلجنس » الأمريكية أن كيسنجر اشترى مساحة من الأرض في الضفة الغربية .. واعلنت المجلة عن عزمها نشر الوثائق الخاصة بذلك .

●● عقد الاتحاد العام للجمعيات الإسلامية ـ في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا ـ مؤتمره الثاني والثلاثين بمدينة جنيف بسويسرا ، لتأكيد ودعم القضية الفلسطينية والحقوق الإسلامية في فلسطين .

○○ أعلن مكتب الإحصاء المركزي في إسرائيل ، أن عدد سكانها قد بلغ ـ في نهاية شهر اغسطس الماضي ـ اربعة ملايين و ١١٠ آلاف نسمة ، وذكر أن هذه الأرقام تشمل عدد السكان العرب في القدس الشرقية والجولان ـ المحتلين منذ يونيو (حزيران) ١٩٦٧م ـ باعتبارهما مناطق إسرائيلية حسب القرارات التي اتخذها الكنيست عام ١٩٨٠ ، ١٩٨١م ..

●● كلية إسلامية قام بتمويلها صندوق التضامن الإسلامي ـ تم افتتاحها مؤخراً في شيكاغو ـ بالولايات المتحدة الأمريكية ، تشمل مناهجها : الدراسات الإسلامية واللغة العربية وعلوم العصر ..

○○ اختتمت رابطة العالم الإسلامي موسمها الثقافي للعام الهجري ١٤٠٣هـ .. وسوف يتم طبع المحاضرات والندوات التي تضمنها البرنامج لمعالجة القضايا التي تهم المسلمين ـ في دوريات الرابطة ـ باللغة العربية واللغات المختلفة ..

●● أقيمت في مصر ـ مؤخراً ـ ندوة دولية حول دور المسجد في محو الأمية وتعليم الكبار ، حضرها ممثلو سبع عشرة دولة إسلامية ..

○○ ٦٣٩ يهودياً غادروا الاتحاد السوفييتي إلى إسرائيل خلال الشهور الستة الأخيرة [إحصائية المجلس الأمريكي ليهود الاتحاد السوفييتي] ..

●● قرر المسلمون بمدينة برادفورد إنشاء مدارس خاصة لأبنائهم بعد أن رفضت السلطات البريطانية مقترحاتهم بإضافة مادة التربية الإسلامية إلى مناهج مدارس الدولة ..

○○ أكدت دراسة عن الجريمة ببريطانيا أن خسائر المتاجر من السرقة في العام الواحد تقدر بألف مليون جنيه ، وتودي الجريمة بحياة ألف شخص . بينما تقدر خسائر الحرائق عن عمد بحوالي ستة وستين مليون جنيه ، مع زيادة خسائر البنوك الرئيسة في لندن ٥٠٪ بسبب تزوير الشيكات خلال العامين الماضيين ، وبذلك تكلف الجريمة الدولة حوالي مائة وستة وعشرين جنيهاً كل ثانية .

●● تشريعات جديدة للزواج صدرت مؤخراً في أندونيسيا تقضي بأن يقوم الموظفون بالحصول على تصاريح خاصة بالزواج والطلاق من رؤسائهم في العمل ، كما تمنع المرأة العاملة من أن تصبح الزوجة الثانية لرجل متزوج ؟!

○○ تسلم يوحنا بولس الثاني أوراق اعتماد أول سفير للسويد لدى الفاتيكان منذ ٤٥٣ سنة ..

●● صدر حكم قضائي جديد يقضي بعدم نقل أو بيع أو شرب الخمور داخل طائرات مصر للطيران أثناء رحلاتها على الخطوط الخارجية والداخلية ..

وكان عدد من طياري ومهندسي ومضيفي الشركة قد أقاموا دعوى طالبوا فيها بعدم تقديم الخمور أثناء رحلات طائرات الشركة ـ غير أن الشركة قامت بالطعن في الحكم ـ الذي صدر بتأييد مطالب العاملين أمام محكمة الاستئناف العالي فقضت برفض الدعوى وتأييد تنفيذ الحكم الأول .

○○ الملك الأفغاني السابق ظاهر شاه ، غادر مقر إقامته في روما ـ العاصمة الإيطالية في أوائل اغسطس (آب) الماضي متجهاً إلى نيويورك في سرية تامة .. ويعتقد انه سيزور لندن في وقت لاحق ، كما أنه سيزور باريس وبون ..

وجاء في تقرير لمراسل وكالة الأنباء الأفغانية بلندن أن الملك السابق سيحاول زيارة باكستان ـ إذا أذن له بذلك ـ كما انه من المعتقد أن يكون قد قابل خلال هذه الجولة شخصية دبلوماسية باكستانية ..

●● تشجيعاً لزيادة النسل طلب وزير شؤون الأسرة في ألمانيا الغربية « هانيز جايسلر » سرعة رفع إعانة الأسر للمواليد الجدد .. وكان الوزير قد حذّر من أن بلاده ستصبح عام ٢٠٣٠م بدون سكان تقريباً ، فعدد المواليد في ألمانيا يتناقص بصورة رهيبة ، ويتوقع الخبراء أن يتناقص عدد السكان هناك من (٦١) مليوناً إلى (٣٥) مليوناً فقط في عام ٢٠٠٠م .

○○ الجزء الأول من الأجزاء الخمسة للطبعة الأولى باللغة الفرنسية لتفسير القرآن الكريم لأبي جعفر الطبري (القرن الثالث الهجري) أصدرته مؤخراً دار النشر الفرنسية (ليزوكلير بيازا) .. هذه هي المرة الأولى التي يترجم فيها تفسير الطبري إلى لغة غير عربية .

مع الصحافة في العالم

العرب

حيـــــاد الصحافـــــــة !

■ كلما ارتفعت درجة الأخطار المحدقة بالقضايا المصيرية ارتفعت الاصوات التي تدعو إلى « حياد الصحافة » ، ورفع الرايات البيضاء في مواجهة الأحداث السوداء ، وتطالب الصحف ان تغلق فمها وتجلس في مقاعد المتفرجين على نزيف الدم .

إن حياد الصحافة هو تجريد لها من اهم اسلحتها ومصادرة متعسفة لضميرها ، وبداية مؤسفة لتدجينها بالترغيب أو الترهيب ، إذا لزم الأمر ، لتتحول في النهاية إلى صحافة لنقل أخبار الدمار والضحايا ، دون ان تتجرأ او يكون لها الحق في بيان الأسباب التي احدثت الدمار ، واحالت الأبرياء إلى ضحايا .

لقد تناسى دعاة « حياد الصحافة » أنه قد ولى الزمن الذي كانت فيه الصحف مجرد وسيلة لنقل الخبر ، واتت مرحلة وجب فيها على الصحيفة ان تتدخل لتحليل الخبر وربطه بمجريات الأحداث على ضوء الحقائق . هذا إضافة إلى أن الحديث عن حياد الصحافة هو تكرار للحديث عن موضوع داست عليه الثورة العلمية الهائلة في مجال الاتصالات وتبادل المعلومات ، مما ضيَّق المسافة بين الشعوب ، واتاح لها الفرصة الكاملة لكي تتعرف على معاناتها ومآسيها .

ومن هنا فإن الدعوة إلى الحياد المزعوم لا يعدو ان يكون دعوة ضد منطق الحقائق ، ولا يتجاوز - في أحسن الأحوال - عزل الناس عن التفاعل مع قضاياهم ، ومنع الصحافة من التدخل لترشيد وتوجيه هذا التفاعل بشكل إيجابي يخدم المستقبل العربي . هذا إضافة إلى ان الحياد بمعناه السلبي الذي يتطوع بعضهم للدعوة إليه يشكل في حدّ ذاته « انحيازاً » مطلقاً للعجز ، والتردد ، والعزوف عن التدخل للمشاركة في صنع الأحداث والتاثير على مجرياتها .

إن أول ما يفقد الصحيفة قيمتها ومصداقيتها هو أن ترضى بالوقوف مكتوفة الأيدي مخرسة اللسان ، وأن تتبنى مفهوم « الحياد السلبي » الذي يحولها بالتدريج إلى بوق عفن من أبواق الدعاية المضللة لتتنازل بالتالي عن دورها كضمير للمجموع ، وتتخذ دور شاهد الزور في المذبحة التي تنفذ بدقة على الخريطة العربية .

إن الذين يحاربون من أجل إرساء مبادىء زائفة عن « حياد الصحافة » إنما يقومون من حيث لا يدرون بإجراء عملية جراحية تشوه وجه الصحيفة ودورها ، ويهدمون بذلك صرحاً كان يمكن الفخر به .■

[العــدد ٢٩٩٢]

Arabia

المستقبل للإسلام ..

■ في كل مكان من العالم الإسلامي في العصر الحديث حصل صراع بين القوى الإسلامية والقوى التغريبية التي تسمي نفسها قوى المعاصرة والتحديث . لقد رات القوى الإسلامية ان استعادة دور العالم الإسلامي في التاريخ يقتضي العودة إلى العقيدة الإسلامية نفسها ، والقيم والممارسات الإسلامية في الشعور والواقع . وقد استخدمت معظم هذه القوى الأسلوب التربوي التعليمي لتنشئة اجيال جديدة تتجسد فيها تلك الأهداف .

أما القوى التغريبية فقد رات أن النهوض بالعالم الإسلامي يقتضي تقليد الغرب . ولذلك لجات إلى تبني اساليبه ومؤسساته ، وافكاره . ورات هي ايضاً في التعليم وسيلة لتنشئة اجيال متغربة منبتة عن جذورها ، وقد شجعت الدول المستعمرة في حينه تغريب الأجيال الإسلامية في مدارسها وجامعاتها حتى تكون اداة طيعة لتنفيذ مخططاتها ، أو على الأقل التعاون معها وعدم مقاومتها ، دون ان يؤدي ذلك إلى اكتساب اسباب القوة الغربية ممثلة بالعلوم الحديثة او امتلاك القوة العسكرية .

وعندما انسحبت الإدارات الاستعمارية

البيان

عمليـــــة التنميـــة بين الأهـــداف والمتطلبـــات ..

■ تتضمن عملية التنمية محورين مهمين ، بينهما علاقات تبادلية وثيقة . هذان المحوران هما الأهداف والمتطلبات . ووضوح الرؤية بالنسبة للاهداف بالذات يسهل من عملية تحقيقها ، وبدون وضوح الرؤية تصبح عملية التنمية عملية غائمة محفوفة بالمطبات .

لا بد من دراسة صياغة الأهداف وكيفية بلورتها بحيث تكون ملائمة للواقع ، منطلقة منه ومستجيبة لضروراته وخادمة لحاجاته .

والبلدان الساعية إلى النمو بشكل عام تصوب نحو زيادة الدخل القومي ، المفضي إلى زيادة متوسط دخل الفرد ، والمفضي بدوره إلى تحسين المستوى المعيشي للسكان ، أي ان تحسين المستوى المعيشي لا يتم إلا من خلال زيادة الدخل القومي .

هذه الأهداف هي انعكاس لطبيعة المشكلات التي تواجهها تلك البلدان ، التي تتفق في طبيعة تلك المشكلات بشكل عام ، وتنفرد كل منها ، او كل مجموعة منها بمشكلات خاصة ، وهذا يعني بدوره اختلاف الأهداف التفصيلية لكل بلد .

على المستوى العربي مثلاً تحوز المشكلات التالية على اولوية خاصة في الجدول الإنمائي ، فعلى الصعيد الزراعي نجد :

- انخفاض الانتاجية لأسباب متعلقة بالتصحر وعدم فعالية التسميد .
- اضطرار البلدان العربية لاستيراد السلع الزراعية بدل تصديرها . وقد اصبحت البلدان العربية قاطبة مستوردة لسلع اساسية كالقمح ، ومن مجموعة دول لا تتعدى الخمس ، مما يشكل مخاطر عديدة .
- غياب العمل العربي المشترك الفعال لتجاوز المشكلات الناجمة عن عدم القدرة على تحقيق الاكتفاء الذاتي غذائياً .

أما على مستوى الصناعة :

- إسهام الصناعة التحويلية ضئيل لا يتجاوز ٧٪ من الناتج المحلي الإجمالي للبلدان العربية .
- لا تزال الصناعات التحويلية في معظمها استهلاكية ووسيطة وبديلة للواردات كالاسمنت والجلود والصابون . اما الصناعات الاستثمارية وصناعات وسائل

مع الصحافة في العالم

تركت زمام القوة في يد من ترعرعوا على قيمها وفي مدارسها وجامعاتها ، في يد صنائعها ، الذين احلّوا الشعارات الوطنية والقومية والشعوبية محل الشعارات الإسلامية .

ولكن في العقدين الأخيرين ساد شعور عام في العالم الإسلامي بان تلك القوى قد اخفقت ، وقد شهد هذان العقدان اتجاهاً إسلامياً اصيلاً نحو البحث عن الهوية الإسلامية والفكر الإسلامي وإقامة مؤسسات إسلامية تبلور ذلك الفكر وتجسده . ولا شك أن السنوات القادمة سوف تشهد انتصار هذا الفكر وتلك المؤسسات .

لقد اخفقت الأنظمة القومية والوطنية في تحقيق الأهداف التي وعدت بها مثل : الوحدة والقوة والتحرر والكرامة والرخاء ، فكان ان تهاوت قلاعها في النفوس ، وإن كانت لا تزال تقاوم في الواقع .

إنها تضطهد الدعاة الإسلاميين وتبعدهم عن مراكز النفوذ بل وتطردهم بعيداً عن الحدود . ولكن هذه الإجراءات تزيد من عزلة تلك الأنظمة وتتيح الفرصة للدعاة للتحرك في بيئات جديدة وبث الوعي في الشباب المغترب .

إن الحركة الإسلامية اليوم هي اكثر الحركات شعبية في الجامعات الإسلامية ، إن لم نقل في الأوساط الإسلامية قاطبة ■

الانتاج فلا تزال غائبة ما عدا بعض وسائل الإنتاج الأولية كالجرارات الزراعية ، وإن كان اغلبها تجميعياً .

● غياب دراسات الجدوى الاقتصادية وضعف الجدوى الإدارية وارتفاع تكاليف الإنشاء مما يزيد من تكلفة المنتجات ويجعلها غير قادرة على المنافسة .

مثل هذه المشكلات تستلزم بروز اهداف إنمائية خاصة ربما تختلف عن تلك السائدة في افريقيا مثلاً حيث يسود الجفاف .

اما متطلبات التنمية فهي تتشكل في البلدان الساعية للنمو من عناصر كثيرة إحداها عنصر التمويل او الموارد المالية ، وهذا العنصر مهم بالذات في الوقت الحاضر بسبب ازمة الديون العالمية ، إذ وصلت ديون الدول النامية (٦٠٠) مليار دولار ، ووصلت ديون الدول العربية غير النفطية (٤٥) مليار دولار .

وبما أن عملية التنمية هي ذاتية في المنطلق والمصب ، للإفادة مما هو متاح من موارد مادية وبشرية لتحقيق طفرة على المستويين الاقتصادي والاجتماعي ، فإن مجابهة قضية الموارد المالية ينبغي أن تمارس في اتجاهين هما : الاستفادة القصوى مما هو متاح بالاستخدام الأمثل له ، بجانب إثارة المزيد من الادخار عن طريق الأوعية الادخارية المتاحة وتوجيهه لخدمة بناء القاعدة الإنتاجية ،

وذلك بان تصب الادخارات من خلال تلك الأوعية في القنوات الاستثمارية ذات الجدوى ، وبذا يتحقق هدف بناء القاعدة الإنتاجية في الصناعة والزراعة ، ومن ثم هدف زيادة الدخل ، الذي يسهم بدوره في دعم القاعدة الإنتاجية في الصناعة والزراعة ، وبذا ينفتح المجال رحباً امام تطوير المستوى المعيشي الذي هو رافد ومؤثر حقيقي في عملية بناء القاعدة الإنتاجية .

إن العلاقة بين اهداف التنمية ومتطلباتها وثيقة وجديرة بالدراسة عند وضع خطط الإنماء الاقتصادي والاجتماعي ■

[العدد ١٢٠٦]

ISLAMIC FINANCE

البديل الإسلامي المناسب ...

■ شهد العالم الإسلامي في السنوات الاخيرة تطورات بعيدة الأثر . حدث تغير في مراكز القوى والنفوذ ، واعيد النظر في الأولويات ، واصبح موضوع « اسلمة » المجتمع جزءاً رئيساً من النقاش الوطني .

ولكن الحقيقة ان الاتجاه نحو « الأسلمة » ليس ظاهرة حديثة ، بل سعى المسلمون منذ بدء مواجهتهم للاستعمار الغربي إلى الاحتماء بعقيدتهم . وكان الإسلام هو محرك اكثر من ثورة ضد الاستعمار . ولكن حدث ان الاتجاهات الأخرى كانت تسرق في النهاية الانتصار الذي تصنعه الشعوب المسلمة ، وبعد ذلك تبدأ تلك الاتجاهات بالعمل على تدمير النفوذ الإسلامي في نفوس الجماهير .

ولكن تلك الاتجاهات العلمانية اخفقت في تحقيق اي إنجاز اقتصادي او في تكريس الاستقلال السياسي وتقليص التبعية للقوى الخارجية ، او تقريب الفجوة بين الفئات الاجتماعية وتحقيق العدل والمساواة ، وبالعكس فقد ساد القمع والتفكك على ايدي تلك الاتجاهات ، وكان من الطبيعي ان يظهر بديل إسلامي ، ومن الطبيعي أن يمثل هذا البديل تحدياً لمن يسعون إلى تسيير المجتمع على النمط الأوروبي الغربي .

إن الاتجاه نحو الأسلمة يعبر عن نفسه على ثلاثة مستويات :

المستوى الأول : الحركات الإسلامية التي حاربت الاستعمار والدكتاتوريات ، وبرغم القمع الذي تعرضت له هذه الحركات فإن جذورها لا تزال قوية في التربة الشعبية .

المستوى الثاني : جماعات من افراد لا يرتبطون بحركة معينة ، ولكنهم يكملون دور تلك الحركات ، وربما يكون افضل مثال لهم المجموعات التي تشرف على المؤسسات الاقتصادية الإسلامية في العالم الإسلامي والغرب .

لقد استطاع هؤلاء تثبيت البديل الاقتصادي الإسلامي وسط اقتصاد غير إسلامي في البلاد الإسلامية ، وخارجها .

المستوى الثالث : الاتجاه الرسمي الحكومي ، فقد سعت بعض الدول الإسلامية للتعايش مع هذا الوعي الإسلامي ، وادخلت تشريعات للتلاؤم معه ، وبهدف الإيحاء للشعوب أن هذه التشريعات الرسمية هي البديل الإسلامي المناسب لتلك الاتجاهات غير الرسمية .. مما يمكن ان يطلق عليه اسم « الإسلام الحكومي » .

البديل الإسلامي الصحيح هو الذي يحرر الشعوب ويزيد من فعاليتها وادائها لدورها والتزامها بالهوية الإسلامية ، وهو لا يفرض من اعلى بإجراءات رسمية . ولا يتم من خلال مؤسسات مستوردة من الغرب الاستعماري .

إن القوى الشعبية التي تتبنى « الأسلمة » تكسب مزيداً من الارض وتزداد خبرة ونضجاً . لقد اخذ الإسلام يظهر كقوة سياسية مهمة في العالم المعاصر ■

[العدد الاول]

من قضايا الأسـرة

الأطفال: ماذا عن مستقبلهم!

بقلم : محمد حسن بريغش

●● في ظل ظروف التوجه للإسلام التي نعيشها اليوم لا يكفي أن نتلمس أمراضنا فحسب . ونحاول أن نفك القيود من حولنا ، بل لا بد من النظر إلى بعيد .. فقد تنتهي أعمار الجيل الذي استيقظ وتوثب ، وقد تفتر همة الذين آثروا الجهد والجهاد على القعود ، فتتراجع الصحوة ، ويسود ظلام جديد .

والأطفال جزء من عالمنا ، وهم امتداد لحياتنا ، وصورة آمالنا وأحلامنا في المستقبل ، وفلذة أكبادنا ، فلماذا لا تكون الصحوة الحقيقية لصالحهم ؟ ●●

حاجات التربية . . .

إن الأطفال بحاجة إلى رعاية حقيقية تشمل كياناتهم كلها ، تبدأ من الحضانة الإسلامية الصحيحة إلى التربية الإسلامية الشاملة ، وتحشد لهذا الغرض الطاقات والإمكانات المختلفة .

ها نحن نقرأ سيرة الصحابة عليهم رضوان الله .. كيف نشأ كثير منهم وهو يتربى تربية إسلامية في البيت ، والمسجد ، في الحرب والسلم ، وكان آباؤهم يقدمونهم لبيعة رسول الله ﷺ وهم أبناء سبع سنوات ، ويهيئونهم لحمل الأمانة والنهوض بمسؤولية الدعوة وهم صغار .. ولنعد إلى سيرة الحسن والحسين وابن عباس وعبد الله بن عمر وأسامة بن زيد وعبد الله بن عمرو ، وغيرهم كثير . ولنعد إلى سيرة رسول الله ﷺ مع هؤلاء الصغار مع السبطين الحسن والحسين ، ومع أنس بن مالك وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عباس .. لنرى كيف كان يوجههم ويربيهم ، ويهتم بهم ، ويشعرهم بالمسؤولية ويغرس في نفوسهم أسس العقيدة ومبادئها .

وها هو كتاب الله يعطينا انموذجاً عن التربية الإسلامية التي تبدأ بغرس العقيدة ، ثم التخلق بأخلاق القرآن في وصايا لقمان لابنه[1] ونحن اليوم أحوج ما نكون إلى هذه التربية الواعية .

والتربية التي نريد تحتاج منا إلى جهد وإخلاص ومثابرة وقدوة ، ولا تكفي عوامل البيئة التي تحيط الطفل في البيت لينشأ كما يريد له أبواه أن ينشأ ، لأن الطفل اليوم يخضع لمؤثرات كثيرة ، ولم يعد تأثير الأبوين ، والبيت كافياً لتنشئة الطفل تنشئة سليمة ، وحمايته من عوادي العصر العاتية .

المدرسة والشارع والرائي والإذاعة والمجلة والصحيفة والأصدقاء ... وغيرذلك ،

كلها عوامل تؤثر في الطفل وتشد بصره وسمعه وقلبه ، فهل تكفي أوامر الأب ونواهيه - إن كانت هذه الصورة تربية - ورغبات الأم وابتهالاتها لصلاح الطفل ؟ .

إن مشكلات كثيرة جداً بدات تنشأ من إهمال هذا الجانب ، وبات أطفالنا - الذين نحرص على صلاحهم - في خطر شديد ، لأن اهتماماتنا انصرفت إلى المجتمع وحده ، إلى قضايا فكرية وسياسية وعملية ، ولم يعد في وسعنا أن نعطي ابناءنا شيئاً أو نترك لهم من أوقاتنا ساعة ندخل بها إلى نفوسهم ونعيش معهم ، ونفهم حوائجهم ، ونسمع إلى آمالهم ونصحح نظراتهم ونشاركهم بقلوبنا وعقولنا الحياة فيحسون أنهم يعيشون معنا ،

كلمـــة

القراءة والطفل المسلم

□□ تمثل القراءة في حياة الطفل قضية هامة ، وضرورة أساسية للطفل المسلم اليوم ، ومع تعدد وسائل اهتمام الطفل بما يشغل وقته من وسائل إعلامية محدثة ، ومع ارتفاع ثمن المطبوعات عامة ، والمخصص منها للطفل خاصة ، ومع إهمال الوالدين - في بعض الأحيان - نفسهما للقراءة ، أو انشغالهما بأمور الحياة المعيشية العامة .. مع كل ذلك يبدو اختفاء القراءة من حياة الطفل أمراً خطيراً .

فلا يخفى على أحد أثر جهاز الإذاعة المرئية اليوم في جذب أطفالنا بما له من وسائل تقنية تشدهم إليه ، كان من المفروض استغلالها جيداً في تثقيف الطفل وتنمية حب القراءة لديه وتفهيمه أمور دينه ، وغرس العادات والتقاليد الإسلامية الصحيحة في نفسه بما يوفره هذا الجهاز من راحة ومتعة ، قد تؤدي - إذا ما أسيء استغلاله - إلى تسطيح فكري وكسل عقلي .

وتأتي أهمية دور الوالدين في البيت المسلم في أن يعملا على اقتراب الكتاب من طفلهما منذ سني عمره الأولى ، وأن يكون مدار اهتمامه في مراحل نموه الأولى ، واجتناباً لما يمكن أن يحدث من الطفل كتمزيق صفحات الكتاب ، فإن قليلاً من التحذير وعوامل التربية الأخرى كالترغيب قبل الترهيب كفيلة بالمحافظة عليه . فينشأ الطفل منذ هذا العمر الصغير وهو لا يشعر بالغربة بينه وبين الكتاب ، بل يشعر انه جزء من تكوينه وشخصيته .

وإلى أن تحل المطبوعة الإسلامية للطفل المسلم المعاصر محل كثير من الكم الموجود - والمرتفع السعر - المطروح أمامه في الأسواق .. وتتوفر للمسلمين الكفاءات التي تستشعر خطر اختفاء القراءة من حياة الطفل وغربة الكتاب عنه - سوى الكتاب المدرسي - إلى أن يتم ذلك يجب علينا الا نبعد الكتاب عن الاقتراب من طفلنا اليوم □□

يأخذون منا العقيدة ، يتلقنون مع الحب والنصح والاقتداء : أخلاق الإسلام ، يشحنون مع دعاباتهم والعابهم وأفكارهم بمشاعر الإيمان ، ومحبة الخير ، وإيثار الآخرة ، ومراقبة الله عز وجل ..

إن الواقع الذي نلمسه في المدارس انها تخضع لمناهج من هنا وهناك ، تجمع الطيب والخبيث ، والغث والسمين ، ولهذا لا يمكن الاطمئنان إلى المدرسة لأنها تخضع لعوامل كثيرة ، ليس في مقدور المسلم ان يختارها أو يعدل منها ، فهناك المدرس ، وهناك المنهج وهناك الكتاب ، وهناك الجو المدرسي ، وهناك الجو العام .. وكل ذلك يؤثر ولا شك في طبيعة المدرسة ووجهة السلوك ونوعية التربية والقيم التي تهتم بها . ولذا تعود المسؤولية إلى البيت المسلم ، إلى الوالدين بالدرجة الأولى حتى لا يترك الطفل يخوض تجربة لا يعرفان نتائجها أو يقع في تناقض بين واقعه في البيت وواقعه في المدرسة .

إن الواقع يدل على تقصير شديد ، وفقر بالغ في هذا الباب ، إذ لا يجد المسلم حضوراً فعالاً وحقيقياً للفكر الإسلامي ، والتربية الإسلامية .. فالمسلسلات الخاصة بالأطفال ، والبرامج الخاصة بهم .. تصنع على منوال ما يأتينا من الغرب ويقوم به أناس محترفون ، أو دعاة للتغريب والعلمانية ، وبالتالي توجه أطفالنا إلى أمور خبيثة ، تتنافى والعقيدة ، وتتعارض مع روح هذا الدين ، فهي تربطهم بالمادة فقط ، وتدفعهم لإيثار المنفعة ، وتفسر كل عمل دنيوي بهذه المنفعة الدنيوية ، وتدعوهم إلى إنكار كل أمر لا تصل إليه الحواس ، وتعطيه الثقة المطلقة بالعلوم البحتة ، وتجعله يألف الاختلاط بين الجنسين ، ويرى الأمور بمنظار الغرب ، فالمحبة بين فتى وفتاة شيء طبيعي ، واللقاء الآثم طريق صحيح ، والخداع والتلاعب ذكاء ومهارة .. إلخ .

وحين يجدون ربحاً مادياً في عرض أمور إسلامية ، تأخذها الشركات المحترفة والممثلون المحترفون ، فيشوهون الحقائق ويسيئون إلى الشخصيات ، فضلاً عن انهم يتركون انطباعاً عند الطفل بأن الفرق بين الطيب والخبيث فرق ضئيل ، وان هذه الممثلة وهذا الممثل قدوة وشخصية محببة يعشقها الصغار والكبار فهو الخائن الخبيث ، والمجرم الخطير حيناً ، وهو القائد البطل والصحابي الكريم حيناً آخر .

وبالنتيجة فإن المسلم غائب عن هذا المجال ، ومقصر في استخدام الوسائل !

فلماذا لا تنشأ شركات إسلامية حقيقية ، تدرب الممثلين والمخرجين ، وتستكتب الكتاب الموهوبين المخلصين ، لتصنع البرامج المختلفة للصغار والكبار ، والمسلسلات والمسرحيات .. ضمن اطر إسلامية واضحة ، ومن خلال الحقائق الإسلامية والواقع التاريخي المشرق ؟

إلى أن يظهر هذا في دنيا المسلمين .. سنظل عرضة للغزو .. وسيظل أطفالنا عرضة للغزو ، يحترقون أمامنا رويداً رويداً ، نحاول أن نحجزهم لكنهم يندفعون إلى ضوء النار .. وبعد حين نستسلم للواقع وننسى ان أمر الله قائم ينادينا ويأمرنا في كل حين :

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً ، وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ .

أخـتي المسلمـــــة ...

■■ من الواضح أننا نحن المسلمات الخاضعات لأوامر الله ، والمتمثلات لهدي رسوله ﷺ ، والملتزمات بالزي الشرعي واللباس المحتشم ، نقاسي من إشارة أصابع الاستنكار والاستهزاء إلينا ، تلك الإشارة التي لا تنم إلا عن المدى الذي وصل إليه التنصل من تعاليم الإسلام وقواعده ، وضعف سلطان الشرع في النفوس .. كما نعاني من وطأة الأقلام الفاسدة ، والأصوات الفاجرة التي تصم الآذان بكل دواعي التفسخ والانحراف .

لكن : ما موقفنا من هذه الجهود الباطلة ؟ هل نقع في شراكها ونجيب داعيها ؟

هل ننبهر ونفتن ببريق هذه الدعوات وننساق وراءها ؟.. أم نقاومها ونواجهها ، علماً بأنها محاولات رخيصة يروج لها أدعياء المعرفة بعد أن صاغها أسيادهم من الشرق والغرب في قوالب منطقية ومقبولة ، لكنها شرّ كلها ..

أخواتي في الحق : نحن لم نرتدِ الحجاب بدافع من التقليد أو العادة أو العرف ، إنما حافزنا في ذلك أمر الله وتشريع فاطر السماوات والأرض ، العالم بنوازع الإنسان وميوله وشهواته .

فالإسلام منهج الحضارة والتمدن ، اللذين لا يتحققان إلا بصلاح العنصر النسائي في المجتمع . والعاقل الواعي - الذي لم يصبه الدوار الذي انتاب البشرية المقهورة - يدرك كل الإدراك أن المرأة باتت تتخبط في تيه . أحوال مختلفة وركام نظم متباينة ودعوات خليعة .

لذلك يكون من السذاجة أن نستسلم لهذه الأحوال المشبوهة ، ونلقي بأثمن ما يملكه الإنسان من وقار وكرامة و عرض .

أخـواتي ... إن تمزيق الأثواب وفق أهواء بيوتات الأزياء الصهيونية قد سبقه تمزيق لباس الفكر والعقيدة ، فليكن الإسلام منهجنا في الحياة ومصدرنا في التصور ، نتفاعل مع قيمه ومقوماته ونتشبع بروحه ولبابه ، حتى نكتسب العقلية الإسلامية المرجوة التي تمكننا من تمثيل الإسلام التمثيل الصحيح .. ■■

(أختكم : فضيلة الرافعي - المغرب)

ردود

﴿ ...فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ... ﴾

■■ جواباً لأسئلة عديدة واستفسارات متنوعة حول معنى هذه الآية نقول :

الجنس في الإسلام يهدف إلى تحقيق معنى فطري يتجلى بالسكن النفسي ، وتحقيق غريزة بقاء النوع في الإنجاب ، كما أنه يغض البصر ويحصن الفرج ويحول دون المفاسد ...

لذلك كان المسلم مأجوراً إن وضعه في حِلّه ، « إن في بضـع أحدكم لأجراً » .. ومأزوراً آثماً إن وضعه في غير ذلك ...

وقد فسر جمهور الصحابة والتابعين وأئمة الفتوى قوله تعالى : ﴿ ... نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ... ﴾ بأن الحرث إنما يكون في موضع الإنبات ، وفي الآية تشبيه بليغ ، فالمرأة كالأرض ، والنطفة كالبذرة ، والولد هو القصد كالنبت والثمرة ... ويكون معنى ﴿ أَنَّى ﴾ : كيف شئتم ، على الشكل الذي تريدون بشرط أن يكون ذلك في موطن الولد ...

وقد وردت أحاديث وآثار تنهى عن إتيان المرأة في غير موطن الولد ، لأن ذلك أبعد عن الفطرة وأقرب إلى الشذوذ الجنسي .

قال ابن المنذر : إذا ثبت الشيء عن رسول الله ﷺ استغني به عما سواه . ■■

مسابقة العدد الثامن والثلاثين
السنة الرابعة

١ ـ قاموس المسابقة :

كلمات من القرآن الكريم ، هل تعرف المعنى الصحيح لها من بين المعاني الواردة أمام كل كلمة ؟ .. اذكر المعنى الصحيح ، ونص الآية التي وردت فيها :

- الرجفَة : ـ الاهتزاز ـ الزلزلة ـ التوعك
- الرهط : ـ القبيلة ـ العشيرة ـ الجماعة دون العشرة
- الأماني : ـ الأكاذيب ـ الأمنيات ـ صفة لكلام مستقبل
- باليمين : ـ ناحية اليمين ـ بالقوة والقدرة ـ باليد اليمنى
- غُلْبا : ـ مغلوبة ـ كثيرة ـ غلاظ الأعناق

٢ ـ ما هي الغزوة التي خرج فيها عمرو بن العاص رضي الله عنه براية سوداء مع ثلاثمائة من المهاجرين والأنصار ، ومعهم ثلاثون فرساً ، واحتلم فيها الأمير فتيمم وصلى وأقره الرسول ﷺ ، بالرغم من قرب الماء منهم ؟

٣ ـ من هو :

- عالم مرابط ينتسب إلى قرية من قرى دمشق .
- ولد في القرن الهجري الأول .
- قال عنه ابن كثير : ما تكلم بكلمة إلا كان المتعين على من سمعها من جلسائه أن يكتبها من حسنها .
- من أقواله : [العلم ما جاء به أصحاب محمد ﷺ وسلف ، وما لم يجىء عنهم فليس بعلم .. عليك بآثار السلف وإن رفضك الناس] .
- أفتى وله من العمر خمس وعشرون سنة ، وظل يفتي حتى مات ، وقد أفتى في سبعين ألف مسألة بـ « حدَّثنا » و « أخبرنا » .

٤ ـ من القائل :

وأرعن طماح الذؤابة شامخ ... يطاول أعنان السماء بغارب
وقور على ظهر الفلاة كأنه ... طوال الليالي ناظر في العواقب
أصخت إليه وهو أخرس صامت ... فحدثني ليل السرى بالعجائب

٥ ـ عالم وكتاب :

- [العالم] : عاش في القرن السابع الهجري .
- يتصل نسبه إلى واحد من صحابة رسول الله ﷺ من الأنصار .
- ترك بخط يده خمسمائة مجلد ، لم نعرف إلا خمسها .
- من كتبه : تواريخ الشعراء إسلاماً وجاهلية ، ومختصرات لطبقات ابن سعد ، والحيوان للجاحظ ، ويتيمة الدهر للثعالبي .
- وضع كتاباً في اللغة العربية جمع فيه كل ما تضمنته كتب السابقين .
- [الكتاب] : يعتمد أساساً على كتاب : « تهذيب اللغة » للأزهري و « المحكم للأندلسي » .
- قصد به مؤلفه : حفظ أصول اللغة النبوية وضبطها .
- رتَّبه على منهج الجوهري في الصحاح .
- أول طبعة له بمصر بمطبعة بولاق ١٣٠٨هـ في عشرين مجلداً .
- الوحيد الذي جمع اللغة العربية منذ عرفت حتى القرن السابع الهجري .

٦ ـ من المفصليات الصحراوية ، يتجنب الواحات الخصبة ، سريع الركض ، ليلي يختبىء تحت الحجارة وفي عمق الأرض أثناء النهار ، آكل للحوم ، يتغذى على الحشرات والعقارب والعناكب والسحالي والطيور والفئران ، تضع أنثاه البيض ليلاً ويفقس بعد يوم أو يومين ، وتحرس الصغار حتى يكبروا ، ما هو ؟

مسابقة الأمة

الجوائز

الجائزة الأولى

خمسمائة ريال قطري .

الجائزة الثانية

ثلاثمائة ريال قطري .

الجائزة الثالثة

مائتا ريال قطري .

سبع جوائز أخرى : اشتراك مجاني بالمجلة لمدة سنة ، للفائز الرابع حتى العاشر

* حل المسابقة وأسماء الفائزين على الصفحة المقابلة

- ترسل الإجابات إلى ص. ب ٨٩٣ الدوحة . قطر ويكتب على الغلاف ، مسابقة الأمة

الاسم : ....

المهنة : ....

العنوان : ....

....

مسابقة الأمة السنة الثالثة ٣٨

حل مسابقة العدد السادس والثلاثين

١ ـ المعنى الصحيح ونص الآية ...

○ يَأْتَمِرُونَ : يتآمرون .

﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْقَوْمَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ (القصص : ٢٠)

○ بَصَائِرُ : حجج .

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾ (الأنعام:١٠٤) وكذلك وردت في (الأعراف:٢٠٣) و(الإسراء:١٠٢)

○ تَبَّتْ : خسرت .

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ (المسد : ١)

○ يَجْأَرُونَ : يرفعون أصواتهم بالدعاء .

﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَاهُمْ يَجْأَرُونَ ﴾ (المؤمنون : ٦٤)

○ ثَقِفْتُمُوهُمْ : ظفرتم بهم .

﴿ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة:١٩١) كما وردت في (النساء:٩١)

٢ ـ في رجب (السنة الثانية للهجرة) بقيادة عبد الله بن جحش رضي الله عنه .

٣ ـ نعيم بن مسعود الأشجعي الغطفاني رضي الله عنه .

٤ ـ محمد محمد عبد العزيز صادق .. من قصيدة بعنوان « في ذكرى شاعر النيل » .

٥ ـ [المؤلف] : أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل ، المعروف بـ : الزَّجَّاج .
[الكتاب] : معاني القرآن وإعرابه ..

٦ ـ يعتمد حيوان الخلد (Molerat) في غذائه على ديدان الأرض والخنافس ويرق الحشرات ، وكذلك على جذور الشجر وبصلاته ودرنه .

أسماء الفائزين في مسابقة العدد السادس والثلاثين

الفائز الأول :
● أحمد بن الشيخ
موريتانيا

الفائز الثاني :
● محمد إدريس سومرو
باكستان

الفائز الثالث :
● عبد الرزاق علي عبد الله المصباحي
اليمن

الفائز الرابع :
● خولة خليفة محمد
الكويت

الفائز الخامس :
● رأفت داؤود
المملكة المتحدة

الفائز السادس :
● إقبال عباس عبد المجيد
السودان

الفائز السابع :
● عبد العزيز أحمد الجاسم
السعودية

الفائز الثامن :
● حسن العناني
المغرب

الفائز التاسع :
● أحمد بشار خالد
الإمارات العربية المتحدة

الفائز العاشر :
● حافظ محمد الهادي الفريضي
تونس

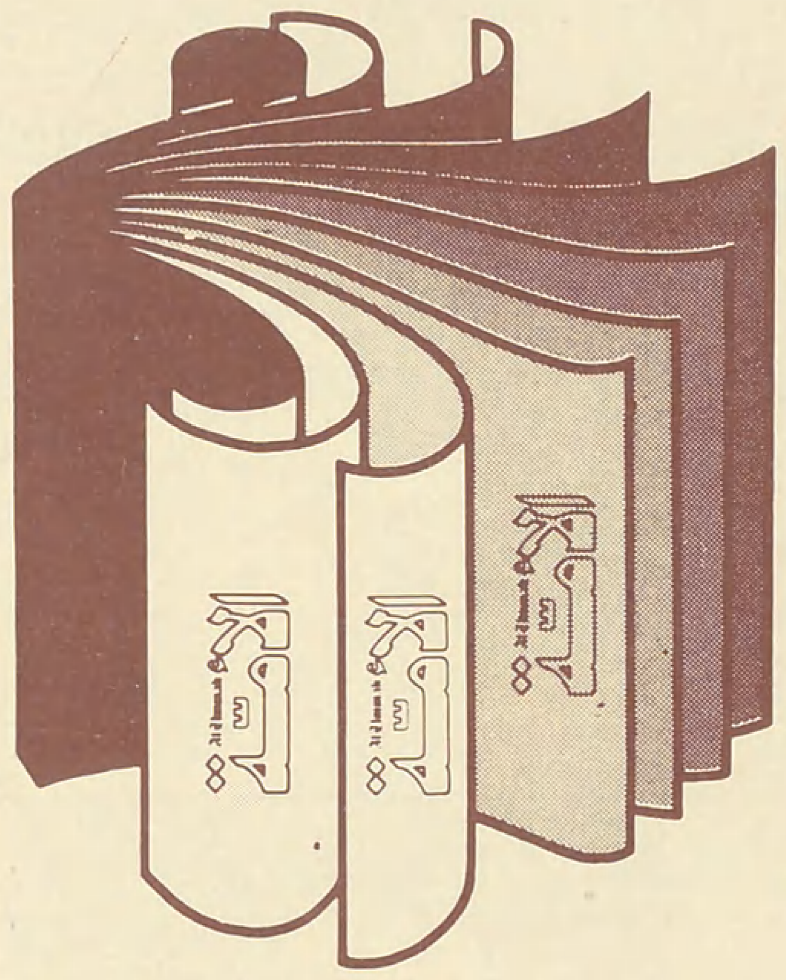

اقرأ في الأعداد القادمة

الأمة

□ حتى يتبين لهم أنه الحق ..
الدكتور عماد الدين خليل

□ الصحوة الإسلامية بين المد والجزر
الشيخ محمد الغزالي

□ هل يمكن للتكنولوجيا أن تحل المشاكل الناتجة عنها ؟
محمد عبد القادر الفقي

□ درس في اختيار القادة من النبي ﷺ
اللواء الركن محمود شيت خطاب

□ (استطلاع) :
في كشمير : الوجود الإسلامي بين محاولات التذويب والمحافظة على الذات

□ مفهوم القيمة بين الاقتصاد الإسلامي والاقتصاد الوضعي
محمد إحسان طالب

□ التبشير النصراني في غربي افريقيا
بابكر حسن محمد قدرماري

التقدم العلمي

يدعم رسالة الانسان

□□ حفل القرن الرابع عشر الهجري (العشرون الميلادي) بتقدم علمي كبير ، فاق ما كان يحسبه الأقدمون احلاماً ، وحقق ما كانوا يرون أن تحقيق مثله شبه مستحيل .

تمكن العلم في هذا العصر من استغلال الأرض وما يحيط بها من بحار .. تمكن العلماء من زيادة الرقعة الزراعية رأسياً وأفقياً ، واستصلحوا الصحارى ، وغطوا رمالها الصفراء بالخضرة ، فزادت الغلات بصورة ملحوظة ، واتجه العلماء إلى الثروة الحيوانية ، فعملوا على تنميتها في البر والبحر .. حسنوا السلالات بعد أن وفّروا الأعلاف الصناعية الغنية بالمواد الغذائية ، واهتموا برعايتها من الناحية الصحية فزاد وزنها وتحسن نوعها . ولم يتوقف العلماء بعلمهم عند هذا الحد ، وإنما اتجهوا إلى غزو الفضاء فوصلوا بالإنسان إلى سطح القمر . وبعبارة شديدة الإيجاز توصل العلم إلى اختراع الآلات الحديثة التي وفرت للناس الكثير من الوقت والجهد ، والكثير من وسائل الرفاهية والترف ، واختصرت المسافات ، وقربت بين أطراف الأرض ، فالناس يستطيعون أن يسمعوا وأن يروا ما يجرى على الأرض بعد لحظات من وقوعه عن طريق الإذاعتين : المسموعة والمرئية ، لا يخفى عن الشرق ما يدور في الغرب ، ولا عن الغرب ما يدور في الشرق ، وبذلك انقضت العزلة القديمة بين الشعوب ، ولم يعد أحد يهتم لبعد المسافات .

أثـر التقـدم : لقد كان لهذا التقدم الهائل والسريع أثره السيء في سلوك جمهرة الناس ، فقد بهرت الحضارة المادية عيونهم ، وحيرت عقولهم ، وسيطرت على أفئدتهم ، وجعلتهم يتقاعسون عن تعاليم الدين ، وينأون عن المنهج السماوي الذي وضعه الله سبحانه وتعالى لهداية الناس ، وأرسل به رسله مبشرين ومنذرين لكي يتحقق التوازن بين الجانبين المادي والروحي من غير أن يطغى أحدهما على الآخر ، وبالتزام الإنسان بذلك تتحقق سعادته في حياتيه الدنيوية والأخروية .

ليس من الغريب إذن ان نرى ان معظم الناس مشغولون عن امور دينهم بمباهج دنياهم ، وان المواعظ اصبحت لا تجدي ولا تؤثر فيهم . ومن ذا الذي يستطيع ان ينتزع الناس من الانغماس في مباهج الحياة ، ويوجههم بسهولة إلى الالتزام بمنهج الله ، ومعظمهم يدركون أن الخير كل الخير في التزامهم بهذا المنهج ، ولكنهم مع ذلك يتغافلون عنه .

صحيح ان الموقف جد خطير لأن اللفظ والموعظة لن يستطيعا تحقيق الإصلاح بسهولة ، فهل نقف مكتوفي الأيدي أمام هذه الظاهرة غير الصحية ؟ اللهم لا .. وما على المصلحين والدعاة إلا ان يكثفوا جهودهم في تخطيط علمي نفسي لكي يتمكنوا من التغلب على ذلك البلاء الذي حملته إلينا الرغبة الجشعة في الاستمتاع بكل ما حققه التقدم العلمي في هذا العصر ، والنصر في النهاية حليف المؤمنين الصادقين إن شاء الله تعالى .

لا يـأس من روح الله ... لقد دفع ذلك الواقع غير المرضي بعض الغيورين على الدين ان يشفقوا على المجتمع الإنساني بعدما راوا انغماس الناس في متع الحياة ، وابتعادهم كثيراً عن الدين ، وكاد إشفاقهم هذا يصل بهم إلى مرحلة الياس ، فراحوا يوجهون اللوم والتانيب للتقدم العلمي وما جره على البشرية من ويلات ، ولا ريب ان هذا الكفاح يقف عند حد السلبية ، ولن يغير من الأمر الواقع شيئاً .

التقدم العلمي دعامـة للإسـلام : ومن بين المصلحين المؤمنين طائفة تفاءلت بذلك التقدم لأنهم يعتقدون انه كلما تقدم العلم فإنه يقدم من الادلة الجديدة ما يوضح للبشرية أن الخير كل الخير في الالتزام بمنهج الله ، وخاصـة ذلك المنهج الذي جاءت به رسالة الإسلام ، ولا ريب أن الإسلام يحض متبعيه على طلب العلم ، ويجعله فريضة على كل مسلم ومسلمة ، لأن العلم يساعد على ترسيخ دعائم الإيمان في أعماق القلوب ، ولن يتعمق الإيمان قلباً إلا بالعلم . إذن يجب الا نفرق ونخاف ، وإنما يجب ان نستبشر بذلك التقدم ، إذ ليس ثمة ادنى شك في أن القرن القادم هو عصر سيادة مبادىء الإسلام ، وانتصار منهجه الذي اكمله الله سبحانه ، واتم به نعمته على البشرية ، وارتضاه ليكون الدين الخاتم الصالح لكل زمان ومكان ، فهو دين عام خالد . ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِيناً ﴾ (المائدة:٣) .

ومما يبعث في نفوس المؤمنين الأمل والطمانينة قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ (فاطر : ٢٨) فالعلماء إذا ما تقدم بهم العلم رسخ الإيمان في قلوبهم ، وادركوا ان قدرته هي القدرة الأكمل ، وان علمه سبحانه وتعالى هو العلم الذي لا يغرب عنه مثقال ذرّة في السموات ولا في الارض ، ولذلك فإن من هدى الله منهم يكون اشد الناس خشية لله ، لانهم ما توصلوا إلى ما توصلوا إليه إلا بالصبر في البحث والتامل . ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾ (آل عمران:٧) ، ﴿ لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ (النساء:١٦٢) .

والآية السابقة ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ ترسل إلى قلوب المؤمنين اشعة مضيئة تبشر بانتصار كلمة الله ، وان العلماء لا بد وان يخضعوا لله ، لانهم عرفوا ان علمهم مهما تقدم فهو قليل قليل بالنسبة لعلم الله سبحانه وتعالى ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ (الإسراء:٨٥) .

إن عمق البحث والتامل فيما خلق الله هو صفة من صفات العلمـاء ، والقرآن الكريم طلب ذلك منا في اكثر من اربع عشرة آية في عدد من سوره ، منها على سبيل المثال قوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ، أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ، فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (الحج:٤٦) .

البشـارة تتحقق : وها نحن اولاء نرى مصداق هذه الآية ، وتحقق بشارتها ، نرى عدداً من علماء ومفكري غير المسلمين يعتنقون دين الإسلام ، ويتركون الدين الذي توارثوه عن آبائهم من غير ان يدعوهم إلى ذلك احد من دعـاة المسلمين . وصحيح أن عدد الذين أسلموا من هذا القبيل عدد قليل ، ولكنه على قلته له مغزى بعيد الاثر ، فهو يكشف عن جانب من جوانب الإعجاز في القرآن الكريم ، فاخباره تتحقق في كل عصر بالقدر الذي يريده الله ان يتحقق ، ليؤمن اهل كل عصر بان القرآن الكريم كلام الله ، وليس من كلام الإنس ولا من كلام الجن . □□

محمد الهادي عطية

صـــدر :

كتاب
الأمة
Al Ummah

٥

الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري

الدكتور محمود حمدي زقزوق

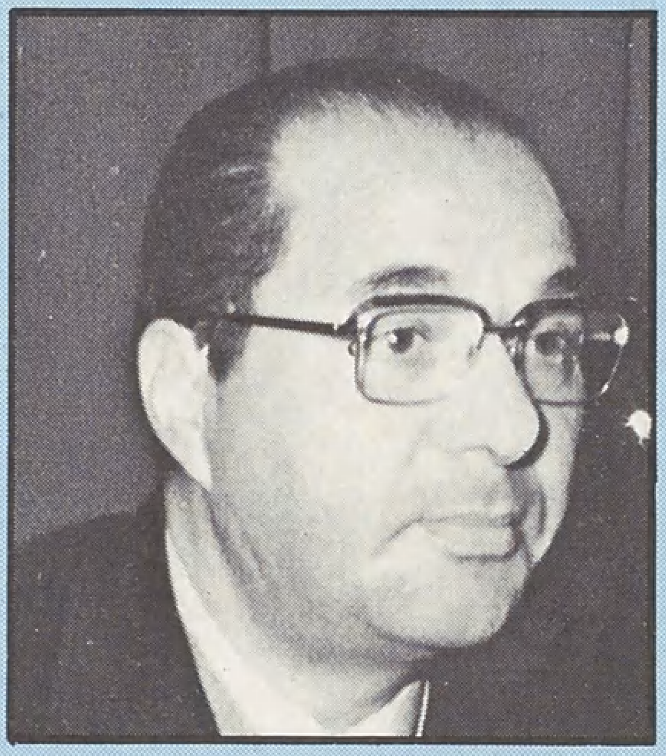

□ الاستشراق كان ولا يزال جزءاً لا يتجزأ من قضية الصراع الحضاري بين العالم الإسلامي والعالم الغربي ، بل يمكننا القول : إن الاستشراق يمثل الخلفية الفكرية لهذا الصراع ...

□ إن التزام الموضوعية هو دائماً في صالح الإسلام بوصفه دين الله الحق الذي لا يُخشى عليه من اية تيارات فكرية مناوئة اياً كان مصدرها ...

□ كان التراث الاستشراقي بمثابة دليل للاستعمار في شعاب الشرق واوديته من اجل فرض السيطرة الاستعمارية عليه وإخضاع شعوبه وإذلالها .

□ الغريب ان الهيئات العالمية مثل اليونسكو ـ وهي هيئة دولية تشترك فيها الدول الإسلامية تستكتب المستشرقين بوصفهم متخصصين في الإسلاميات للكتابة عن الإسلام والمسلمين في الموسوعة الشاملة التي تصدرها عن تاريخ الجنس البشري وتطوره الثقافي والعلمي .

□ نحن نرفض منهج المستشرقين في دراسة الإسلام ، لانه منهج مصطنع جاء وليد اللاهوت الاوروبي ، ولانه منهج يقصر عن فهم طبيعة الأديان السماوية ، ويحاول ان يضعها في صعيد واحد مع الاتجاهات الفكرية الإنسانية ...

يطلب من وكلاء توزيع الأمة Al Ummah في العالم

مجلة الأمة - Al Ummah

العدد ٣٨ السنة الرابعة صفر ١٤٠٤ هـ